

# الفلسفة الهندية القديمة

الاستاذ عبد السلام خان

مكتبة رضا رامفور

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م





# الفلسفة الهندية القديمة

الاستاذ عبدالسلام خان



مكتبة رضا رامفور

١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

من مطبوعات  
مكتبة رضا رامفور  
135724

© مكتبة رضا رامفور ١٩٩٦م

- اسم الكتاب : الفلسفة الهندية القديمة  
اسم المؤلف : الاستاذ عبدالسلام خان  
التنضيد الاليكتروني : مركز افراح للكمبيوتر، باتلا هاؤس  
جامعة نجر، نيو دلهي - ١١٠٠٢٥  
سنة الطباعة : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م  
ثمن الكتاب : ٢٠٠ روبية هندية  
٢٠ دولارا امريكيًا أو ما يعادله

Published by - Dr. W.H. Siddiqi, Officer On Special Duty  
Rampur Raza Library, Hamid Manzil Qila Rampur (U.P.)  
Pin Code 244901 INDIA  
Printed by - Islamic Book Foundation, New Delhi - 110002

## تقديم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

منذ وقت مبكر من قدوم المسلمين إلى الهند، بدأ نشاط دؤوب في مجال  
الدرس والتعليم، والبحث والدراسة، والفت مؤلفات بالغة الأهمية في العلوم  
المنقولة من التفسير، والحديث، والتاريخ، بالإضافة إلى العلوم العقلية من  
المنطق، والفلسفة، وعلم الفلك، والهندسة، وما إليها. والمدارس التي ذاع صيتها  
في العلوم العقلية في القرن الثامن عشر الميلادي تحتل المدرسة الخير آبادية  
مكان الصدارة فيها، و إلى هذه المدرسة كان ينتسب أفاضل علماء العلوم العقلية  
من طراز مولانا فضل امام الخير آبادي، و مولانا فضل حق الخير آبادي،  
ومولانا عبدالحق الخير آبادي.

ولعل مولانا عبدالسلام خان، مؤلف هذا الكتاب، آخر علم من أعلام هذه  
المدرسة العقلية، فقد ولد في ١٧/مارس عام ١٩١٧م الموافق ٢٥/جمادى الأولى  
عام ١٣٣٥هـ في إمارة رامفور (اترا براديش)، التي كانت، على قلة مساحتها،  
إمارة ترعى العلم والعلماء، وقد اجتمع فيها من أقاصي الهند الشاسعة الأطراف  
علماء الدين، والصوفية، والأطباء، والفلاسفة، والحرفيون، وكانت مدرستها  
العالية بفضل مستواها التعليمي تحتل المكانة الرفيعة بين المدارس الهندية  
التقليدية. تلقى مولانا عبدالسلام خان تعليمه في هذه المدرسة، وتخرج فيها عام  
١٩٣١م ثم حصل على شهادة الفاضل في الحديث من المدرسة نفسها. وإضافة  
إلى ذلك، حصل على شهادات الشرف في اللغات العربية والفارسية والأردية من  
جامعة بنجاب، لاهور. كما أن نهمه بالعلم حدا به أن يتعلم اللغة الإنجليزية  
والألمانية والفرنسية بما فيه الكفاية. وأخيرا أصبح أسنآذا في المدرسة نفسها،  
وظل يدرس فيها، حتى تقاعد منها عميدا للمدرسة العالية في عام ١٩٧٥م.

يتمتع مولانا عبدالسلام خان بنظرة ثابتة في فكر علماء المسلمين  
وفلسفتهم، كما درس بعمق التراث القديم للعلوم العقلية الإسلامية، وله إلى ذلك  
معرفة واسعة بالفلسفات اليونانية والهندية والغربية، كما أنه مضطلع بالعلوم

العربية والفارسية. وتقديراً لخدماته العلمية منحه رئيس جمهورية الهند الجائزة التقديرية للدولة عام ١٩٩٠م.

ما زال مولانا منذ الستين سنة الماضية مكبا على إلقاء الدروس وكتابة المقالات، فقد كتب مقالات قيمة باللغتين العربية والانجليزية بالإضافة إلى الأردية. و قام بقراءة متأنية لمولانا جلال الدين رومي، و الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي، وشاعر الشرق إقبال، وكتب حولهم مقالات وكتبا عديدة. يمكن أن يعد على الأنامل من درس من العلماء المسلمين الفلسفة والفكر الهندوسيين، والديانات الهندوسية مثلما درس مولانا عبدالسلام خان. وكانت تربطه بمجاهد تحرير الهند الكبير، و وزير المعارف الهندي الأول، مولانا ابو الكلام آزاد صلوات حميمة، وعلى طلبه قام مولانا بكتابة مقالات مستفيضة في مجلة „ثقافة الهند، العربية عن الفلسفة والديانة الهندوسية، وقام فيها بإسهاب بتعريف العالم العربي بالفلسفة الهندوسية.

وعلى طلبنا أعاد مولانا عبد السلام خان النظر في هذه المقالات، وأضاف إليها بعض المقالات الجديدة عن بهاغوات غيتا وغيره، ثم خرطها جميعا في سلك واحد، وقدمها في شكل كتاب مستقل. واستفاد مولانا عبد السلام خان، ونهل من منهل مكتبة رضا برامفور، لمدة نصف قرن، كما ساعد وقدم توجيهات قيمة لموظفيتها في إعداد فهرس لمخطوطات المكتبة. فتعزز مكتبة رضا برامفور بأن سمح بطبع هذا الكتاب من قبل المكتبة، الذي لاشك يفيد طلبة وأساتذة العالم العربي الذين يرغبون في التعرف على ديانات الهند وفلسفاتها ومناهج حياتها واجتماعها بمزيد من التفصيل.

## نثار احمد الفاروقي

رئيس قسم اللغة القربية وآدابها

جامعة دلهي. دلهي

وعضو هيئة مكتبة رضا برامفور

٩/ذي الحجة ١٤١٦هـ

٢٨/ابريل ١٩٩٦م

## بين يدي الكتاب

زرت الزعيم الكبير الهندي، مولانا ابا الكلام آزاد، ممثل رامفور في البرلمان الهندي، ووزير المعارف الأول للجمهورية الهندية اول مرة في سنة ١٩٥٢م، و أشار على اثناء الحديث أن اكتب حول "وحدة الوجود عند ابن عربي و تأثرها بوحدة الوجود الهندية" في مجلة "ثقافة الهند" التي أنشئت بأمره في رياسة تحرير الصحفي الشهير، و صديق مولانا آزاد الحميم، الاديب الكبير عبد الرزاق المليح آبادي، فقلت اني لا أجد على الاطلاق أى أثر لوحدة الوجود الهندية في وحدة الوجود لابن عربي، بل عندي فيها ملامح واضحة للفلاطونية الجديدة المصرية فلا أحسن الكتابة على هذا الموضوع. وإن أجازني معاليكم فاكتب نبذات عن تاريخ الفلسفة الهندية القديمة، فقبل عذري، واجاب ملتمسى، واخذت اكتب النبذات عن تاريخ الفلسفة الهندية في المجلة الحولية، وكتبت على الويدات والأبني شدات والصارواكية والجينية والبوذية في حياة معاليه وتوقفت السلسلة وقفة طويلة بعد وفاته، و كتبت بعده على فلسفة مهابهارتا، ولكنها لم تبرز في المجلة وبقيت مختزنة في طيات مقالاتي المخطوطة حتى نشرها صديقي المحترم الدكتور نثار احمد الفاروقى رئيس التحرير الحالي للثقافة فى سنة ١٩٩٠م.

و لما حان طبع المقالات و نشرها فى صورة الكتاب فصلا من طيات اعداد ثقافة الهند، بفضل صديقى المحترم الدكتور نثار احمد الفاروقى أستاذ الآداب العربية و رئيس الكلية بجامعة دهلى، ووافق عليه الوكيل المفوض للمكتبة الرضائية برامفور الدكتور وقار الحسن الصديقى، فسأنى ان يبرز الكتاب ناقصا

مقصورا على المقالات التي طبعت سابقا في المجلة خاليا من ابواب هامة من الفلسفة الهندية، وبصفة خاصة من الأغنوية اللاهوتية غيتا، والمدارس الست الفلسفية وهي اعرف افكارها، فاكملتها بعجلة سبعة ابواب الى المقالات السابقة، وقد اضعفتني الامراض فذهبت بالسماعة والبصارة والحافظة والذاكرة. وها هو الكتاب بين يدي القراء الكرام.

وأخي الكبير وأستاذي الشفيق الفقيه المحدث المفسر الزاهد عبدالوهاب خان المتوفى ١٩٧٨م زعيم رامفور هو الذي قد علمني ورباني تربية علمية وعقلية و كان يقرأ كل ما كنت اكتبه بالشوق والمودة، وبصفة خاصة مقالاتي عن الفلسفة الهندية، ويحضني على اكمالها، و كان شديد الانتظار للحولية فيها من مقالاتي

لو كان مولانا آزاد و أخي المعظم عبد الوهاب خان على قيد الحياة لقدمت الكتاب اليهما، و جعلت الكتاب متبركا باسميها، و أشرفه معنونا بهما، ولكن سوء حظي قد توفاهما الله قبل اتمامه و طبعه، فاستبركه و امجده بالدعاء لهما. اللهم اغفر لهما واعف خطاياهما واجرهما في ظلال رحمتك. آمين! يارب العالمين

من الواجب ان أشكر صديقي المحترم الدكتور الفاروقى فبفضل عنايته قد طبع الكتاب وأكمل ثم أشكر الدكتور الصديقى الذى بفضل موافقته على طبعه على نفقة المكتبة الرضائية قد برز الكتاب. وأدعو لهما بانجاح مطامحهما الحسنة وتوفيقهما لاعمال الخير.

العبد النحيف

محمد عبد السلام الرامفوري

١٩٩٦/٣/٢م



# فلسفة الهند القديمة

## فلسفة الهندوس وديانتهم:

إن الفلسفة الهندوسية هي المنهاج الفكرى للحياة الطيبة عند الهندوس، ولها تأثير عظيم فى أعمالهم وسيرهم، ففلسفتهم ديانتهم، وقد نشأت هذه الفلسفة من دينهم، وترعرع دينهم فى حجر الفلسفة، فشرح مذاهبهم الفكرية لا يكاد يتم إلا بعد ذكر نبذة من التاريخ الدينى لديهم والنظر فى أدبهم القديم، وهو الذى صقل افكارهم، وزكى أعمالهم، وهذب أخلاقهم، وجعلهم وحدة اجتماعية ما برحت باقية منذ آلاف من السنين. تناوبت الثورات، و تصادمت الحضارات، وتعارضت الثقافات. الدول تداولت والملوك تهاجموا فأخذوا ورفضوا وأعطوا وأرسلوا، فما فقدوا روحهم العظيمة و ثقافتهم القويمة ولو أنهم تقلبوا فى أحساد عصرية، وحضارات تاريخية.

## الأدب الويدي:

كفى بالهندوس مآثرة أنهم قد وعوا ما جاءت به أسلافهم من مهدهم القديم من الآثار الثمينة التى جادت بها عواطف دينهم، فجمعوها وزادوا فيها. فبها لها من أسلاف سادة عظام، وأخلاف قادة كرام! فالأدب الويدي هو البقية الوحيدة من تلك الآثار الأدبية القديمة للشعب الأريانى المسمى بالأوريين الهندوس. أما تاريخ ظهور هذا الأدب الدينى، فمستور تحت أستار روايات وأساطير لا تكاد تكشف. ويعتقد الهندوس أنه أزلى لا بداية له، و ملهم قديم قدامة

الملهم. ويزعم الباحثون من المستشرقين والمحققين من الهندوس أنه قد نشأ في قرون عديدة مربيه لا تقل عن عشرين، وتبتدى من نحو ستة سنوات ق م قد أنشأ أجيال من الشعراء، والزعماء الدينيين، والحكماء الصوفيين عقباء عقب وفق تطورات الظروف و تقلبات الشئون.

أما قيمته التاريخية فلا أقل من قيمته الدينية إذ تنعكس في هذا الأدب الدينى حياة هذا الشعب فى مهدهم القديم و مقرهم الجديد، حلهم وترحالهم، دينهم وسياساتهم، حضارتهم وثقافتهم، معيشتهم معاشرتهم، ومساكنهم وملابسهم، مطاعمهم و مشاربهم، مهنهم و حرفهم، و ترى فيه مدارج الارتقاء للحياة العقلية من سذاجة البدوى إلى شعور الفلسفى. فتوجد فيه أدعية ابتدائية تنتهى بالارتياحية، والوهية المظاهر الكونية التى تترقى إلى توحيد الوجود.

والأدب الويدى عبارة عن أربع كتب دينية : ريغ و يد (Rig veda) وسام ويد (Sam veda) و يجر ويد (Yajar veda) و اثرو ويد (Atharveda). وكل منها يشتمل على أربعة أجزاء : سمهتا (Samhita) مجموعة المنظومات، وبراهمن (Brahmana) أو الهدايات من الزعامة الدينية، أو البراهمة للمتأهلين المقيمين فى بلادهم وقراهم، وارانيك (Aranyaka) أو الغايات، أى الهدايات للشيخوخ المعمرين الذين خرجوا من أهلهم، و أقاموا فى الكهوف والغابات، و أبنشد (Apanishad) أو الأسرار للرهبان العارفين. وقد اتفق الباحثون على أن أقدم هذه الأجزاء، هى سمهتا. ثم تليها براهمن، ثم أرنيك. ثم أبنشد. و تخللت بين تأليفها قرون دون سنين.

### سمهتا:

إن منظومات ريغ و يد تعد من أقدم المجموعات المقدسة وأهمها مكانة عند الباحثين. و منظومات سام و يد، هى منظومات ريغ و يد بعينها، إلا خمس وسبعين منظومة ليست لها مزية عقلية أو تاريخية، ورتبت هذه المنظومات للتغنى عند قربان لاله الخمر، وهو سوم ديوتا، (Soma Devta). اما يجر



ويد. فيشتمل على أدعية تقرا عند القرابين الأخر، و يتضمن على كثير من منظومات ريغ ويد، وفيه نبذة من الأصول التي تراعى فى الضحايا، وهى مرتبة حسب ترتيب القرابين. أما أثر و يد وهو آخرها جسعا و قبولا، وأقدمها إنشاء وتحريراً، فمعظم أدعيته تدعى بها الآلهة لسكان الهند الأقدمين قبل ورود الشعب الآريانى و انتشاره فيها، ولذا لها مزايا دينية و تاريخية تختص به، وتتضمن منظوماته على مناهج فكرية يخلوعنها الأدب الويدى المتقدم.

## البراهمن:

البراهمن أو الهدايات، هى الجزء الثانى من الويدات، و هى هدايات من الزعامة الدينية أو البراهمة لأهل الديانة الويدية كافة. وكأنها تذكرات للزعماء الدينيه إلى كافة الناس ليستمدوا بها فى حفظ شعائر الدين وطقوسه، فيشتمل على بيان أنواع القرابين والضحايا وتفصيلها من الأوقات والمواسم والأدعية و كيفية قراءتها، و تشرح فضائلها و تأثيراتها مع ما لها من الشهادات فى حياة الأنبياء والآلهة، و تصرح بأن للقرابين تأثيرات لا تتخلف عنها إذا قضيت بتفصيلها و شرائطها، و تعرف ب "رتا" أى النظام العادل المستمر، و أن أخف خفيف من الخطأ حتى فى وضع الأوانى ورفعها، و أقل قليل من اللحن فى قراءة الأدعية المأثورة حتى اللحن فى الأعراب واللهجة يبطل العمل، أو يناقض الأثر المطلوب. بل ربما يلقى فى التهلكة، و هذه هى العمل الصالح و طريق الخير، وكأنها هى المؤثر الكونى والسبب الإلهى، فالآلهة والأرباب لا تغنى عنها أعمالهم التكوينية بل تكونهم و تألفهم متوقف عليها.

وقد وضع الباحثون هذه الكتب فى الترتيب بعد عصر سمهتا، وسموها بالعصر البرهمى. وهذا العصر قد اضمحلت فيه روح الدين الويدى. وبقيت صورة لا حياة فيه، والويد قد اندرست معالمه. وآلهة الويدات صاروا أسماء ورموزاً، فعبدتهم يدعونهم وينادونهم، متكلفين متصنعين، وليس فى قلوبهم من الهيبة والمحبة شىء. وأخذت القرابين والضحايا مكانة الآلهة فلا عاطفة الحب

تبعثهم ولا الشعور الدينى يحركهم. تقدم الضحايا لتجلب المنافع وتدفع المضار، فالصورة تعنى والمعنى فيترك. وقد انقطعت الصلة بين الآلهة والمالوهين، وحالت الزعماء بين العبد والمعبودين، فلم يكد يتم عمل ويكتمل قربان إلا فى زعامتهم فتعسر الدين والتوى، واختفى الروح وايمهم، وغلب على بساطته النظام البرهمى الرسمى.

## الأرنيك:

الأرنيك أو الغايات، هى الجزء الثالث من الويدات و تتمه للبراهمن. وهى إرشادات للشيوخ المعمرين الذين يتركون الأهل والمال و يأوون إلى الكهوف والغابات للعبادة، فلا يتمكنون أن يودوا أهم واجباتهم الدينية من الضحايا لأنهم لا يجدون هناك من الأمتعة والأطعمة والأشربة ما يكفى بالواجب لها، و لا يتيسر لهم الزعماء لينوبوا عنهم فيها. فالأرنيك تهدى أمثال هذه الرجال إلى أعمال سهلة عليهم، تكفى لهم مئونة الضحايا الصعبة، وتؤثر تأثيرها و تعادلها أجرا و ذخرا بل تفوقها بمرات.

وفى هذه الكتب تقوم الأعمال الفكرية مقام النذور الواقعية. وتتوب الصور الخيالية عن الأجساد الحقيقية. فمثل الصبح برأس الفرس، والشمس بعينه والنسيم بروحه. ويعتقد أن أضحية مثل هذا الفرس خير من أضحية الفرس ذى اللحم والدم. و أمثال هذه كثيرة فى الأرنيك.

و بهذه الكتب قد أقدم البراهمة على تجديد الدين، وفتحوا بابا جديداً للأعمال القلبية، وجعلوا المراقبات النفسية، والاستغراقات التصورية ذات قيمة دينية وبها وقع تطبيق لطيف بالعواطف المتقلبة لمعتقيه، و قد انحطت القرابين عن مكانتها السامية، و تزعزع النظام البرهمى عن قاعدته. وتزلزلت الرسمية عن أصلها وتمهدت بها طريق إلى الخوض فى بواطن النفس، والاعتناء بالوجدان النفسى. فهى حلقة الاتصال بين البراهمن والأبنشد وواسطة بين الخارجية البرهمية والداحلية الأبنشدية. ولولاها لما ظهرت الأبنشادات. فميزتها



التاريخية ليست بأقل من ميزتها الدينية. ومشمولاتها بنفسها تدل على أن رتبها التاريخية متأخرة عن البراهمن وقد ظهرت بعد ظهورها بقرون.

## الأبنشد:

الأبنشد أو التعليم السرى هي جزء رابع للويدات، و تكلمة الأرنيك، وخواتم للويدات، فيقال لها ويدانت أى خاتمة الويد. وكأنها مشاهدات نفسية للعرفاء من الصوفية، قد دونت إرشادا للرهبان والمتسكين الذين قد مالوا إلى باطن الحياة و تركوا ظاهرها، فيبحثون عن العلة النهائية للعالم المرني ويطلبون العلم الحقيقى لمبدء الكائنات و منتهاها، ليس لهم مبحوث سواه ولا مطلوب وراءه. كل حياتهم طلب و جل سعيهم بحث. والكتب تشتمل على التحليلات النفسية، و توجيهات المظاهر الكونية، و تأويلات الآلهة والأرباب.

الأبنشادات من أجرء الاقدامات فى سبيل الحرية الدينية و تخليص الدير عن الرسمية البرهمية. قد ألغى بها النظام الدينى المتقدم بصورته وروحه أو أضيف عليه من غير تلميح إليه. بعدت الآلهة، و هدأت الأدعية، وندرت القرابين، و انحطت المراقبات عن درجتها، و نزل العلم والعرفان منزلتها. ولولا خالطت العاطفة الدينية والشعور الباطنى بهذا العرفان لصار فلسفة محضة، ولكن موضوع البحث والغاية وما فيها من العواطف الرقيقة والاحساسات اللينة قد جعلتها ديناً.

وعصر ظهورها هي القرون الأخيرة من العصر الويدى، و هي فى الطرف النهائى من كتب البراهمن، و تكلمة للشعور الدينى الذى قد بدأ فى القرون الأخيرة من العصر البرهمى، و أحس فى عصر الأرنيك. ومشمولات هذه الكتب تعد أساساً للفكر الهندى المتأخر، و مستنداً للمدارس العقلية القديمة فى الهند، و منبعاً لفلسفته الإلهية والكونية. و هي حلقة فكرية يتصل بها الفكر المتأخر بالدين الويدى القديم فالفكر المتأخر بشعبه المتشنة تفسير وشرح أو تأويل وتوجيه للفكر الأبنشدى.

## الدين الهندوسى وميزته:

كيان الدين الهندوسى و ميزته التاريخية، هى التسامح والتهادى بالعواطف المتخالفة والأفكار المتناقضة، إما بالجمع و إما بالتوفيق، فيأول فكرا إلى فكر ويرد عاطفة إلى عاطفة، فيتطور بتطورات الشئون ويتقلب بتقلبات الظروف. ولا يزال يجذب روح العصر فيبقى راقيا. ويقبل و لا يلغى بل يأول ويجمع. فالحلقات المترافية كلها موجودة فى الدين الويدى. فمذهب السمهتا يمثل مذهب القانون الذى كان دينا للامم المتوسطة بين الوحشية والحضارة الابتدائية، و مذهب الأبنشادات ينوب عن مذهب الروح الذى هو المرتبة العليا فى سلسلة الارتقاء الدينى. أما الأرنىك فمعبر تاريخى بين القانون والروح.

هذه المذاهب قد ظهرت مترافية متعاقبة، و لكن الفكر الهندى جمعها ووفق بين أفكارها المتناقضة و عقائدها المتباعدة فتقارنت و توافقت و سارت موازية متسامحة لا يناقض أحدها الآخر. و هذه مزية للذهن الهندوسى لا تكاد توجد فى أمم أخرى مثلها. وهذه الميزة باقية فيه إلى يومنا هذا.



# الفكر الهندوسي في العصر الوبدي

## ريغ ويد و ما يضمه من الأفكار:

ريغ ويد من أجل الويدات قدراً، فيتمثل فيه تاريخ الشعب الآرياني في مهدهم القديم و مقرهم الحديث، و تتضمن منظوماته على أحوالهم الدينية والسياسية والعمرانية والثقافية، تلمح فيه أخلاقهم و عاداتهم، ويشرح عن أسماء آلهتهم و صور عباداتهم. وفيه من الاشارات النفسية ما هو أساس لأبحاثهم الدقيقة المتعلقة بالتحقيق النفسى، و تبين عن تصورات كونية وأفكار إلهية قد ذاعت فيهم، فصارت مبادئ لفلسفتهم التالية، و مستندة لمدارسهم الفكرية المتأخرة.

و يضم هذا المؤلف ألفا و سبع عشرة منظومة تنقسم على عشرة منازل (أو دوائر) . منظومات الدائرة الأولى منسوبة إلى خمسة عشر رشيأ أو حكيماً. أولها المنظومات التي خوطب بها اغنى ديوتا (إله النار). و يتلوها ما دعى بها اندر ديوتا (إله الجو) من المطر والرعد والبرق، ثم جمعت الأناشيد التي حمدت بها سائر الآلهة. والدوائر الست التالية منسوبة إلى شعراء عديده من عائلة واحدة والترتيب كالسابقة والثامنة، كالأولى منسوبة إلى حكماء متعددة. والدائرة التاسعة أدعية إلى سوم ديوتا (إله الخمر). والدائرة العاشرة لعلها أضيفت بعد عصر اثروويد، فهي مصبوغة بالصبغة الهندية القديمة تضم السحر والرقيات لأنواع المطالب والتوهامات الخرافية مما يضمه أثرو ويد، فهي تذكارات لاختلاط الشعب الآرياني بالأقوام الهندية القديمة و قبولهم معتقداتهم، وتشتمل على دقائق ما تفكروا به في مبادئ الكون والخلق التي كانت منتشرة في القرون الوبدية الأخيرة .

ومنشآت هذا المجموع ليست بمنشآت عصر واحد، بل هي نتائج أفكار أجيال متعاقبة في قرون متتالية، فيجمع أفكاراً متشتتة المناهج متباعدة المرامي، ولكن فيها بساطة خلت منها القرون الأخيرة، قد صدرت عن شعور ساذج وروح صادقة لا سفسطة فيها ولا تدليس. والدين الذي يمثل الويد هو دين لشعب ساذج لطيف القريحة، خفيف النفس، شجاع، مقدم، نشيط القلب، يقصد صعاب الأمور فيسهل، ممتعا بوفرة الحظ لواجبات العيش، فأكثر منظوماته بسيط الفكر قد برزت عن أعماق القلب و تولدت عن عاطفة تعبدية، متوفرة بشعور ديني، فيها خشية ورهبة مع الا جلال والولع. لكن فيها منظومات أخر قد اختبأ فيها الشعور الديني الباطني، وانخفض الاخلاص الروحي، و غلبت الصورة، واستولت الدينية الرسمية واصطبغت بالصبغة البرهمية. وفيها منظومات تنبئ عن أفكار فلسفية لأذهان راقية تحفل بين إستنتاج المنطقيين و حيرة المتفلسفين، فتتصل بالعصر الأبنشدي الابتدائي. ليس فيها عقيدة واحدة تتوجه جميع المنظومات إليها بل هي أميال شتى، فمنظومات تنبئ عن التوحيد وأخرى تبين التعدد. و أناشيد تدل على وحدة الوجود و أبيات تدعو إلى الثنوية

## تصور الآله:

أما الآلهة الويدية فشخصيات منفردة ممتازة بسيرها، فهي مع تعددها متوافقة الأفعال، متماثلة الأعمال، تتعادل في صفات، و تتخالف في أخرى. ومدبرات للمظاهر الكونية، و متصرفات فيها. و كأنها القوى الفطرية والمبادئ الكونية. كيانهامترج بأوصاف صنمية، و صفات إلهية، وميزات كونية، قد اصطنعتها أذهان شاعرة ساذجة للجيل الابتدائي للشعب الآرياني. فأبانوا بما شعروا وكيفما شعروا. ونظموا ما وجدوا في أنفسهم من الخوطر والهواجس. فتقلبته الأمة كلها ووعتها وغنت بها وصارت مأخذا دينيا ضامة لشوارد الفكر وبوادرها بادئ بدء.



وكانت المظاهر الكونية الجميلة المعجبة والمناظر الفطرية العظيمة المدهشة باعثة لا يقاظ الشعور الدينى فيهم، فأعجبوا بها واستمتعوا بها فى محترفاتهم، وفاضت صدورهم تشكرا وامتنانا، و أخذهم الرعب والهيبة فأثنوا عليها و شكروا لها، و ظنوا أن لهذه المظاهر أرواحا و نفوسا حذو أرواحهم و نفوسهم، فتوصلوا بالمظاهر إلى أرواحها و جعلوها آلهة يعبدونها و يتقربون إليها بالقرابين والضحايا. واعتقدوا أن كل واحد من تلك القوى الكامنة وراء المظاهر رب و إله متبدد بنفسه، معبود و مسجود، يدعى عند الحاجات فيقضى، و يستل فيعطى، و يتبرك به فيبارك.

وكان الناس اذا دعوا إليها من آلهتهم أو أثنوا عليه أو تقربوا إليه بقربان، أقبلوا عليه بكل عواطفهم و جل ميولهم حيث يغيب سائر الآلهة والأرباب عن أعينهم ويختفى، و يصير إلههم هو ذلك الاله لا غير، فيسمونه بكل اسم حسن، ويصفونه بكل صفة كمالية. و يخاطبونه برب الأرباب، و إله الآلهة تعظيما وإجلالا لا تحقيقا وإيقانا، و اذا عطفوا إلى إله آخر غيره فيقوم هذا مقام الأول، و ينتزل منزلته و يصير رب الأرباب و إله الآلهة. فكان كلمتى "رب الأرباب و إله الآلهة" كانتا تدلان فى البدء على العظمة والجلالة، فمضت القرون والاعصار و هكذا المعتقد، حتى ارتقى الفكر وانتهى من اللفظ إلى المعنى و من الاسم إلى المسمى، فأخذوا يعتقدون أن فى صف الآلهة رئيسا و رؤسين، وأمرا ومأمورين، والأمر والرئيس هو رب الأرباب و إله الآلهة و هو أعظم و أجل. والكائنات بكل قضائها و قضيتها تحت يده وسائر الآلهة تحت أمره، وإسم برجا باتى (Praja Pati) (الموجودات) الذى كان يخاطب به كل إله قد صار مخصوصا له.

وهذه قدم راقية فى التاريخ الفكرى الدينى فى العصر الابتدائى الويدى،

وفتح لباب جديد عقلى. و ما نص ريغ ويد:

"أول ما ظهر هرنيا جربها (Hiranya Garbha) (البيضة الذهبية).

ظهر إليها للموجودات كلها

فأحكم الأرض و خلق السماء

فأى إله نتقرب إليه بالقرابين والنذور و نحمده؟

من يعطى النفس و من يؤتى القوة؟ و من ذا الذى يطيعه الخلق كله حتى

الإله المنور؟ من ذا الذى ظله موت؟ و من ذا الذى ظله حياة أبدية؟ أى

إله نعبده وأى إله نحمده؟ الذى صار ملكاً بقوته.

للذين يتنفسون أجمعين، للذين ينامون أو يستيقظون أجمعين،

للكل - إنساناً كانوا أو حيواناً - إله لا يزال.

من ذا الذى تدل على قوته و جلالته هذه الجبال ذوات الأثلاج

والبهار والأنهار الكبيرة؟

من ذا الذى بيديه بسطت هذه البلاد الفسيحة؟

أى إله نحمده بالقرابين؟

من ذا الذى نور السموات وأقام الأرض؟

من ذا الذى جعل الجو الذى هو فلك الأفلاك؟

من ذا الذى قدر طبقات الهواء المتسعة؟

أى إله نشئ عليه بالقرابين؟"

ع

## تصور الكائنات و كيف وجدت:

أما العالم، فكانوا يرون فى بدء العصر الريح و غدى أنه حدث بنفسه.

ونص فى بعض المنظومات أنه صنعة صناع. يقول الشاعر الريح و يدى "أى

خشب و أى شجر قد صنعوا منه الأرض و السماء؟ و قيل إنه نفخة كنفخة

الحدادين قد نفخه برهمسبتى (Birhams pati) أى إله الحياة، و اعتقدوا أن إله

الآلهة هو الخالق الذى قد خلق الخلق كله، فلقب بـ "وشوكرما"

(WishwaKarma) أى الخالق المطلق، وكان أزلياً أبدياً موجوداً بنفسه، ثم

ارتقى تصور الخلق إلى نحو من الظهور و الخروج من وجود واحد هو إله

الأبدية. و هو رب كل ما كان و ما يكون و هو المخرج و المظهر لجميع الكائنات

من الحيوانات و الجمادات و يتصورونه فى صورة مها برش (Mahapursh) أى البشر الأعظم. ويعتقدون أن الهواء قد خرجت من سرتة، والسماة من رأسه، والأرض من أرجله، والجهات الأربع من أذنه. و كثير من النصوص يدل على أنهم كانوا يعبرون عن إله واحد بأسماء متعددة مختلفة.

ثم أخذوا يتفكرون فى حقيقة العلة النهائية لهذا العالم و جوهرة الأقصى، وأين كان قبل وجوده، و كيف كان؟ و لم وجد؟ وما كانت صورة الكون قبل وجوده؟ فوقعوا فى التشكيك والارتياب، فغلبت الفلسفة على الاعتقاد. يقول الشاعر فى الدائرة العاشرة من ريغ ويد، وروح الفلسفة تلوح من مكامن معانيه:

"لم يكن وجود ولا عدم

ولا جو ولا سماة

أى شىء غشى ما غشيه؟

أين كان و فى حمى من؟

هل كان ماء مغارة عميقة؟

ماكان موت فما كان شىء لايموت.

لم يكن بين الليل والنهار أسفار

ذلك الأحد يتنفس بنفسه من غير نفس

اذ لم يكن شىء سواه.

فى البدء كانت ظلمة. كان الكل بحرا من دون نور من جرثومة كانت

مغشية بالقشر، وولد ذلك الأحد بقوة الحرارة فى البدء، غلب عليه الحب

الذى كان بذرة نامية عن العقل. طلب الشعراء فى قلوبهم. فبالعقل وجدوا

بذرة الوجود فى العدم. شعاعهم كان منشورا. فى تحت كان أم فى الفوق؟

وكانت حوامل البذور، كانت قوى، كانت القوة بنفسها تحتها. و كان

الأمر فوقا فأنن من يعلم و من أعلن من أين ولد الخلق؟

جاءت الآلهة عقيبها

فمن يعلم من أين خرج هذا؟



الذي قد خرج عنه هذا الخلق، هل خلقه أم لم يخلق؟

إنما يعلمه البصير العلى فى السموات العلى، و لعله لا يعلم".

فالمنظومة تمثل عصرا، قد خلع الاعتقاد جماله. وفقد الدين سذاجته، وأخذ الشعراء يخوضون فى الحياة والخلق، وجعلوا يتفكرون فى الخالق نفسه لا من عاطفة دينية بل بميل منطقى. الاعتقاد يخذلهم، والفلسفة يهديهم فتغشاهم الارتياحية.

## اثر ويدا وما يشتمل عليه من الأفكار:

اثر ويدا فى المرتبة الثانية من ريغ ويدا من حيث التاريخ والثقافة والدين، ويمثل دينا رسميا قد نشأ فى العصر البرهمنى المتأخر، و ينفرد فى ادعيته و منظوماته، وأكثر ما يضمه هذا الويد هى الرقيات والأسحار والأدعية للارواح الخبيثة من الجن والشياطين، وكأنها عماد هذا الكتاب. ويعرف المجتمع الهندى قد تقلب فى صورته و كيانه عن المجتمع الريغ ويدا، فيصور الحياة فى أسوء صورتها. قد صعفت ثقة الناس بأنفسهم وبآلهتهم. والكون موفور بالشياطين والأغوال، يخوفون الناس فى دينهم ودنياهم. والآلهة قد كفت أيديهم عن الخير. وزهت قلوبهم عن دفع الشر وانتصارهم. سخطهم دائم والرضا نادر. سئمت الحياة، و ذهب نصارتها، فصارت دغبة و مسخطة، وغشى الناس خوف وفتوى. يعون آلهتهم ويقدمون الضحايا لينصروهم و يكشفوا عنهم السوء، ويرصون الشياطين بالقرايين والرقيات ليتقوا شرورهم. يعبدون و يقربون القرايين خوفا منهم وطمعا، لا إجلالا لهم وحب. و قد أخذتهم الأوهام الواهية.

الويد نفسه تذكر لاختلاط الشعب الأريائى بالسكان القديمة فى القطر الهندى، و تهادنهم بهم، و مظهر تاريخى للتسامح الأريائى، وقوة اجتذاب من حورهم إليهم بالاحد والقبول والرد والإعطاء، فأثروا و تأثروا، ثم ضموا جيرانهم إليهم وصاروا امة واحدة. فالكتاب يمثل دينا أريائيا قد اصطبغ بصبغة وطنية، يؤلف بين الأشتات، ويجمع الآلهة الأريائية والآلهة القديمة الهندية، ويضم

العقائد والوساوس والأدعية والرقيات. قد تكمل فيه عدد الآلهة الويدية من القوى الكونية وغيرها من الأرباب الريغ ويدية والأرباب الهندية القديمة، وتمت جامعة الألوهية، لكن له مزية تاريخية في التقدم الفكري، لأنه معبر فكري للتصورات الأبنشدية المتأخرة فيأتي بكثير من المعتقدات التي قد ارتقت في الفكر الأبنشدي المتأخر، ويهيأ أساساً لأعمال كثيرة شاعت في العصور التالية. اعتقاد إله الآلهة الذي كان في ريغ ويد مبهماً و متردداً فيه، يصير في "أثرو ويد" عقيدة مقبولة. كال ديوتا (Kala Devta) (إله الوقت) و كام ديوتا (Kama Devta) (إله الحب) قدما إلهين جديدين. اسكمبها ديوتا (Skambha Devta) (إله العمدة) قدم علة أخيرة وأصلاً كونياً للعالم، وإلهاً للآلهة كلهم. ويعتقد أنه هو البشر الأعظم أو مهابرش (Maha Purusa) وبرجاباتي (Praja Pati) أو برهما (Brahma) (القوة الكامنة الكونية). ويضم الإله نفسه الدهر والخلاء وجميع الآلهة والقوى الأخلاقية الحاكمة في الكون وجميع الويدات. والنفوس الحيوى في الأشخاص أو "بران" (Pran) قد عمم ووسع فيه، فاعتقد أنه أصل حيوى للكون كله. الهواء الريغ ويدي قد رقيت إلى العوامل والحيوية وتوى الحساء، وعرض فيه تصور القصر الإلهي أي برهما لوك (Brahma loka) و تصور البهيم أي نرك (Narka) بادي بدء. ونسباً من الأعمال السحرية نوع من الساطنية والسرية. أي الجهد للوقوف على العوامل الكونية الكامنة، والتسلط عليها بالرياضات الشاقة المتعبة، فنبتت منها الاشرافية المتأخرة.

## يجر ويد و سام ويد و ما فيهما من الفكر:

أما الويدان الثاقبان "جر ويد" و "سام ويد" فليست لهما فلسفة فكرية سديدة الباحثين. و هما من الكتب المؤلفة في العصر البرهمي. فيمثلان عصران حسب فيه الرسم والتصورة على الروح والمعنى. و تقرب الشعور الباطني والسداجة العفيفة الريغ و يديتان إلى الظواهر الدينية، و التقشف البرهمي والضحية التي كانت مظاهر خارجية لعاطفة التشكر والاجلال، صارت قطبا لرحى الدين

الهندي، و حيلة لكسب الخيرات و دفع الشرور. والأدعية والأناشيد التي كانت  
لقدرة عن بواعث نفسية من الشكر والاحلال، قد افقدا الداعية وصارتا ألفاظا تتفوه  
بها الزعماء، وأصواتا تصيح بها العلماء، فوضعت لها أصول الغناء. وعينت لها  
المقامات والأوقات، ودونت لتحسين الصوت لهجات من المد والقصر والوقف.  
فتنزل الدين الويدي من وجهة العاطفة والشعور الباطني وترقى من وجهة الرسم  
والصورة.

وتلخيص القول إن الفكر الهندي الويدي قد بدأ بمشاهدة ظواهر الكون،  
وترقى من ألوهية القوى الكونية إلى عقيدة توحيد الوجود و اتحاد الخالق  
بالمخلوق و من الروح الشخصي والنفس الحيوى إلى نوع من الروح العالمى  
والنفس الحيوى الكونى، و مهد سبيلا للمشاهدة النفسى فى القرون المتأخرة.  
واستلزام القرابين لتأثيراتها المطلوبة سار أساسا لقانون عليا الأعمال البدنية، أو  
لقانون "الكرما" الذائع فى الفكر الهندي. و ثوية الروح والبدن التي قد نص عليها  
فى بعض المنظومات الويدية و جزاء الأعمال الحسنة والسينة بالسعادة والشقاوة  
فى الحياة الأخرى، تسببا لعقيدة التناسخ. وباطنية أثرو ويد مع الرياضات المتعبة  
صارت من مبادئ الصوفية والاشراقية فى القرون المتعاقبة. أما من وجهة  
اجتماعية فقد انتقلت السذاجة الحرة المنبئة فى العواطف والمشاعر إلى الرسمية  
الجامدة الراسية، فصارت وصلة للاتحاد الثقافى الهندي وربطتهم النحلية.  
والتسامح بالأراء المتضادة والتوفيق بين الأفكار المتباعدة متمثلان فى الأدب  
الويدي أحسن تمثيل. وهى مما يمتاز به الشعب الأريانى بين الأمم.



# الفكر الهندوسي في العصر الأبنشدي

## الأبنشديات و ما تضمنه من الأفكار:

الأبنشديات ليست بتأليف واحد، بل هي رسائل تبلغ عددها إلى مائة واثنى عشرة رسالة. أهمها وأقدمها العشر التي شرحها المفكر الهندوسي الشهير شنكراجارية (Shankaracharya) و يبدأ تحريرها من القرن السادس قبل المسيح و ينتهي بالقرن الرابع أو الخامس عشر المسيحي، والبعض من هذه الرسائل منثورة والباقية منظومة. والمنثورات أقدمها عصرا. و تعد من أقدم الأبنشديات ايتري (Aitareya) وكوستيكي (Kausitaki) وتيت تری (Taittiriya) وصاندوغيا (Chhandogya) وبرهد آرنيك (Rahad Arnik) والقطعة المنثورة من كين Keen ، و مندوكي Mandoke. والظن أن عصر إنشائها قبل بوذا، و هي لا تمثل عن رأى خاص في مذهب خاص، أما الأبنشديات الباقية فيلمح فيها آثار لمذاهب فكرية قد نشئت في القرون الأخيرة.

والأبنشديات ليست متحدة في موضوعاتها ولا متوافقة في أساليبها، لا تقدم رأيا واحدا، ولا تستند إلى معتقد واحد. بل هي مرجل لآراء متخالفة، ومشاهدات متناقضة و عرفانات متباعدة، إلا أنها تبحث عن الحقيقة الكبرى والعلة القصوى لهذا العالم المحسوس و مادته الأولى، ليتوسل بعلمها إلى السرور الحقيقي الباطنى الأبدى. فهذا البحث هو الجامع بين الرسائل، والأبنشديات تهيأ تاريخا لهذا البحث وطرقه و نتائجه، وكل منها رسالة مستقلة برأسها.

والرسائل القديمة تتوافق في أنها تبحث عن اتحاد الروح الشخصى الصغير بالروح العالى الكبير، والاعتقاد بأنه هو إله العالم وإله الآلهة، أما تفاصيله فتختلف هذه الرسائل فيها، بل ربما تختلف مشمولات رسالة واحدة، ففيها لكل فكر أصل و لكل رأى مستند، وإذا البيان مبهم غير واضح، فمن زاعم

إنها تمثل عن التصورية، و من قائل إنها تعرض المادية، و من معتقد أنها تشرح عن توحيد الوجود، و من ناظر إلى أنها تؤيد الثنوية. فكل يردّها إلى ما لديه من المعتقد، فيتمسك بما يوافق معتقده ويأول أو يترك ما يناقضه، فاختلّفت التعبيرات و تناقضت التشرّحات. و لو غض البصر عن التفاصيل و تسومح عن الجزئيات فعماد الأبنشادات القديمة هو التوحيد الوجودي، و هذا هو أوفق التعبيرات بروحها وأشهرها حتى يقال ويدانت (Vedanta)، أي خواتم الويدات أو الأبنشادات لهذا التعبير فقط.

وبالأبنشادات اكمل فتح الداخلية الأرنيكية على الرسمية البرهمية، وتم رد الفعل، فألغيت الأدعية والأناشيد و نسخت القرابين والندور، حتى الويدات والهنها، و رقت الفكرة، فالتمثلات الخارجية العالمية الأرنيكية للقرابين البرهمية قد تحولت بالمراقبات على التمثلات الداخلية النفسية، وأخذ العرفان مكان القربان، ولكنها لم تتخلص من التصور الأرنيكى تخلصاً تاماً، فطابع العبادات الأرنيكية باق في التصورات الأبنشدية واستغراقاتها ومراقباتها.

## الانعطاف إلى الداخلية:

الأبنشادات مبدء جديد لفكر هندوسى. محمد انعطف الذهن الهندوسى فيها عن الموضوعات الخارجية إلى النفس المفتكر الداخلى. فالآلهة الويدية موضوعات خارجية يقدرّون و يخلقون، يرضون و يغضبون، يعطون و يصابرون، ينفعون و يضرّون، فيعبّدون و يجلون. والآله الأبنشدى هو الجوهر النفسى الشخصى قد تكبر و توسع فصار عالماً، و تصغر و انضغط فصار أنا أو شخصاً، لا عبد و لا معبود، لا خلق و لا تقدير، لا رضاء و لا غضب، فلا قربان و لا عبادة. و عرفان هذه الحقيقة الكبرى هو مفتاح لكل سرور و كشف عن كل سوء. و من عرف هذه الحقيقة الروحية العظمى و أيقن أنه عينها فقد فاز، و من لم يعرفها ولم يوقنها فقد خاب. أما الأعمال الصالحة من القرابين والندور

135724

والصدقات فمما لا يعنى به، والرياضات والمراقبات وتقليل الطعام والشراب، وغيرها من الخيرات، فوسائل لنيل العرفان لا غير.

قد اختلف الناس فى توجيه هذا الانعطاف والتحول وتعليله، فقالوا ان التوحيد الويدى قد ارتقى إلى التوحيد الوجودى بين الداخلى والخارجى. وقيل ان تصور "هريا جربه" (البيضة الذهبية الويدية) مع تصور الخلق فى صورة الظهور والخروج الذى قد وصلت إليه الويدات قد ارتقى إلى مثل هذا التوجيه، والحق أن التصورات الويدية لا تصلح أن تكون مبادئ للتصور الأبنشدى، فالتصورات الويدية كلها ناظرة إلى ثوية المفكر والموضوع الخارجى وتغاير الاله والمألوه.

وعندى ان تصور القران وتأثيره اللازم قد رقى إلى داخلية الأبنشادات. أما توحيد الاله، والخلق فى صورة الظهور، وتصور الشر الأعظم الذى قد خرج عنه العالم وإحاطته به، وأزليته، وأبديته، وكون العالم ذا نفس حيوى حذو النفس الحيوى الشرى وغيرها من التصورات الويدية، فليست من الموصلات إلى الاتحاد، بل هى مؤيدات وموتقات للاعتقاد، فلما أحكمت العقيدة امتزجت بها هذه التصورات الويدية فأخذت معانى جديدة وتضمنت على إشارات حديثة.

ما زال الناس يعتقدون من العصر الريح ويدى أن فى العالم قوة عظيمة سحرية كامنة تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية، وإنشاد الأناشيد، وتقديم القرابين. وكانوا يسمونها بـ "برهما" (Brahma) فيتوجهون إليها بقرابينهم. وجعلت البراهمة تأثيرات القرابين لازمة، فبالقرابين تتهيج تلك القوة فتظهر تأثيرا مطلوبيا. والهدايا الأرنىكية قد جردت القرابين عن الضحايا المادية، وجعلها مراقبات على ظواهر كونية كأنها ضحايا. فنجد آثارها فى العصر الأبنشدى. فالأبنشادات تذكر أن كثيرا من الناس يتقربون بتمثلات الظواهر الكونية كالشمس والهواء والنار يتوجهون بها إلى برهما (Brahma). ثم ارتقى الفكر وأخذت القوة الكامنة مكان القران، وتجردت المراقبات عن تصورات القرابين، فصاروا يراقبون على أنفسهم كأنهم هم القوة الكامنة العالمية المؤثرة. والناس يستفسرون



عن حقيقة البرهما، وما هو؟ وكيف هو؟ فيجابون بالأعم فالأعم، والأنفع فالأنفع، والابقى فالأبقى من الظواهر الكونية. فكان تصور البرهما متراقيا درجة فدرجة، حتى وصل إلى أعم المظاهر وأهمها وأبقاها. فتصوروه في صورة بران (Peran) أو النفس الحيوى العالمى الذى نبذة منه فيهم، وجعلوه جوهرًا هوائيا. ثم وصلوا من التمثل إلى العينية وأذعنوا أن النفس الشخصية هي عين القوة الحيوية العالمية أو البرهما. فصار المفكر النفسى والموضوع الخارجى شيئا واحدا. وجعلوها أصلا، وعمموها ووقفوها بالتصورات الويدية والبراهمية والأرنىكية، وخلطوها وشرحوها بهذا الأصل. ودخل الفكر الهندوسى فى عصره المبتكر، وصار التصور يتصعد من الخصوص إلى العموم، ومن التعين إلى التجرد، ومن التضاد بالمظاهر الخارجية إلى التوافق بها. والأبنشادات هي تذكرة للبحث والرقى، تلمح فيها حلقات الاتصال بالعصور المتقدمة.

## البحث الأبنشدى:

الأبنشادات تبحث عن الحقيقة الكبرى الكامنة فى ظواهر الكون المستقلة، الباقية فى جميع تقلباته، ما هي؟ وكيف هي؟ وأين هي؟ لكن أبحاثها غير متقنة الاستدلال، كان الفكر فى درجاته الابتدائية لما ينضج. فيستدلون باتصالات لفظية بحتة، ويستنتجون من أصوات الحروف ومدلولاته، ويخلطون الحقائق بالغايات، ويعممون الخاص، ويخصصون العام، وينزلون القضايا الجزئية المطلقة منزلة الكليات الضرورية، ويزعمون التشابه فى التأثير أو الغاية عينية، و يذعنون التوافق الجزئى تلازما كليا، ويجمعون الحقائق بالحقائق بجامعة لفظية، ويستنبطون من قياسات شعرية أو خطابية نتائج يقينية.

وبالجملة رأى الأبنشدى ليس بنظام فلسفى ولا بفكر منطقى، بل قد أدرك مؤلفوها بوجداناتهم أن هنا جوهرًا عالميا بسيطا هو أساس الموضوعات الخارجية والمفكرات النفسية. فشرحوها وبينوها بأنواع من التشريحات وأحاء من البيانات. وكان فكرهم مرتكزا على تلك الحقيقة الغامضة الملتوية. فتوصلوا

إليها من كل طريق، ووصلوا إليها من كل ناحية. والأبنشادات تقدم نتيجة، وتعرض معتقدا، لا تأتي باستدلالات عقلية أو تحليلات نفسية توصل إلى هذه النتيجة أو تثبت هذه العقيدة. وأما ما يوجد فيها من القياسات والحجج فتببيها وتوضيحات فحسب. وجعلت الأبنشادات لهذه العقيدة قيمة عملية لا عقلية، فاتخذتها سبيلا للنجاة وطريقا إلى الفوز والفلاح، وصبغتها بصبغة دينية، أصلحت بها أعمالهم وهذبت بها أخلاقهم، وطهرت بها حياتهم.

## أساس البحث الأبنشدي:

ويبتدى البحث الأبنشدي باذعان أن هنا حقيقة إلهية، أزلية، أبدية، لا تختلف ولا تتغير. وهي أساس الاختلاف والتغير، قائمة في جميع التغييرات والتقلبات. وهي مبدأ العالم كله ومنتهاه. وسموها ببرهما. والحكماء العارفون يطلبون هذه الحقيقة ويستكشفون عنها. فيتفحصون المظاهر الكونية مظهرا مظهرا، ولا يجدون ما تطمئن به قلوبهم فيذرونها، وما أعيانهم السعى وهم في طلب دائم حتى وصلوا إلى حقيقة روحية وراء المظاهر، كامنة في بطونها، وهي حقيقة المظاهر وعينها. والمظاهر صورها وأسماءها، وهي عين الروح الشخصى المسماة بآتما (Atma) والأبنشادات القديمة كلها تشرح عن تلك المساواة: "الآتما برهما"، و "البرهما آتما"

فمن استكشف هذه المساواة وأذعن أن روحه وحقيقته الباطنة هي روح العالم وحقيقته فقد صار عين البرهما، وفاز بالسرور السرمدى، ونجا من قيد الحياة والممات ومتاعبها وآلامها، وأمن الموت، وتخلص من الأهواء والميول والعواطف، وتعالى عن الزمان والمكان، وخرج من سلسلة المعلولات والعلل. والاذعان بنفسه هو الدرجة القصوى فى الرقى الانسانى، وهو الخير الأعظم. كل خير سواه دونه، فلا خوف عليه ولا هو يحزن.

وتتضمن البحث آراء مختلفة فى تكوين العالم وظهور العناصر من الماء والتراب والهواء والنار، وترتيب ظهورها ومادتها وعللها وأسبابها، وكيف

ظهرت وما ربطها بالحقيقة الكامنة الكبرى؟ فتشرحها الأبنشادات كيف اتفق، وهو من أضعف أبحاثها وأوهن آراءها، مملوء بالتناقضات والتخالفات. أكثره أوهام غير مستند إلى مشاهدات حسية أو دلائل عقلية.

الأبنشادات، وإن ادعت أن حقيقة العالم هو الجوهر البسيط الوجداني الكامن، وهو عين الجوهر المفكر النفسى، والحقائق الخارجية إنما هي أسماء وصور لذلك الجوهر الباطنى. ولكنها ما تمكنت من توجيه العالم بمقتضى المعتقد، فأبهم عليها التطبيق والتوفيق بين المحسوس والمعتقد، فقالت إنها أسماء وصور، ومع هذا لم تجترئ على إنكار المحسوسات وإبطالها، فغاية ما قالت عن التوفيق والتطبيق هي إن العالم قد خرج من البرهما. وهو قائم به وسيعود إليه.

## البرهما:

إن العالم الخارجى المتكثر المحسوس ليس بمقصود على القدر المحسوس من الوجود المتغير المتقلب، بل فى باطنه جوهر مستقل بسيط وجدانى، لا يتغير بتغير المحسوس ولا يتبدل بتبدل الزمان والمكان، وهذا الجوهر القائم هو أساس لكل موجود وقاعدة لكل قلب. والمظاهر الكونية الخارجية منها، والنفسية، باطنها وظاهرها كلها، تكوناته وتطوراته، وهو عين المظاهر وحقيقتها، وهو مطلق من حيث ذاته، ليس فيه تقييد ولا تعيين، وأول لا بداية له، وآخر لا نهاية له، كل شئ منه وإليه، وهو الذى يتعين بكل تعين، ويتقيد بكل تقيد، وهو وجود بحت لا يوصف فى حد ذاته، بوصف إيجابى إيا ما كان، وغاية ما يقال فيه إنه ليس كمثل شئ، ويسمون هذا الجوهر ببرهما. فى صندوق الأشد "كان فى البدء وجود مطلق فحسب من غير اسم أو رسم متفرد لا مثل له، فأحب أن يصير متكثرا بأنواع الصور". وفى برهد أرنيك (Bṛhadāraṇyaka) "نصه" هو عين الوجود والقدرة والعلم". وجامع لصفات متناقضة تتوافق فيه الأضداد. وفى صندوقه "هو الخالق لكل شئ والمريد لكل أمر، وهو الذى يشم كل رائحة ويذوق كل مطعوم ويسرى فى كل شئ. وهو



القائم الذي لا يتأثر وهو فوق وتحت، أمام و خلف، يمين و شمال، وهو كل هذه. يقول العارف ياغيا ولكيا (Yagie Walkya) وهو الذي لا يسمع ولا يحس ولا يبصر، لا يفنى ولا يذاق ولا يشم، وهو الذي لم يزل ولا يزال، لا بداية له ولا نهاية له، وهو العين الأعظم. وتطلق الأبنشادات لفظ برهما على هذا الجوهر الكامن في حقائق الأشياء باعتبار كونه موضوعا عالميا، وتقول إنه هو الجوهر الداخلي النفسي الكامن في الجوهر المفكر الانساني المسمى بأتما، وهما متحدان بجوهرهما بل هذا عين ذلك.

## الآتما:

وقد اطلق لفظ "آتما" في ريغ ويد، تارة على الجوهر النهائي العالمي، وتارة على النفس الحيوى، وتطلق الأبنشادات على الأول برهما، وعلى الجوهر النهائي الانساني لفظ آتما. تجعل الأول عين الآخر كما ذكر. وهذا الاتما الذي تجعله الأبنشادات عين برهما، ليس هو الانسان الطبعي أو "انه منى اتما" (Annamai Atma) ولا للنفس الحيوى أو "بران مى آتم" (Pranmai Atma) الذي هو وراء الطبعي ولا النفس المريدة أو "منو منى اتما (Manumai Atma) التى هى وراء الثانية ولا النفس الشاعرة أو "وغيان منى اتما" (Wigian Mai Atma) التى هى وراء الثالثة بل هو جوهر وراء تلك الأنفس، وهو السرور المحض والطمأنينة البصة أو "أنند منى اتما" (Anandmai Atma) وليس هذا الإعبارة يعبر بها مسامحة، بل هو سكر غير مشعور به. وهو جوهر وراء العلم والشعور، فلا يحس ولا يدرك، وهو أساس الإدراك والاحساس وعماد الحياة الشاعرة وغير الشاعرة، وجامع المشاعر المتعاقبة، وماسك للحياة الشخصية، وباق عند العمل والوقوف واليقظة والنوم، فباق عند الموت لا يزال ولا يتأثر ولا يتغير، ليس له مكان ولا زمان، وليس في سلسله العلة والمعلول، وهو مادة أنا وانت وهذا وذاك، وليس أنا ولا أنت ولا هذا ولا ذلك، بل هو الكل فى الكل. وقد رويت فى صندوقيا حكاية إرسال الالهة

والشياطين رسولهما إلى رب الموجودات ليتعلموا علم الآتما. والحكاية تحليل  
نفسى تشرح عما يعنون بالآتما وهذا ملخصه.

"قد اجتمع الآلهة والشياطين يوما وذكروا أن من يعلم الآتما، يطيعه  
العالم كله ويدرك كل ما يتمناه. فارسلت الآلهة سيدهم إندرا (Indra)، والشياطين  
سيدهم "ويروصن (Werochan)، إلى برجافتي (رب الموجودات) فسنلاه عن  
ذلك العلم، فأمرهما أن ينظرا فى الماء ماذا ينعكس فيه من نفسيهما ففعلا، ثم  
رجعا وقالا كل الجسد ينعكس فيه حتى الشعر والظفر. فقال هذا هو النفس الآمنة  
من الخوف والموت وهذا هو البرهما. فرجعا مسرورين أما ويروصن فأذعن أن  
الآتما هو الجسد. وأما إندرا فاشتبه عليه الأمر فعاد إلى الرب وقال فاذن إن تزين  
الجسد تزينت النفس، وإن تزيا بزي حسن تزييت كذلك، وإن تطهر تطهرت، وإن  
عمى عميت، وإن فسد فسدت، وإن مات ماتت، فلا خير فى مثل هذا العلم. فقال  
الرب: النفس هى التى ترى الرؤيا إذا نام الجسد، وهى لا تخاف ولا تموت،  
وهى البرهما. فرجع إندرا، فافتكر ثم عاد وقال إن النفس التى ترى الرؤيا لا  
تعمى بعمى الجسد، ولا تعور بعور الجسد، ولا تسوء بسوأته، ولا تفسد بفساده،  
ولكنها تتأذى وتصاب وتحزن وتتألم وتخاف، فلاخير فى هذا العلم. فقال الرب:  
إذا أخذ الانسان نوم شديد لا يرى فيه الرؤيا فلا يخاف شيئا ولا يشعر بشئ  
ويصير آمنا مطمئنا، فهذه النفس النائمة بمثل هذا النوم هى الآتما، ولا يخاف ولا  
يموت وهذا هو البرهما. فرجع إندرا وافتكر ثم عاد وقال إن الآتما هو النفس  
الغرق فى النوم لا تشعر بنفسها ولا بغيرها من الموجودات، فاذن صار لا شئ  
وانعدم، فلا خير فى هذا العلم، فقال الرب: هذا الجسد فان والكل فى معرض  
الفناء، والجسد بيت النفس التى لا تفنى وليست بجسد، وهى التى تبصر  
والباصرة آلتها، وهى التى تشم والشامة آلتها، فهذه النفس الباقية. شعور محض  
وعلم بحت، وهذه هى الآتما وهى البرهما."

وفى صندوقيا الأبنشد مكالمة بين ايشست البراهمن أى الزعيم الدينى  
وبين ياغيلولكيا الحكيم تبحث عن حقيقة الآتما الذى هو عين البرهما، وهذا نصه.

"قال ايشست لياغيلولكيا: اشرح لى البرهما الذى هو عين الآتما والمتصرف فى الابدان بأجمعها، والموجود فى كل مكان. أ جاب ياغيلولكيا: آتماك هذا هو آتما الكل.

فقال : أى الآتما؟ أ هذا الآتما الذى فى صورة هذا الجسد أم الآتما الذى بصورة "النج شريرا" (Linga Sarira) أى الجسد الأعالى أم النفس الروحية؟ فأجاب: بل الذى يهيج "البران" (Prana) أى القوة الحيوية فيصير عينها ويفعل فعلها. وهذا هو آتماك وآتما جميع الموجودات.

## و جرت الأسئلة والأجوبة حتى:

قال ياغيلولكيا: أسئلك عن شئ وتجب عن آخر..... اشرح لى البرهما الذى هو عين الآتما والمتصرف فى الأبدان بأجمعها والموجود فى كل مكان. فأجاب "الأشياء تبصر بالبصر، وهو بصارة الأبصار، فكيف يبصر بالبصر؟ والأشياء تسمع بالأسماع، وهو سماعه الاسماع، فكيف يسمع بالسمع؟ والأشياء تشعر بشعور القلوب، وهو الشعور، فكيف تشعر بالشعور؟ والأشياء تتعقل بتعقل العقول، وهو التعقل، فكيف تتعقل بالتعقل؟ فأيقن أن هذا الآتما الذى قد شرحته لك متصرف فى الجميع وهذا الآتما آتماك، وكل شئ سواه فان."

## الذات البهتة المطلقة:

فهذه الحقيقة المستورة تحت أستار التعينات والسارية فى جميع الموجودات، مهمة فى ذاتها، مطلقة فى سنخ ماهيتها، ليست خارجية ولا نفسية. والنفسية والخارجية اعتباران لها، وهى عماد لهما، لا تدرك بأى إدراك ولا تشعر بأى شعور.

يقول العارف ياغيلولكيا "ليس بهذا ولا ذاك غير مدرك إذ هو لا يدرك، غير متغير إذ لا يتغير، غير محسوس، إذ لا يحسه شئ، وهو لا وجود، إذ وجوده ليس كمثل وجود نعلمه، وهو غير شاعر لا نفسه ولا غيره.

يقول ست كمار لنارو شارحا هذه الحقيقة "هو الدرجة العظمى، ليس فيه علم لشيء، ولا سمع ولا شعور ولا تعقل، وهو أبدى، لا يزال يتحد فيه السمع والسمع، النظر والناظر. ومعظم عظمته لذاته. والحق أنه ليس له مكان يتمكن فيه، وهو الأمام والخلف والفوق وتحت، وهو الكل".

فهذه الحقيقة مقامها التعرية الكاملة والاطلاق التام حتى قد عبر عنها بعض العارفين بالنفى المحض، فقالوا: "تيتي نيتي" أي ليس هذا، ليس هذا. وقال بعضهم إظهارا لعجزهم عن بيانها "تت تو ام اسى" (Tattuamasi) أي هو أنت. وعبر بعضهم عنها بالسكوت، وقالوا "إن سبيل معرفتها، أنها ليست بهذا ولا ذاك".

وقد شرحها ياعيلولكيا العارف لكارك البراهمن بالأوصاف السلبية وحدها، فقال "هو وجود ليس كبير ولا صغير. لا عرض ولا طول، ليس بمتلون ولا غير متلون. ليس له ظل وليس بظلمة، ليس بهواء ولا خلاء، لا يصاحب أحدا ولا يقارن أحدا، ليس برائحة ولا بطعم، لا عين له ولا لسان ولا أذن ولا قلب، ولا نور له كنور الشمس أو نور القمر. لا نفس له ولا فم، لا اسم له ولا ولد، لا هرم ولا موت، لا يخاف ولا يزال، ليس من صفاته إيجاد وتكوين، لا قبض فيه ولا سط، ليس فيه خفاء، لا أول له ولا آخر، ليس ببطن ولا بظهر، لا يطعم شيئا ولا يطعمه شيء" الخ.

وهذه الحقيقة المتعالية المقدسة المنزهة عن جميع شوائب الإيجاب حتى الإيجاد والتكوين والعلم والشعور، أساس للظواهر النفسية والموضوعات حارجية، وهي البرهما وهي الوجود والبقاء، والكل فان، وكل ما سواه فاسماء وصور لا حقيقة له.

## الخير الأعظم:

وقد جعلت الأبنشادات اكتشاف هذه الحقيقة والبحث عنها أساسا للسعادة الإنسانية ووسيلة للفوز بالنجاة في الحياة الدنيا والآخرة، فمن يعرف هذه الحقيقة



ويذعن أنه هو هذه الحقيقة يأمن المتاعب والمخاوف، ويصير كلاً في كل ويتلاشى فيها فيبقى ببقائها، وهو الآتما وهو البرهما، وهذا الاذعان والعرفان هو الأساس للأخلاق عند الأبنشادات، وهذا هو الخير الأعظم.

تقول الأبنشادات: إن الانسان في حقيقته الباطنة وجوهرة الكامن هو الآتما أو البرهما، لكنه محفوف بقوالب عديدة وهمية: الجسد الطبيعي والنفس الحيوية والنفس المريدة والنفس الشاعرة، وله بحسب هذه القوالب مطالب وغايات يلمح إليها ويسعى لها، فان أدركها وفاز بها فقد سعد وإلا فشقى. والقوالب نفسها تتأثر وتتغير، ومطالبها تتصرم وتتجدد، وصاحبها إما في كد الطلب او في ألم الفقد، فسعادته مشوبة بالشقاوة، فلا ينبغي أن تكون هذه غاية للجوهر الانساني القائم الباقي. وأما ما ينبغي للعاقل أن يطلبه ويسعى له، فيجب أن يكون باقياً لايبلى، ودائماً لا يفنى. غير مشوب بشقاء ما، سرورا لا يتغير، وفرحا لا يزال. ومثل هذا السرور لا يسعد به إلا من يستغنى عما هو خارج عنه، ويفرغ لما هو داخل فيه، فلا يطمح إلى أرض يغلبها أو مال يكسبه أو زرج يخطبها أو أبناء يلداهم، فكل هذه زاهقة، بل عليه أن يرغب عنها ويشغل في باطنه ويستغرق فيه ويذعن أنه هو الكل ويوقن أنه هو الحق القائم، وأن كل ما سواه باطل زاهق، فمن أذعن لهذا صار بنفسه كلا، فلا يتمنى شيئاً ولا يميل إلى شيء، إذ ليس في الوجود شيء سواه، فلا يرجو ولا يخاف ولا يموت ولا يفسد ولا يتغير ولا يتأثر ولا يجد شيئاً ولا يفقد شيئاً. وهذا هو السرور الدائم وهو العاية القصوى لنحيه الانسانية.

قال ست كمار (Sat Kumar) لنارو (Naroo) في صندوقيا الأبنشد:  
ومن يرى أنه هو الآتما، ويذعن ويوقن أنه هو، فهو في حصب العيش من نفسه.  
تلعب نفسه مع نفسه، وزوجه هي نفسه، وتتلذذ عينيه بعينه، وكأنه ملك الجنة،  
وهو الفائز المفلح في العالم كله."

وقال يم (Yama) إله الموت لنصكيتا (Naciketas) حين سئله عن بقاء الروح "البرهما لا يزال و من عرفه فقد وجد ما تمنى فلا يموت ولا يفنى"

وقال " الخير واللاذذ أمران، والسعيد من طلب الخير، وأما من اتبع اللذذ فقد الغاية الانسانية، واللذذ هالكة لا تبقى، فلا يقتص منها ما هو الأبقى".

## الأعمال الحسنة والسعادة:

والأبنشادات تحث على الصدقات والرحمة والصدق والعفة والعدل وغيرها من الأعمال الصالحة، وتتهى عن الظلم وقتل النفس حتى المؤذيات من الحيوان، والكذب وسوء الخلق وغيرها من الأعمال السيئة، ولكنها تراها وسائل للوصول إلى البرهما لا المقاصد.

يقول كوستكى الأبنشد "من وصل الأعلى فقد تعالى عن القوانين" وفي تبتريا الأبنشد "فلا يصيبه خوف من أنه لم يعمل الخير، أو أنه قد ارتكب الفواحش". ومن قرأ الأبنشادات يكون على يقين أن المثل الأعلى الأبنشدى إنما هو ترك الأهواء والأميال، وفقد العواطف والهواجس، وأما أخلاقها الايجابية التى تحض عليها فإنما هى درجات للرقى إلى المكانة العظمى، حتى إذا بلغ العارف إليها، لا يحتاج إليها بل لا تأثير لها فى حظه ورفقه، "هو أى الذى صار أزليا، علا على الاثتين : الخير والشر، لا يمسه ما يعمل، ولا ينقض حماه ويصير هو روح الكائنات وآتماه، يتلاشى فى البرهما، فأعماله هى أعمال البرهما لا له، ولا يهوى إلى شىء، ولا يريد".

يقول برهد أرنيك "قمن يصير الآتما فلا يبقى معه شىء من لذائذ النوم واليقظة، فكأنه نائم نوما ليس فيه شىء حتى الرؤيا، وتفنى العواطف كلها، فينجد من كل قيد، من الآباء والامهات بل من جميع العالم، فلا يبصر شىأ وتصير البصارة عينه، ليس بينه وبينها حجاب، وهذه البصارة لا زوال لها، فليس شىء سواه فيرغب ويتمناه، ومن عرف أنه هو الآتما فأى أمنية له حتى يؤذى لها جسده". وترك الا لتذاذ هو الالتذاذ المطلوب فى صنوغيا ومن يترك جميع اللذائذ ينق هذه الحلوة "فالسعيد من لا يميل إلى شىء فيطمعه ويطلبه،

فيتأذى إذا خاب أو يتألم إذا فقد ما كان قد فاز به". وكان العرفاء لا يتمنون  
الأولاد قائلين ماذا نفعل بالأبناء، ونحن العالم بأنفسنا!

## النجاة والتناسخ:

والأبنشادات تضع الأميال والعواطف موضع الأعمال في الفكر  
الهندوسى المتأخر، وهى المبدأ لتكرر الميلاد والمانع عن النجاة، فتقول "إن الميل  
يستلزم الارادة، والارادة تستلزم الفعل فى هذا الجسد، وان لم يصلح هذا فى  
جسد غيره، فقد جعلت الأميال لتكتمل، واذا لم تكتمل لم ينج الانسان عن دور  
الولادة. وإذا اكتملت نجى الروح وتخلص، وامتزج بالبرهما، سواء كان الاكتمال  
فى جسد واحد أو أجساد عديدة. فأما الذين قد تركوا الأهواء والأميال واطمننوا  
فى هذه الحياة بأنفسهم فقد نجوا وتخلصوا عن تكرر الميلاد والمعاد، و صاروا  
البرهما، وإذا صاروا البرهما فقد تعالوا عن تأثيرات الأعمال".

يقول البرهد أرنيك "من لم يرغب فى شىء، ولن يرغب وتحرر من  
الأهواء واطمننت نفسه فى نفسه، فلا يعاد إلى حواسه ويتحد بالبرهما فيصير  
هو، وإذا زالت الأهواء فالفانى يكون باقيا، ويدرك البرهما فى هذه الحياة" هذه  
هى النجاة الأبشدية.

وأما الذين لم يذعنوا أنهم هم البرهما فمأقهروا أهوائهم وقد عملوا  
الصالحات، فاذا ماتوا اتبعوا سبيل آبائهم، فتدخل أرواحهم فى الدخان ثم فى  
الليالى المظلمة فتتهى إلى القمر و تقيم فيه جزاء بما كسبت من الصالحات. فاذا  
نفدت الصالحات تنزل أرواحهم من القمر، فتدخل فى الخلاء ثم فى الهواء ثم فى  
الدخان ثم فى الضباب ثم فى السحاب ثم فى المطر ثم فى النبات وفى البذور ثم  
فى الرحم، فتولد من جديد. وهكذا حتى تصل إلى البرهما فتتجو.

والذين قد طهروا أرواحهم بالاذعان والرياضة يمتزجون بالبرهما،  
مارين فى اللهب والنهار، والشطر المنور من الشهر والسنة، والقمر والشمس  
والبرق".

ويقول ياغيالو لكيا في برهد أرنيك " إنه إذا مات الانسان يذهب روحه  
ثم يجمع هو نفسه، ويصورها في صور توافق أعماله، إن خيرا فخير وإن شرا  
فشر". وليس فيه من تكرار الميلاد ودوره.

## العالم المحسوس المرئى:

الأبنشادات وإن تدعى وحدة الموضوعات الخارجيه بالنفس المفتكر  
الداخلى بل بالأمر البسيط الوجدانى وراء الأثنين يتحد فيه الخارج والداخل، لكنها  
لا تبطل العالم المرئى المحسوس وخصائصه الطبيعية فتقول "ذلك الاله وهو نور  
الانوار، المتفرد بنفسه، قد خلق النار والماء والتراب من نفسه، وأراد أن يدخل  
يصير نفسا جهورا لها، ثم يبرز السماء ويأتى بصور لا تحصى فيقسم هذه  
الثلاثة. فاذا قسما أقساما ثلثة مزجها وركبها بأرواح كثيرة، وهو نفسها".

وفى برهد أرنيك شارحا الخلق " العالم ليست له حقيقة، وإنما هو اسماء  
وصور قد أفناه "هرنيا جريه" فى نفسه ولذا يسمى بالموت. وقد أراد أن يسوى  
القلب، فلما أذعن أنه ذوقلب شرع فى العبادة، واحتاج الماء لعبادته، فظهر الماء  
وقد أزيد الماء، والأرض هى هذا الزبد، ولما رأى جلاله عمله مسه اللغوب  
فظهر النار، فقسم نفسه فى هذه الثلاث..... ثم افكر وكلم، والويدات هى ذلك  
الكلام، وازدوج الكلام بالفكر فاستقرت النطقه، وصارت النطقه شمسا" الخ.

وتختلف الأبنشادات فى تفاصيل الخلق وترتيبها، ولكنها تتفق فى أن  
العالم قد خرج من العدم إلى الوجود بالارادة، وتلمح أن له حقيقة وراء الخالق،  
ومع هذا ترى أن العالم إنما هو اسم وصورة، والموجود الحقيقى إنما هو البرهما  
أو الأتما.

وتزعم الأبنشادات أن البرهما هو أصل العالم وطينته فتقول "إن مثل  
البرهما كمثل الطين للأوانى، فالأوانى إنما هى أسماء وصور ليست لها حقيقة



وراء الطين، فمن أدرك الطين فقد أدرك الأوانى، هكذا من أدرك البرهما فقد أدرك الكل".

ويرى بعض العارفين أن العالم كله حالّ في البرهما، يقول لشويت كيت أبوه وهو يعلمه "إن العالم جميعه حال في البرهما، ومثله كمثل الشجر العظيم الكامن في بذرة صغيرة، فينمو منه كما ينمو الشجر من البذرة فيصير عظيما، فالعالم كله نفس واحدة وهو الاتما، وأنت هو ذلك الأتما". فالعالم المتكثر قد خرج من البرهما وهو طينته أو بذره أو هو الحقيقة الكونية، وما سواه فأوهام وأسماء ليست حقائق.

وإن كان العالم هو البرهما بعينه، لكن العينية قد سترت عن أعين العالم "فلما خرج من البرهما نسي أصله، كأنهار شتى خرجت من بحر واحد". فلما افرقت وتشعبت نسيت أنها تشعبت من أصل واحد وهي كلها ماء واحد. وكذا "لا يعلم إذا يعود في البرهما ويصير شيئا واحدا، أنه قد امتزج بأصله بلى يتلاشى فيه" وكذا "أيها السعيد، كل حي إذا نام أو مات، وكذا إذا قامت القيامة يتحد بتلك الحقيقة الكبرى، ولا يعلم أنه صار هي" وإنما السبيل إلى العلم هو إرشاد المرشد ففي صندوقيا "وإذا علم المرء وجهة موطنه، استطاع أن يذهب إليه، فكذا يتمكن السالك أن يصل إليه إن أرشده المرشد بهذا، وإنما المانع من الوصول إلى ذلك اللطيف هو هذا الوجود الموهوم، فإذا زال تعرف أنك أنت اللطيف، والحق هو هذا اللطيف، وهو الروح الواحد".

وقد طبقت الأبنشادات بين وحدة الخالق والمخلوق، وبين الثنوية اللازمة عن نصوصها بأن العالم قد خرج من البرهما، وسيعود إليه، وهو سار فيه سريان الروح في الجسد وقائم فيه، فكأنه هو العالم، بل هو الموجود، وهو الباقي. والكل باطل هالك.

وملخص القول أن معظم نصوص الأبنشادات القديمة تمثل عن وجود واحد حقيقى هو أساس الجوهر المفكر الداخلى، والجواهر الخارجية للكائنات. والكمال الانسانى هو اكتشاف هذا الأساس والبحث عنه، والغرض من هذا

الاكتشاف والبحث هو الازعان والايقان أنه هو هذا الأساس فاذا أذعن هذا فقد صار بنفسه ذلك الأساس ونجا وتخلص عن جميع الآلام، وصار دائما بدوام ذلك الأساس وباقيا ببقاء ذلك الأساس، ويعلم من جل المباحث أن النجاة الأبنشدية. وفي التلاشى في ذلك الأساس. وتجعل الأبنشيدات الأميال والعواطف أسبابا للسعادة أو الشقاوة دون الأعمال، والأعمال إنما هي وسائط بين الأميال والنتائج. وتكرار الميلاد ودورانه إنما هو لاكتمال الأهواء والأمانى، فاذا اكتملت فقد انسدت باب التناسخ وامتزج الانسان بأصله، والعالم مخلوق وراء الخالق، والأبنشيدات مضطربة في تفصيل الخلق وترتيبه، وما استشعرت بالتناقض بين الوحدة التي تدعيها وبين الثنوية التي تلزم ببحثها. ففيها وحدة بحتة، وثنوية صرفة.

# الأفكار المعاصرة للابنشادات القديمة

## الحلقات الفكرية المزدوسية:

قد اكتمل بالمشاهدات الابنشادية رد الفعل للبرهمية الرسمية، وتمت بها الثورة الفكرية التي قد بدأت بالأرنيكية، واتجه بها الشعور الديني إلى وجهة باطنية نفسية، وارتقت عاطفة الدين من سذاجة الاعتقاد وملتويات الأعمال إلى تعمقات عقلية ومراقبات نفسية، فتمهدت السبل إلى مناهج فكرية شتى. وما كانت الثورة مقصورة على البرهمية الرسمية، بل أخذ الناس يفكرون بحرية كاملة في بواطن الحياة لتخليص الانسانية من بؤسها غير مباليين بالويدات ومن دون إستناد إليها ولو إستنادا إيداعيا، فنشئت حلقات فكرية أخرى سوى الحلقة الأبنشادية، تتوخى وسائل النجاة للانسانية المضغوطة تحت أوزار الأعمال السابقة المبذرة بذور البؤس للحصاد في الحياة اللاحقة. فتطلب منافذ للخروج من هذه الدائرة المشؤمة للحياة والممات، وتتجه إلى إتجاه أخلاقية سامية لتطهير الحياة عن أدناسها.

وأما العامة من الهندوس، فكانوا يدينون بالدين الويدي بتفسيرات برهمية، فيقدمون القرابين ويشتغلون بالرقى والسحر، ويلقون أنفسهم في الرياضات الشاقة المتعبة ليظفروا على القوى الفطرية، فينتفعوا بها ماشاؤا وكيف شاؤا.

وهذه الحلقات بأجمعها ترى الحياة من خصائص الروح المباين لجنس المادة والجسد، فتهم بأمر الروح حسب معتقداتهم التقليدية أو أفكارهم الاجتهادية، وتلتمس المثل العليا في هذه الحياة والنجاة في النهاية. وكان الغالب على الأمة التشائم بالحياة والتنايز بالانسانية، فترى الحياة الدنيا زائلة، ومتاعها غرورا، وبؤسها دائما، ونعيمها هالكا. وكانت عقيدة التناسخ شائعة في العامة والخاصة، وترى تقمص الروح جسدا بعد جسد، جزاء للأعمال أو عملا بالأعمال من دون

انتهاء كلاله وسخطا. وإتباع الأبدان والأضرار بالأجساد للسيطرة على القوى  
الطورية كان معروفا، والتبتل في الغابات والكهوف كان عملا مبرورا. وتزعم  
الاشتغال بالمراقبات الباطنية لتذكية النفوس وتطهير الأرواح من خير الوسائل  
إلى النجاة الأبدية. وكان العصر عصر الازدراء بالحياة، وعصر الرياضات  
والمراقبات والتبتل والانقطاع، وعصر القرابين والأدعية والرقى، وعصر البؤس  
والشقاوة. وكانت الأذهان متشتتة، والجامعة متفرقة، فيذهبون كل مذهب ويرمون  
كل مرمى. وأطلق الفكر عن التقليد وأسرعت النهضة العقلية. وكان جل سعى  
الامة عامتهم وخاصتهم المبتكرين منهم والمقلدين للهدنة الذهنية، والطمانية  
القلبية، فيلتجئون إلى مخدرات الأفكار، ويهربون من العمل، ويأوون إلى الترك  
فحفظوا الشعور عن الخارج وركزوا في الداخل ليطمئنوا فيه. وأذعنوا أنهم ما  
داموا يطمحون إلى خارجهم لن يقهروا على شهواتهم، وما دامت طائفة العمل  
متعلقة بأعناقهم لن يمكن لهم النجاة من متاعب الحياة، ولن يتيسر لهم الخلاص  
من تناوب الموت والحياة، ولن يفارقهم تداول السراء بالضراء. فزهدوا عن  
الحياة وازهدوا، ويئسوا عن الخيرات وأئسوا، وجعلوا هدف سعيهم وغاية  
مطلبهم العقبى وترك الأولى.

ولما كانت الأفكار متوافقة لكيان الذهن الهندوسى، ومشتمة على أسس  
ثابتة صالحة لأن تكون قواعد للأصول العملية لتطبيب الحياة وتخليصها عن  
بؤساتها، وحافلة على تصورات يمكن بمعونتها توجيه الامتيازات المتباعدة من  
الرفعة والانحطاط بين الأنواع المتباينة وبين أفراد نوع واحد، فأخذت تنمو  
وتتشعب حتى صارت مدارس فكرية متميزة متعارضة، قد انتمت إليها الحكماء  
والفلاسفة عصرا بعد عصر، وأصبحت مذاهب وجدانية، اعتنقتها مئات الألوف  
من العامة والخاصة قرنا بعد قرن، فتسكن بها الجمهور وتعصبوا لها، وتعاضده  
الفلاسفة بأفكارهم فأثبتوا وردوا، وزادوا وحذفوا، وأولو وفسروا، ونقدوا  
وعارضوا، فصارت ناضجة منطقية، حتى اكتملت نظما فلسفية، واشتهرت  
بالمعارضة والمعاضدة، واستمرت مثرة بمبتكرات أفكار الناقدين والمدافعين.



## الأفكار الفرديّة:

قد كانت بازاء تلك الأفكار آراء فرديّة، تختلج في صدور الناس منذ العصر الويدي، حتى استشعرت بقوتها الشعراء الريغ ويديّة وأدروها في منظوماتهم، وكادت أن تميل إلى الإلحادية المادية، الفوضوية الاستلذادية، وكأنها رد الفعل للأفكار الغالبة على الشعب الهندوسي من الهيئات والأخلاقيات المبنية على الاعتقاد من غير دليل، وكادت أن لا يكون لهذه الآراء من مطمح تطمح إليها ولا غايات تقصدها سوى الرد والنقد. وكان أصحاب هذه الآراء يقطعون البلاد، ويجوبون الأقطار، مناظرين من يخالفهم وأحياناً مجادلين ومكابرين، وماكان لهم متمسك يعتمدون عليه ولا مستند يعولون عليه، مفرعهم الارتيازية، ومعتمدتهم الحواس، وغايتهم الاستلذاد، ومنتهاهم المادية، ودعوتهم الفوضوية. وليس عندنا من هذه الآراء إلا ما حفظه غيرهم من مخالفيهم للرد عليهم.

وكانت الآراء متناقضة بكيان الذهن الهندوسي فلم يصادفها الناس بالقبول، فما تحزبوا لها لينصروها أو يذودوا عنها. ولم يكادوا أن يشرحوها فيوجهوا بها الحياة أو يكشفوا بها عن اختلافاتها رقياً و حطاً وبوساً ورخاء، وما داووا بها أسقامها، وما استخرجوا منها أصولاً يستعان بها في تطيب الحياة وتنزيهها، فنبتت بالأميال الشعبي وبانتت عن العواطف الديني، فصارت مبغوضة عند الناس كافة.

أما آراءهم المادية فبعضها، وإن كانت ذاقمة علمية صالحة لأن تكون مبادئ لأبحاث قيمة في الطبيعيات، لكنها بقيت غير مثمرة، إما لقلّة الوسائل في ذلك العصر القديم، أو لاغفال الناس وعدم المبالاة بها. أما أبحاثهم الإلهية والأخلاقية فما كانت مؤسسة على قواعد ثابتة. تقام عليها وتتفرع منها نظم حاوية للأخلاقيات أو الإلهيات، فاندمجت في مطويات الدهور والأزمان، وبالجملة إن هذه الآراء البديعة لم تجلب إلا حماية فرديّة في جيل بعد جيل وعقب بعد عقب،

ومع ما لها من التفصيرات، فلها الأثر البالغ في الحياة العقلية للهندوس كما سيذكر في موضعه.

## نشوء الفلسفة في الهند:

كان قدماء الهندوس أقل اعتناء بالتاريخ ومتعلقاتها، فليس عندنا من المواد التاريخية ما يعول عليه في توقيت تدوين الفلسفة ونشوء المدارس الفكرية فيهم، ولا يتيسر لنا أن نقول بالقطع كيف ابتدأت؟ وأين نشئت؟ ومتى تشعبت؟ وكم من مدارس قد بقيت؟ وكم نفذت؟ والذين ينسب إليهم المدارس، كم فيهم من أشخاص واقعية تاريخية؟ وكم فرضية خرافية؟ ومقاله التاريخيون الحديثون عن هذه الأمور فقياس وتخمين، استندوا لها على الشهادات القياسية الداخلية والخارجية.

والغالب أن الأفكار الفلسفية قد نشئت بمبادئ دينية، وأهداف أخلاقية، وأغراض عملية في عصر الابنشادات القديمة، ولكنها بقيت طوال العمر غير ناضجة، وجدائية غير محكمة بالدلائل المنطقية ولا مرتبطة بعضها ببعض، ومضت القرون حتى أخذت تترقى وتكتمل وأخذت تتكون نظاما تلو نظام ومدرسة فكرية بعد مدرسة فكرية، وجميع هذه المعه قد قدر بالتخمين بنحو من اثنين وعشرين قرنا تبدأ من نحو سنة ٨٥٠ ق. م. وتنتهي إلى منتصف القرن السابع عشر المسيحي وتعد السبع الأولى منها عصرا ذهبيا للفلسفة الهندوسية.

## النظم الفلسفية الهندوسية:

النظم الفلسفية الهندوسية ليست بمفكرات فردية، بل هي من مبتكرات أفكار طوائف من الحكماء المنتمين إلى حلقة حلقة قد تتالو في قرون عديدة، وولدوا في بلاد متفرقة، ونشؤوا في بيئات مختلفة. بدأ النظام برأى فردى أو مشاهدة شخصية، فجمع حوله أتباعا من المتعلمين والمعتقدين ينصرونه

وينشرونه ويدرسونه، فتبدؤ المعارضات والردود والانتقادات من حلقات أخرى، وربما تعقد لها المناظرات، وكثيرا ما كان أصحاب الآراء المخالفة لحلقة خاصة أو المبتدعين فكرا حديثا يسرون بها في البلاد والقرى للتبشير بها والدعاء إليها، فيناظرون دعاة آراء مخالفة وشيوخ حلقات أخرى، فيثبتون رأيهم ويبطلون آراء من خالفهم، فابتداع الفكر والمعاضدة يكسب الفكر القوة، فيثبت فيه ويحذف منها ويستدل عليه ويجاب عنه ويفسر ويؤل، وهذا كله لا يتم بعمل رجل واحد، بل يشترك فيه أتباعه من تلاميذ صاحب الرأي وتلاميذ تلاميذه، والذين قد اختاروه من الفلاسفة قرنا قرنا و جيلا فجيلا، فيتم النظام نضجا واتقانا، ويصير جامعا للأصول، وحاويا بالفروع، ومرتبطا بآراء معارضة، ومشتملا على أفكار معاضدة، فشرح نظام فلسفي هندوسي ليس بشرح لرأي واحد، بل هو شرح لأفكار كثيرة في عصور عديدة، أما تحليله كنظام شخصي، فلا يرجع إلى طائل، إذ المتأخر لا يمتاز عن المتقدم إلا بقليل من الحذف والاثبات أو التوجيه والتأويل، لأن الذهن الهندي يرجح الشرح على التأسيس، والتأويل على الإبطال، والانتماء على الابتداع، مع أن من المنتمين من هم أوسع علما وأغزر مادة وأوقد ذهنا وأبدع فكرا من مؤسسي النظام ومبذعيه، لكن قدامة عهد المؤسسين وقد استهم ومكانتهم في أعين الناس قد أفتق اللاحقين بالانتساب، ومنعهم عن الاستقلال، فصار مجال فكرهم ضيق النطاق، وأصبحت الفلسفة رواية وإتباعية.

## الأدب الفلسفي في الهند:

بدأ الأدب الفلسفي الهندوسي بالردود، والمناظرات، والخطابات، أو المكالمات والاشارات الموجزة، قد حفظها الناس بالسماع ورووها شفويا، ثم دونت وكتبت وتوقلت من عصر إلى عصر، فذهبت كثيرة منها وليس عندنا من ذلك الأدب القديم إلا بقية يسيرة غير منزهة عن الاختلاط والالتباس.

كان القدماء يعرضون في مجالسهم أو حلقات درسهم رأيا أو مسئلة، يدعون إليها أو يشرحونها وينقحونها فيستدلون عليها أو يبطلونها، أو يستلون عن

شيء فيجيبون، أو يأتي في مجالسهم من يرى خلاف رأى المجلس فيناظر فيناظرونه، فتحفظ هذه الأبحاث والدروس، وتعد أفكار هذا المجلس. وكثيرا ما تكتب مذكرات هذه المباحث بعبارات موجزة كأنها رموز وإشارات، وتسمى بسوتر (Sutra) أى "السلك" وكانت عبارات مقطوعة، أو جملا مفردة أو فقرات مقطوعة، يستعان بها على إحضار المباحث المسموعة المحفوظة، نحو "من تسلسل، أو "بناء على المعانى المتناسقة المفهومة من الجمل"، والغالب أنها مفتحات الأبحاث أو التصورات العمودية للبحث. ثم نسيت الأبحاث وبقيت "السوترات" فأبهمت وأشكلت واحتاجت إلى الشروح، فشرحها وفسرها العلماء حسب معتقدهم وطبق مزعومهم، فتخالفت الشروح، وتناقضت حتى صار السلك الواحد منخرطا للأل متباينة ومنتظما لنظم متعارضة، وطريق التدوين فى صورة "السوترات" كادت أن تكون من مختصات الحلقات الويدية المتأخرة، وهى المصادر النهائية للتصورات العقلية لهذه الحلقات، وأما غيرها من الحلقات فدونوا آرائهم من غير حذف وتقصير مفصلة أو موجزة. فالأدب الفلسفى الهندوسى عبارة عما بقيت من "السوترات" وشروحها، وشروح شروحها، ومنظوماتها وشروحها، ومختصراتها، والمكالمات، والخطبات، والردود وغيرها من الأساليب المناسبة للحاجة.

٤

## المدارس المشهورة للفلسفة القديمة:

القسم الأول المشهورة للمدارس الفلسفية ثنائية "أستك" (Astika) أى "هو موجود" و "ناستك" (Nastika) أى "هو ليس بموجود".

المدارس الأستيكية هى التعليمات لحلقات تعتقد الويدات كتبها إلهامية، وتستند إليها، وتعول على شهاداتها فى تصحيح آرائها وتوثيق أفكارها، وهى المدارس الويدية. والمدارس الناستيكية لا تعتقد الويدات كتبها إلهية عالية عن النقد والمعارضة، ولا تعتمد على شهاداتها فى أفكارها، بل تفتكر بحرية كاملة، واثقة



بنسبها وإستدلالاتها ومشاعرها وافقت الويدات أو خالفت، وهى المدارس  
الاحادية.

وأقدم هذه المدارس هى المدارس "الناستيكية" قد برزت فى نحو سنة  
٦٠٠ ق. م.، وأخر هذه المدارس هى "الاستيكية" قد نشئت وأخذت ترتقى فى  
نحو سنة ٣٠٠ ق. م. وتشخصت فى صور متعينة فى نحو سنة ٢٠٠ ق. م.  
أما المدارس الاحادية فالمشهوره منها ثلاث "الكارواكية" (Carvaka)  
والبوذية (Buddhism) والجينية (Jainism) وأما المدارس الويدية فست:  
السانخية (Sankhya) واليوجية (Yoga) والويدانتية (Vedanta) والميمانسية  
(Mimansa) والنيائية (Nyaya) والوشيشكية (Vaisesika)، ويقال لهذه  
المدارس الست "سد درشن" (Sad-Darsan) أى المدارس الفلسفية.

ولهذه المدارس أثر بالغ فى حياة الأمة، فى أخلاقهم وأفكارهم ودينهم  
ومطامحهم وغاياتهم، فقد اجمعتهم على مبادئ معتقدات خاصة متميزة عن  
الأمم كلها، وجعلت الهندوسية وحدة ثقافية وراء الوحدة الجنسية والجغرافية، وأثر  
بعض فى بعض وتأثر به حتى خفض هدير الاختلاف وصارت متحاملة متهادنة،  
وأصبحت مذاهب فكرية للشعب كلها من غير تكبر.

## الكارواكية:

والكارواكية، أى الفلسفة المنسوبة إلى ركن من أركان هذه المدرسة  
مسمى بكارواكا أو المنسوبة إلى فلاسفة اكولة، ويقال لها "اللوكانتيكية"  
(Lokayatika) (أى المنسوبة إلى العامة أو المتعلقة بهذه الدينا أو المذهب  
الجدلى) و "البرهسبتيية" (Brhaspati) (أى المنسوبة إلى برهسبتي الاله أو إلى  
رجل مسمى بهذا الاسم) على التحقيق ليست بفرقة فلسفية ولا بحلقة فكرية  
مخصوصة متميزة قد بدأت، فنشئت وأرتقت فانتشرت وانتشرت كسائر الفرق  
الفلسفية، بل هى نيز لكل من افكر من غير اصطباغ بصيغة اتباعية، ومن غير

عطف إلى وجهة روحية، وشم لكل من ابتغى سبيلا غير سبيل معهود للشعب. فكل من رأى رأيا يخالف رأى الجمهور فى أهدافهم وغاياتهم، وغض الطرف عن السماء وركز على الأرض، وأعرض عن الروحية، واشتغل بالمادية، أو أنكر بقاء الروح وتعذيبه باستمرار التوالد والتفانى، أو جعل مطمح الحياة غير ما طمحوا إليه، فهو كارواكى أو لوكايتيكى أين كان ومتى كان ومن كان وكيف كان، فأحيانا توافقت عدة من المفكرين فى رأى و أوانا تخالفوا، وقد يتعاصرون، وقد يتلاحقون، فينتقدون على أفكار الشعب ويبطلونها وينظرون أصحاب المذاهب الاتباعية فيفحمونهم، وماكانوا على درجة واحدة من الصحة والخطأ، ولا على موقف واحد من الجد والهزل، ولا على مستوى واحد من العلم والخبرة، فكانوا مصوبين ومخطئين، كان بعضهم مجدين فى المعارضة، مناظرين لتحقيق الحق وإبطال الباطل، والبعض الآخر مستهزئين فى المناضلة، المجادلين للافحام دون الاحقاق، وكان منهم ذا علم وبصيرة، ومنهم أصحاب جدل وسفسطة، لكنهم كيلوا بأجمعهم بكيل واحد، ونزالوا على منزلة واحدة، فنسبت إليهم الأكاذيب والأباطيل، ونشرت عنهم الأساطير، واندرست معالمهم، ونسيت خطبهم ومكالمتهم، ومحيت آثار أقلامهم، فيالسوء حظهم!

والكارواكية، ثورة عقلية فى وجه العقيدة التقليدية، وحركة فكرية فى سبيل العلم، قد بدأت تباشيرها بالعصر الريح ويدي بل قبلها. وبقيت غير بارزة لضعف ديبها مندمجة فى الأدب الويدى نفسه، راقية رويدا حتى استشعرت بنفسها، وأخذت تبرز وتميز عن العقيدة، فلم يتسعها نطاق الدين ومجال الاعتقاد، فافتقرت عنه واستقلت بنفسها واستبدت بشأنها، فبدأ التعارض بينها وبين الحركة الدينية، ونشأ التشاجر بين تيارها وبين السد الدينى، وتشعب الطريقان: طريق إلى الابتداعية وطريق إلى الاتباعية، فكل أخذ سبيله، ولكن الابتداعية لم تثمر لقلة الاعتناء بها وكثرة مخالفيها وبعدها عن كيان الذهن الهندى وتفضيحها الاجتماعى، فلم يتمكن حاملو ألوية هذه الحركة الحرة أن يشخصوا فلسفتهم، ويهذبوا غاياتهم، ويقوموا لها قواعد ثابتة، تكون أسسا للمباني الشامخة الفكرية،

ويعقدوا لها حلقات خاصة، فيثبتوا ويبطلوا ويبنو ويهدموا، وينتقدوا ويصلحوا حتى يكتمل فكرهم، ويتم رأيهم، ويتسع مجالهم، ويوافق كيان شعبهم.

ولهذه الحركة فضل كبير في توسيع مجال العلم وإطلاق الأذهان من قيود الرسمية الاتباعية، فنفس هذه الحركة مهدت سبيلا إلى الفكر الحر، وتسببت لنشؤ الفرق الدينية المطلقة عن الويدية، وفتحت بابا للانتقاد في الدين والاعتقاد، ولها تأثير عظيم في تقدم العلم ورفيه في الهند القديمة.

وللكارواكية قدح معلى في ابتداع علوم من الجدل والخلاف وآداب البحث وطرق الاستدلال والانتقاد، فانهم لما عدلوا عن الطريق المعبد، والسبيل الممهد، احتاجوا في تصويب موقفهم وتخطئة مخالفهم إلى الاستدلال والبحث والنقد، فاستخرجوا قواعدها، ودونوا ضوابطها، ومارسوا بها ليتيسر لهم المناظرة والمعارضة، ويسهل عليهم إحكام خصومهم وتصحيح ما هم عليه من المعتقدات. وكان المخالفون معترفين بقوة دلائلهم، ورجاحة بحثهم، وبلوغ منطقهم، فينتون بجانبهم عنهم ويوصون أتباعهم بالبعد عنهم.

ولقد كان لهذه الشرزمة القليلة في كل عصر تأثير ذو قيمة جلييلة في رقى الفكر الدينى، فاعلام الدين واساطين الروحية قد تأخروا في البدء، ثم تقدموا إليهم وإلى مدوناتهم، وتعلموا بآدابهم ومارسوا طرقهم، ثم قارعوهم بحججهم، وجابهوهم بأسلحتهم، وجعلوا يثبتون الاعتقاد بالعقل، وأحكموا الدين بالفكر وأدخلوا الفلسفة في الدين، فاتسع نطاق الدين، وتصلق الأذهان، وتطرفت الحرية في توجيه الدين وتشريحه وتسرى التعمق العقلى في سداجة الدين، فصار الدين فلسفة، وتشعب وتشتت.

## الأدب الكارواكى:

ولما كانت ذكاء قرائهم، وعبقرية طبائعهم، وجودة مبتدعاتهم مقرونة بحرية الفكر وانتقاد الاعتقاد وإبطال أمهات مسائل الدين لم يصادفوا بالقبول من الشعب، بل صاروا مبغوضين للعامة والخاصة كليهما، فما نفقت أفكارهم. ولعل

البوذيين كانوا أول مبغضيهم، ثم ارتفع الشقاق وعلل صوت الخلاف واشتهر عنهم الانتقاد، فأسخطتهم الحلقات الويدية أيضاً وأنكرت عليهم.

والكارواكيون قد بحثوا في موضوعات شتى، ودونوا علوماً جمة، وألفوا كتباً قيمة، فكان أدبهم محتويًا على فنون عديدة من أصول المنطق وآداب البحث، ومن الفلسفة على الانتقادات على الآلهيات الدينية والأخلاقيات المقبولة، وأفكارهم فيهما ومجادلاتهم السفسطية ومناظراتهم. وقد رتبوا الإشارات المقطوعة أو "السوترات" على مذهبهم، وشروحها، لكن قد لعب الزمان بها فأفناها، فما بقي من كتبهم في أيدينا شيء إلا ما نقله أصحاب المدارس الأخرى للإبطال والرد، وكاد أن يكون كثير منها مختلفًا عليهم، أو أفكاراً مردودة لديهم، أو آراء لرجال لا يعاب بهم، فقد وقع في آرائهم الخلط والالتباس، وامتزج الرطب باليابس، وها نذكر نبذة من آرائهم الفلسفية المنقولة في كتب غيرهم من الأقدمين من البوذيين وغيرهم بعد التنبيه أن هذه الآراء لا تمثل رأي مدرسة فكرية وحلقة فلسفية بل هي آراء فردية لفلاسفة قد تفكروا مطلقين عن قيود الدين غير مستندين إلى حلقة من الروحانيين.

## نظرية العلم:

كثير من تصوراتهم المادية والأخلاقية بل جميعها كانكارهم الروح والاله الحق، والثواب، والعقاب والخير الأعظم وغيرها، ماخوذة مباشرة من حصرهم أسباب العلم في الحواس، وإنكارهم العلم بالكليات، وقناعتهم بالمحسوسات المادية الجزئية، وعدم تقنهم بالشهادات السمعية. فكانوا يرون الحواس الظاهرة أسباباً وحيدة للعلم بالأشياء، ولا يقيسون غير المحسوس بالمحسوس، ولا يجوزون انتزاع الأحكام الكلية من أحكام جزئية محسوسة، فكل ما هو غير محسوس بأحدى الحواس فهو غير موجود. أما الانتاج والقياس فلا يفيد القطع، ويقولون إذا رأيت مثلاً دخاناً على جبل وأيقنت بوجود النار عليه. فإيقانك هذا إنما هو لمجرد اعتيادك برؤية الدخان مقرونة برؤية النار. وليس

بينهما علاقة قطعية توجب وجود الآخر بوجود الاول، فان العلم القطعى بوجود النار لوجود الدخان منتج من مقدمتين من أن هذا مكان الدخان. وكل مكان الدخان مكان النار. فهذا مكان النار. أما الأولى فقطعية محسوسة مبصرة. وأما أن كل مكان الدخان مكان النار وهى كبرى القياس فصدقها غير مقطوع به، فان الجزم بثبوت مكانية النار لكل مكان الدخان متوقف على ثبوت التلازم الكلى بين الأوسط والأكبر من غير تخلف طردا وعكسا، من دون اختصاص بمكان أو زمان. وثبوت مثل هذا التلازم لا يتم إلا إذا تفحصنا جميع المواد الوجودية والعدمية بحيث لا يشذ عنها شىء، واستوعبنا جميع الأزمان من الماضى والمستقبل والحال، واستقرينا جميع الأمكنة من هنا وهناك، ومثل هذا التفحص والاستيعاب والاستقراء مما لا يمكن خصوصا فى الماضى والمستقبل، وإحاطة المواد العدمية عليها أحد، ومالم يجزم بهذا لم يجزم بذاك وأما إذا أثبتنا التلازم بينهما بقياس آخر يلزم التسلسل المستحيل، وأما أن مثل هذه العلاقة محسوس بين الحاشيتين فباطل بداهة، فانا لانرى منها فى شىء من الأوسط أو الأكبر أو كليهما، وأما أن مثل هذه العلاقة فموجود بين طبيعتهما، أى فى طبيعة الدخان النوعية وفى طبيعة النار النوعية، فأيضاً مما لا يبصر ولا يحس، وإن سلمناه فثبوت ما للطبيعة لجميع أفرادها فأيضاً مما يحتاج إلى التفحص التام والاستقراء الكامل وقد سمعت ما عليه. وأما إثبات العلاقة بينهما بشهادات. الثقات، فأيضاً مما يتوقف على قطعية الانتاج من أنه هذا قد شهد به الثقات، وكل ما شهد به الثقات فهو قطعى الصدق، فما لم تجزم بكبرى القياس لم تجزم بصدق هذه الشهادة ودونه خرط القتاد. وأيضاً إذا فرضنا توقف قطعية الانتاج على الشهادة فلم يكن الانتاج مفيدا للجزم بنفسه. ولما لم يكن الانتاج مفيدا للجزم والقطع فتكون النتائج الموصلة بالقياس صادقة أحيانا وكاذبة أحيانا أخرى، وكذا الكليات المستخرجة من مثل هذه الأقيسة المذعنة بحسب الوجدان من غير دليل حسى، مظنة للصدق والكذب والصواب والخطأ.



وبعض المتأخرين من الكارواكية قائلون بصحة الانتاج في المحسوسات، فان الاستقراء التام، وإن لم يمكن لا في المحسوسات ولا في غيرها، لكن إستقراء الجزئيات الكثيرة التي يتوسل بها إلى الجزم بالحكم الكلي مما يمكن في المحسوسات. أما غير المحسوس منها فمما لا يمكن إدراك جزئى منها بالحس الظاهر، فلايستخرج منها حكم جزئى فضلا عن حكم كلى، فاذا بطل الاستقراء بطل الانتاج اتوقفه عليه، فاعتقاد الحياة بعد الموت، ووجود الروح قبل الجسد، وبقائه بعده، وحلوله في الجسد جزاء بما كسب، والنجاة بالاندماج في الروح العالمى، وغيرها من المعتقدات الدينية المتعلقة بالعالم غير المحسوس، فمما لا سبيل إلى إثباتها. فلا يجزم بها فكيف يعتقد بها؟

## الروح والمادة:

ويترتب بالمباشرة على هذه الفلسفة للعلم من أن المحسوس هو المعلوم، وإن الموجود هو المحسوس لا غير. وانما المحسوس بها هي المادة فقط فهي الموجودة، فأنكروا الروح مابيننا للمادة موجودا قبلها أو باقيا بعدها، وقالوا إن العناصر البسيطة للعالم المحسوس أربعة: التراب والماء والهواء والنار. أما العنصر الخامس الذى قد ذاع فى الطبيعيات الهندوسية من الفضاء، أو الخلاء، أو "أكاش (Akash)" فلم يقولوا به لعدم العلم به حسا. يقولون إن هذه البسائط الأربع أزلية أبدية، وجميع الظواهر الحسية الشاعرة منها وغير الشاعرة متكونة ومتولدة منها.

والشعور من خصائص الجسد، لأنه ما أحس به من دون جسد بل يوجد بالجسد ومعه، فهو متولد منه بتركيب العناصر المادية وإختلاطها، كما يتولد اللون الأحمر مثلا من ورق التتبول، والفواقل، والنورة إذا تركبت عند مضغها، أو كما يتولد السكر من مواد غير مسكرة عند التخمير من غير شمول مادة أخرى فيها. فمجرد وجود الشعور في بعض الأجساد لا يوجب فرض جوهر غير جسدى وراء هذه العناصر الأربعة شاعرا بنفسه ومفتكرا بذاته مسمى بالروح،

فالروح هو هذا الجسد المحسوس المتحيز الموصوف بالشعور، كما أن الطفل، والشباب، والشيخ أجساد خاصة وليست بذوات متمائزة عن أجسادها بل هي أحوال عرضت للجسد وأوصاف طرأت عليه، إذ لا فرق بين "أنا سمين" و"أنا شاعر" إلا من جهة المحمول، أما الموضوع والمحكوم عليه ففي كليهما هو "أنا"، والمراد بأنا في الأول هو الجسد حتما وكذا في الآخر. وقال بعضهم إن الروح هو الحواس الظاهرة من السامعة والباصرة وغيرهما، وقيل هو النفس وقيل هو العضو المفكر الجسدى.

ويتبع هذا أنه إذا انحل هذا الجسد وتلاشى، انحل الروح وتلاشى، وذهبت حياتنا الشاعرة بمشاعرها، فهي تبدو ببدء الجسد وتنتهي بانتهائه، لا تحل في جسد ولا ترحل إلى آخر، وإلا فلنشعر حياتنا الأولى في أجسادنا المتقدمة، وتستمر تلك الحياة في أجسادنا المتعاقبة المتوالية من غير انقطاع الشعور، وليس الأمر كذلك فإن شعورنا مقصور على حياتنا هذه من غير اثره من الحياة المتقدمة، ومن دون خبرة بالحياة المتعاقبة. ولو كان هناك أمر مباين للجسد شاعر بنفسه. لكننا نشاهده مجردا عن المادة عاريا عن الجسد، أو نشعر بأمارات وجوده، والأمر ليس كذلك.

ويقول بعض دعائهم "من أخامص الأرجل إلى أصول شعرات الرأس طولا، ومن اليمين إلى الشمال عرضا، ومن الحشا إلى البشرة كلها روح. مادام الجسد دام الروح وليس غير الجسد. الروح جسد، والجسد روح، وإذا مات مات، فعند إحراق الجسد لا يبقى شيء سوى العظام البيض ولا نرى من روح باقية. السف يسلم عن غمده، فيذعن أن السيف كان في الغمد. أما الروح والجسد فأنى هذا من ذلك، ولا سبيل إلى التمييز بين الروح والجسد فكيف يدعى أن الروح حال في الجسد. ليس الروح غير جسده حتى يذهب عند موت الجسد إلى دار أخرى فينعم أو يعذب. وإذا تمزق الجسد لا يرى فيه شيء من روحه كما أن الإناء إذا انكسر لا يخرج منه شيء هو روحه، بخلاف الغمد والسيف فيريان متمايزين أحدهما عن الآخر".

## العالم خير المرئى:

ويقولون إن العالم هو هذا العالم المحسوس المادى، لأننا لا نعلم سواه، ولا نرى غيره، ولا نحتاج إلى فرضه. أما الأخبار الواردة بثبوت ذلك العالم لتجرى فيه كل نفس بما عملت، وتحصد مازرعت فى هذا العالم، فأكاذيب وأساطير. قد وضعتها الزعماء الدينية لاضلال الناس ليأكلوا أموالهم بالباطل، فإنا إذا مزقنا كل ممزق، إنا لفى خلق جديد. ذلك رجع بعيد. بل أعمالنا مقصورة على حياتنا هذه لا تبقى ولا تستمر حتى نثاب أو نعاقب، ومن ذا الذى رأى منها باقية بعد ما أهلكنا الدهر؟ إذا لنتمتع بحياتنا هذه. ومن رأى جنة أعدت للمتقين أو جهنم برزت للمعتدين؟ كلها أباطيل افتروها وهفوات نشروها لساذجة الأذهان وخفيفة العقول ليستمتعوا من مكاسبهم ومطاعمهم وملابسهم.

يقول اجت الصارواكى "الصدقة والقربان والنذر كلها ليست بشيء. الدنيا والأخرى كلتاها باطلتان. لا فيها أب ولا أم ولا حيوان محدث من غير أب وأم (أى كلها سواء) ليس فى هذه الدينا راهب أو برهمى، قد بلغ إلى الدرجة القصوى، أو سلك على سواء السبيل من غير تقصير، أو وصل إلى العرفان فى الدنيا أو الآخرة على بصيرة منه، فيلقيه إلى الناس".

"الانسان مركب من أربعة عناصر، فلذا حلله الموت، يذهب ترابه فى التراب ومائه فى الماء، وناره فى النار، وهوائه فى الهواء وطارت قواه فى الخلاء. حاملو نعشه الأربع يذهبون بخامسهم الجسد الميت إلى المحرقة، والناس يشايعونه عادين محاسن إلى أن يصلوا المحرقة فتبيض عظامه (باحراق لحمها) وتصير رمادا" (أى تفنى).

"الصدقات والسخاء من خرافات المغفلين، والقول بأن فيها أجرا للعاملين فكذب وهراء، البله والعقلاء كلهم سواء إذا ماتوا، وتمزقوا وتلاشوا فلاتبقى منهم باقية".

## العالم وتكوينه:

ويقولون إن هذا العالم المرئي بجماداتها ونباتاتها وحيواناتها قد حدث بنفسه ونشأ بطبعه. التركيب والتحلل والتحول والتطور من الخصائص الطبيعية لمادة. كما أن النار حارة والماء بارد. أن الفطرة قد ودعت الحرارة في طبع النار والبرودة في طبع الماء. فكل شيء في هذا العالم يجرى بمقدار فطرته وعلى سنن طبيعه. والعناصر تجتمع وتختلط فتتركب وتتفرق وتنتشر. فتتحلل فتحدث هذا العالم الانيق بصوره العجيبة وألوانه الرائقة. لها قوانين من أنفسها وخصائص من ذواتها. ظواهرها فطرية وأحكامها طبيعية. لاخير في هذا العالم ولا شر. لا فيه آلهة يتوخى رضائهم بالضحايا والأدعيه ولا شياطين يتقى سخطها بالندور والاسحار. ليس ههنا حفظة يحفظون الأخيار، ولا نغمه ينقمون من الأشرار. لا هداية ولا ضلال، فكل يعمل على شاكلته، ليست لها غاية إلهية وليس عقبها شعور سماوى. كلها مهتدية بالفطرة العمياء ومقتدية بالطبيعة الصماء مساقة إلى ظلمة ظلماء. ويقول قائل منهم لأجات شترو (Ajatasatru) "الحيوانات يتألن لأنفسهن لا لمولم يؤلمهن. ويتطهرن لأنفسهن لا لمطهر يظهرهن. لا تأثير للأعمال، لا لأعمالهن ولا لأعمال غيرهن. لست في الأعمال من قوة. ليس في حيوان ولا في نبات من قوة واختيار فيتشكلن في أشكال متنوعة ويتصورن في صور مختلفة بأنفسهن وبطبائعهن فيتلذذن ويتألن".

## الخير الأعظم والحسنات والسيئات:

ولما كانت الحياة عندهم مقصورة على الحياة الدنيا، والنعيم هو نعيمها، والألم هو ألمها، وهما ينقطعان بانقطاع الحياة فليس عندهم للإنسان مطمح وراء الاحتفاظ بلذائدها والتوقى عن آلامها. لا ثمرة للخير ولا تبعه للشر، بل لا خير إلا الاستمتاع بنعيمها، ولا شر إلا الابتلاء ببوسها. والعاقل من يستوفى حقه من نعيمها ويتنحى عن بوسها ما استطاع. الأعمال لا تسعد ولا تشفى، لا حسناتها

ولا سيئاتها. لا نئاب بالحسنات ولا نعاقب بالسيئات. فمن أضل عندهم ممن ترك صفو العيش وأثر كدرها، أو نهى النفس عن الهوى وانخص عليها العيش بالتقوى. وقال بعض قائلهم "الذين يستفتون عن قتل الحيوان وتمتع الناس بما تستلذ به الأنفس وأخذهم ماليس لهم فيه من الحق، هل هي جائزة أم غير جائزة؟ فهم لا يعملون طبق ما ينحوه الحياة". ما الحسنات إلا الغرور، وما الحق إلا اتباع الشهوات. السعيد من يسعد بخيرات الحياة، والشقي من يشقى بها.

ليست الحياة خيرا محضا ولا شرا صرفا. خيرا ممزوج بشرها وشرها مزدوج بخيرها. وقال قائلهم معترضا على البوذيين. "الذين يدعون الناس إلى ترك اللذائذ لأنها ممزوجة بالمكروهات والمؤلمات، فليسموا لنا من هو الحازم الذي يترك الأرز ويعفه، لأنه وإن ضمن حبوبا جيدة محاط بالقشر". وما النجاح في هذه الحياة إلا الاستكثار من الخير والاقبال من الشر. والناس فطروا على الأهواء والشهوات ليأخذوا حظهم منها، فليستوفوا حقهم من مشتبهاتهم وليستوفروا حظهم من رغائبهم من المطعم والملبس والمسكن، ومن كل ما تشتهى بها أنفسهم من غير تقصير ولا عدل وضبط، فيعتدون ويعتدون فلا إثم عليهم ولا تبعة إليهم، فحظهم ما نالوا وحسرتهم ما فاتهم، لا إله ليراهم فيعاقبهم فيرضوه أو ينعم عليهم فيشكروا له. ولا جنة فيرجوها ولا جهنم فيخافوها. ولا مرجع للحياة إلا الموت، ولا مطمح للحي إلا الفناء، وما النجاة المطلقة إلا إياه. ومن طلب وراء ذلك فقد سفه نفسه وضل وأضل. والموت ينجي الكل ويسوى الجميع، فلا يمتاز بعده خيارهم عن شرارهم. لا الخير ينجيهم ولا الشر يهلكهم، فينجو الظالم والمظوم والقاتل والمقتول، لا يزيد هذا على ذلك ولا ينقص ذلك عن هذا.

وقال فورن كيسب الصارواكي للملك "اجات شترو" حين سنله الملك عما حصل له من تبتله ورهبانيته: "أيها الملك من يعمل بنفسه أو يعمل غيره، ومن يقطع أيدي الناس وأرجلهم أو يقطع غيره بأمره، ومن يعزر بنفسه أو يأمر صاحبه بالتعزير، ومن يعذب الناس، والذي يرعد أحداً أو يرعد غيره بأمره،



والذى يقتل حيا أو يسلب من الناس أموالهم، والذى ينقب الجدران ليسرق، والذى يغير على الناس أو يغبنهم أو يقطعهم طريقهم، والذى يزنى أو يأتى بالكذب والفواحش فلا إثم عليه. ومن يجعل كل ذى حياة هضبة من اللحم بسيفه الحاد كالموسى فما ازداد فى إثمه وما أنقص من خيره، ومن لا يزال يتصدق قاعدا على الطرف الجنوبى من نهر "كنج" أو يتصدق غيره عنه أو يقدم الضحايا بنفسه أو يقدم غيره عنه، فما عمل خيرا ولا ازداد فى خيراته. ليس فى الصدقة، ولا فى ضبط النفس ولا فى عفة الحواس ولا فى الصدق من الفضل شىء".

وملخص القول إن الصاروا كية فلا سفة يتصل تاريخهم بالعصر الويدى القديم وكثير من آرائهم قد تطرقت فى الويدات نفسها. وكانوا فى بدء أمرهم غير ممتازين عن سائر المفكرين الهندوسين. فلما اكتملت الديانة الهندوسية، وتم كيانها واجتمعت الآراء على إتباعية من الأخلاقيات والالهيات. لم يساعدهم الراى العام فى أفكارهم لميلهم إلى المادية المحضة والفطرية البحتة. فانعزلوا عن الناس مبغوضين للشعب كله. ولم يتيسر لهم إنشاء حلقة خاصة لنشر آرائهم وتعصيد أفكارهم وبقيت آراء فردية ولم تجدهم رحلاتهم ودعواتهم ومناظراتهم وردودهم بقبول من الأمة وتشجيع من الشعب.

وكان لأفكارهم تأثير عظيم فى الحياة الفكرية للشعب وفضل كبير فى نفخ الروح الابتداعى فى مفكره، وكانت لهم اجتهادات بارزة فى ابتداع العلوم والفنون، ولو لا هم لما كاد أن تنشأ فى الهند القديمة مدارس فكرية، لا ويديّة ولا غير ويديّة.

وكان معتمدهم فى العلم بالأشياء هو العلم بالحواس، وكانوا ينكرون العلم الاستنباطى والاستخراجى، فكانوا لا يرون للعالم من خالق شاعر هو إله الالهة، ولا مقرين له من الآلهة الصغيرة، ويزعمون أنه قد حدث بالمباشرة من العناصر الأربعة القديمة الأزلية بتطوراتها الطبيعية من التركيب والتحليل. ولا يرون الروح أمرا مابينا عن الجسد، بل يظنونها وصفا طبيعيا للجسد قد حدث فيه لامتراج خاص من العناصر، فيبقى ببقائه ويفنى بفنائه، فلا يعاد بشخصه ولا

يدخل فى أجساد متبادلة متعاقبة. ولا يعتقدون للعالم غاية إلهية ولا للإنسان أهدافا أخلاقية، ويدعون أن الخير الأعظم للحياة الإنسانية هو التلذذ بنعيم الدنيا والانسلال عن بوسها. ولا يرون للأعمال تأثيرا من الثواب والعذاب، فكانت دعوتهم إلى الفوضوية الأخلاقية، وتعليمهم الديانة المادية.

# البوذية

## النظرة العامة:

كانت القرون التالية بالعصر الويدي، متضاربة العقائد، متناقضة الأفكار متباينة الأعمال. قد فشت فيها رهبانية واستولت عليها إشراقية وسرت فيها باطنية. قامت حلقات الفكر في أقطاع القطر تترجمها العرفاء أو العلماء ونشنت دراسات أخلاقية تقصدها العامة والخاصة. كثرت مراكز التربية والتربية يتخطاها الداني والقاضي. قد عمت الرياضات الشاقة المتعبة في سبيل حصول السيطرة على القوى الكونية وراج التبتل في الكهوف للمراقبات النفسية والانقطاع في الغابات لاتعاب الأبدان لترقية القوى الروحانية. أما العامة فقد غلبت عليهم البرهمية الرسمية بشعائرها وطقوسها. ورسب نظام الطوائف أو الطبقات الأربع من البراهمة (Brahmin) والكشتريا (Kastria) والويشية (Vaisya) والشودرة (Sudra) بميزاتها الخاصة ودرجاتها المدنية. فقد تشعبت الأمة تشعبا فكريا وتشنت تشنتا مذهبيا وتفرقت تفرقا اجتماعيا.

وكان المجتمع الهندي، مع إختلافه في المعتقد والمفكر وافتراقه في الأعمال والغايات، تجمعته معتقدات كادت أن تكون شعبية، كأزلية الحياة وقدم الكون واستمرار الحياة بالتقلبات الشخصية من جسد إلى جسد، حسب الميول أو الأعمال، حتى تستوفي كل نفس حظها من أمانها سواء بسواء، أو تجزى بما كسبت من أعمالها صاعا بصاع. وكانوا يرون أن الجنة ماوى للذين قد عملوا الصالحات، وأن النار مئوى للذين قد ارتكبوا السيئات، ويعتقدون أن الابتعاد عن اللذات والزهد في الرغائب هو السبيل إلى احراز السرور الأبدى. ويرون الجهل والغفلة باعثين على الانغماس في اللذات والاسترسال في الشهوات، فيعمدون إلى

الحزن والألم ويحسبون المراقبة على النفس والتأمل في الذات وسيلتين للعلم والخبرة، مستيقنين أن العلم يهدي إلى السرور والنجاة، وينقذ من الحزن والتعب. وقد استولى على فكرهم التشاؤم بالحياة واستغلبهم الاضطهاد بالدنيا. فكانت الحياة عندهم مؤلمة وبدا الكون لديهم مفعما بالمشاق والمتاعب. فالبحت عن ينابيع الألم والتنقيب عن منابع البؤس قد غشى أفكار علمائهم وخواطر عرفائهم فكانوا يرتاضون ليتخلصوا من البأساء، ويعملون صالحة الأعمال لينجوا أنفسهم من سوات الحياة، ويزكون انفسهم ليعدوها لمجابهة مشاق الدينا. وكان هدف أخلاقهم الفوز بالسرور الروحي، ومبتغى تربيتهم النزوع عن حسرات ما فات، والأمن من خوف ما هو آت، والافتناع لما هو حاضر.

وكانت الأمة متسامحة بكل ما ترد عليها من الآراء والديانات متهادنة بكل ما تعرض عليها من الأفكار والمعتقدات. كان العصر عصر الفكر، والأوان أوان الابتكار، والزمان زمان مصارعة الآراء. وكان الناس حيارى مشرفين على القبول والمعاضدة، مسرعين إلى ما صادف ماملهم إذ قد ظهر في الناحية الشرقية من الهند تبشير أخلاقي يدعو إلى النزوع عن دائرة التقلبات الشخصية اللانهائية، وينادى بالانفكاك عن قيد آلام الحياة، ويعدهم بالسرور الأبدى باقتلاع أصل الألم واستيصال شأفة الحزن. فسرعان ما انتشر في أقطارها بل اجتاز حدودها وأنبث خارجها وشاع وهو التبشير البوذي.

## خاتم بوذا:

كانت بجوار مملكة كوسالا (Kausalya) في أقطاعية أودا (Avadha) صقعة طويلة مستوية واقعة بين السلسلة النيبالية (Nepalic) المنحدرة من جبل هملايا (Himalaya) وبين الجزء الوسط من طريق نهر رابتي (Rapti) التي تجرى في الجزء الشمالي الشرقي من ولاية أودا ممتدة نحو بضعة وثلاثين ميلا انكليزيا في العرض تروبيها عيون وجد اول تتحدر من هملايا مثرة بأشجار مثرة وأدواح ظليلة وحقول وخضروات و خمائل جميلة. وكانت في هذه الصقعة

الخصبة الخضرة بقعة توطنها قبيلة ساكيا (Sakya) من الاسرة الكشترية وكان لها الحكم فيها بواسطة امرائها وكانت القبيلة تنتمي إلى ملوك كوسالا وكان لهم عليها بعض سيادة وتتفصل هذه البقعة أرض ساكيا عن أراضي قبائل مجاورة بنهر روهني (Rohini) في الجانب الشرقي وتنتهي في الجانب الغربي والجنوبي إلى نهر رابتي.

في نحو منتصف القرن السادس قبل المسيح ولد سدهاتا (Siddharha) أو جوتاما (Gautama) الراهب كما هو المعروف في معاصريه في بيت من ساكيا في قرية كيسلاواثو (Kapilavasthu) وكان البيت من مثریات القبيلة وسراتها فكانت لأبيه سدوذنا (Sudhhodana) ضياع مخصبة ذات أشجار كريمة مثمرة وزروع مغلّة وقصور شاهقة خاصة بكل فصل من الفصول الثلاثة من الصيف والشتاء وأيام المطر وكان من سراة القبيلة فدرج سدهاتا في مهد السراوة والثراء ونشأ في باحة النعيم وموطن الكرامة وما أربى على أسبوع من عمره حتى توفت أمه مايا (Maya) فحضنته خالته مهاباجبتي (Mahayapati) زوج أبيه فترعرع متقلبا في أعطاف النعيم حتى بلغ الحلم في حياة أبيه وحضانة خالته فتزوج في بيت كريم الأصل عريق المجد فولد له ابنه راهولا (Rahula).

ولما يبلغ مبلغ الرجال إذ صادف بعض نوازل الحياة الانسانية من المرض والهزم والموت فدهش بها ووجد عليها وجدا شديدا ونال منه هذه الصدفة فاضطربت وتتغصت به الحياة الناعمة في قصور أبيه وأخذ يسلك طريق التزهّد والتأمل في الحياة ونوازلها يتوخى طريق النجاة منها وجعل يفكر في الوصول إلى السرور الذي لا ينقطع. وكان ينسل عن قصره وكان في ضيعة أبيه شجر ظليل فيذهب ويجلس في ظله متبلا منقطعا فيتفكر ويتأمل مراقبا على نفسه باحثا عن الخير متفحصا عن النجاة. وذكر عن نفسية شبابه وهو يخاطب مريديه "مريدي! بهذه الثروة التي كنت اوتيت وبهذه المكانة الكبرى التي كنت منحت بها قد أخذت بقلبي هذه الهواجس؛ ضعيف العقل رجل عامي جلس الفناء، غير منقذ



من سلطان الهرم، يوجس في نفسه خيفة ونزعة وكراهة ان ينظر إلى غيره في هرمه. والخيفة التي يوجس في نفسه، تدفعه على نفسه: أنا نفسي حلس الفناء ولست منقذا من سلطان الهرم فهل لي، للذي هو حلس الفناء غير منقذ من سلطان الهرم، ان أوجس في نفسي خيفة ونزعة وكراهة أن أنظر إلى غيري في هرمه، هذه لا يرضى عنى. مريدى! لما وجدت هذه الهواجس في قلبي ذهب نشاط الشباب الذي يكون في الشباب. ضعيف العقل، رجل كل يوم هو نفسه حلس المرض، غير منقذ من سلطان الأمراض الخ". وذكر مثل هذه الهواجس عن المرض والصحة وعن الموت والحياة حتى قال "مريدى! فلما تأملت هكذا في نفسي ذهب روح الحياة الذي يكون في الاحياء". وجعل يربى مثل هذه التأملات وينضج مثل هذه الخواطر حتى غشيت على عيونه ورائت على قلبه فسئم الحياة ومل الحضارة ونفر عن الاجتماع وقد أوفى تسعا وعشرين وقد ذهبت عنه نضارة الشباب وترك الدار والأهل وانقطع إلى الكهوف والغابات وكانت الطريقة نافقة في ذلك العصر.

وأقام فيها سنين متسكا متزهدا قد أفرغ نفسه للرياضات البدنية وخلي نفسه للتأملات النفسية وعكف على المراقبات الباطنية يطلب سكينة قلبية ويتفقد طمانينة روحية فيتتبع دواء يداوى به الأحزان والآلام ويتخلص من متاعب الحياة الدنيا وينجو من حسراتها ويحرز سرورا لا يزال وسكنا لا يبرح وفرحا لا يمازجه ألم ونعيما لا يخلطه بؤس فحمل شاقة الرياضات وركب صعاب الأعمال وامتنع عن المذات وعلق بالمتعبات وأذى نفسه بالصيام والقيام وألقى ناسوته في مهالك دونها الحمام عاطفا وجهته إلى باطنه مرتكزا فكره على نفسه حتى غبطه المتسكون وائتم بهديه الراهبون وكان يترك طريفا ويخنار آخر ليبتغى العلم والايقان فيحرز بهما السعادة الابدية والسرور السرمدية ويتحزر من بؤس الحياة فلبث سنوات وهو مجد في طلبه مجتهد في مطلبه فمضت سبعة سنين ولم يثمر جده ولم ينجح جهده فسئم الطريق وضجر بالمنهج وصار على يقين أنه لا رجوع من مثل هذه التعاليم لنيل متمناه ولا غناء لمثل هذه التقاليد في حصول متبغاه

فخلى بينه وبين هذه الرياضات الشاقة وانتزع عن تعذيبه النفس بمثل هذه المتعبات. وترك المعتكف وارتحل عنه وهو كئيب بما خاب من أمله محزون على ما فات من أمنيته مصطبر على شماتة المقدمة من المتسكين والرهبان.

وقد صادف في طريقه غابة أروويلا (Aruvala) أو بوذاكيب (Buddhgaya) كما عرفت بعد فنزل بها. وكان جالسا ذات ليلة في ظل شجرة قد لقيت بعدئذ بشجرة العلم وكان مستغرقا في تأمله خائضا في تفكره إذ أخذته نزعة سماوية فغاب عن نفسه وعن كل ما حوله وطفق يطرق عليه حال بعد حال ويلحقه طور وراء طور وصار شعوره يتجلى رويدا رويدا فأشرق الكون لديه وأصبح العقل يتجرد عن شوائب المادية فانشرح له صدره ورأى العالم في تكويناته وتقلباته ومباده ومناحيه وقد غلب اللاهوت وتطور الناسوت فذاق سرورا ما خطر بباله قبل، ووجد من قرّة ما استشعر بها قط فأبصر ينابيع الحياة وأحاط بمنابع الآلام واستوعب بمنابت البؤس واكتشف بمقاليد السرور ورأى سبيلا يهdy إلى تلاشي الأحزان وزهوق الآلام فأدرك متمناه ونال مبتغاه وتخلص من تقلبات الحياة ونجا من حزازات الآلام وتيقظ شعوره وتورت بصيرته واستوى على عرش البوذية وصار بوذا (Buddha) أي العارف المستيقظ والعالم المتطور يقول بوذا عن سعادته التي نال "لما أدركت هذا ولما شاهدت هذه تحررت عن شرور الهوى، تحررت عن شرور الكون الأرضي، تحررت عن شرور الخطأ، تحررت عن شرور الجهل وتيقظ في المتحرر شعور التحرر وشعور عدم تكرار المولد. قد انتهى الصراط المقدس قد تمت الفريضة. فلن أرجع في هذه الدين رجعة أخرى. قد أبصرت هذا".

واللمحة لمحة الفوز بالبوذية لها جلاله كبيرة ومكانة عظيمة في حياة صاحبها ويرى لها آثار جلييلة في الكون كله من عالم الانس وعالم الآلهة فأشرق العالم بنور بهجتها ودخل في الدور الجديد وقد دخل بوذا في حياته الطريفة ونتجت فكرة حديثة في سلسلة الأفكار الهندية قد أثرت، وفعلت الفكر العالمي وغشيت الأفاق وانبتت في الأقطار.

لما استشعر بوذا بمدارك النجاة وتطهر عن اوساخ الأحزان مكث بضعة أسابيع صائما لا يأكل شيئا ولا يشرب، يجول في ارجاء متجاورة بشجرة العلم يتجرع من سرور النجاة ويتأمل ويفتكر الألم وما ينشأ منه وما يترتب عليها فاستوعب علله وتأثيراتها وجودا وعدما وسيأتى تفصيلها. ويروى أنه قد صادف وهو مستغرق في أفكاره مستلذ بسروره ريحا صرصرا عاصفا وسحائب كثيرة ومطرا عابابا والسماء مخلوكة والفضاء مظلم فأقلع كل شيء وسال بكل خفيف وتقبل فكان لا تظله سماء ولا تقله أرض فجاءه موكالند (Mokalanda) ملك الحياة وآواه بالتغافه في التضاعيف السبع من طيات جسده حتى تبدد السماء وانقطع المطر وتفشع الطوفان.

ولما اتقن بوذا فكره وأراد أن يدعو الناس اليه ليتخلصوا مما هم فيه من العذاب كما تخلص هو وبنالوا حظهم من السرور السرمدى كما نال فنظر في دعوته وفتانة الناس ونفسياتهم فوجد بعض عناصر دعوته صعب المأخذ خصوصا تعليقات الألم وما تتضمنه وتستلزمه من أبحاث مجردة مع ما فى عامة الناس من سطحية الفكر فتذبذب وكاد أن يغفل عن مرماه ويقطع حباله حياته ويحرز النجاة الكاملة ولكنه أدرك أن ذلك مما يخالف العزم والمروءة فليس من شأنه أن يحبس ما عنده من الخير لنفسه وأن يمسك ما أحرز من السعادة عن غيره وليس عليه أن يقبل الناس دعوته. إنما عليه البلاغ. فمن شاء اتخذ سبيلا إلى نجاته ثم صمم عزمه للتبشير والدعوة.

والمصادر القديمة تنص أن مارا أو الشيطان لما استيأس منه وأذعن أنه غير قادر على أن يزله عن صراط النجاة لبوذيته و يقظته أراد أن يحمله على إحراز النروان وترك الدعوة والتبشير وأوحا إليه أن الناس عامتهم وخاصتهم لا يكادون يفقهون مقاله فاستعداد السامعين للفهم يستدرك المقال ولكن بوذا لم يصغ إلى هذا وطرده وشمز ذيله للبلاغ وغادر أوريبلا لبنارس ليجاهر بدعوته وقد أقام فيها خمسة نساك من تلامذته الملازمين له وكانوا اعتزلوا عنه لما رأوا ارتداداه عن الرياضات الشاقة والمراقبات الكاملة النافقة لنيل النجاة واحراز السرور

الباطنى وأراد ان يصطفيهم لدعوته فاتاهم وافتتح التبشير بدعائهم إلى ما كشف له من حقيقة الكونين وسبيل النجاة واحراز السرور الباطنى وبدأت بهذه الدعوة دعايته العامة أو حرك عجلة الشريعة كما يقول مريدوه.

قد استمر بوذا يحرك هذه العجلة، عجلة الشريعة أربعا وأربعين سنة تقريبا فحل وارتحل مبشرا بالنجاة وداعيا إلى الخير هاديا إلى النروان أو السرور الدائم واجتمعت حوله مآت من ذكور وإناث يسرون حيث سار وقيمون حيث أقام فرباهم ورشحهم وزكاهم من أوساخ الهوى وأدناس الشهوة وأوتفهم بعلاقات التعاون والتعاقد وربطهم فى رابطة الضبط والنظم فسن لهم القوانين وأسس لهم ضوابط قد شد بها إزرهم وأحكم أمرهم. وكانت لمريديه فى بوذا أسوة وسنة يقتدون بها ويهتدون بها. وكانت له الرياسة المطلقة على النظام ما دام حيا فلما قرب أوان نروانه أوصا مريديه باعتصام الشريعة والنظام وألغى الرياسة الفردية فلما بلغ الثمانين مرض مرضا وبيلا وكان مقيما فى راجا جرها (Rajagraha) فاراد ان يجتمع بمريديه وأتباعه اجتماعا أخيرا فدفع شدة المرض بقوة عزمه وسار إلى كوسى نارا فوصل إليها واجتمع بمريديه ثم عادت إليه شدة المرض وقد تنفس به العمر فما لبث أن لقيه حمامه وكان ذلك فى ٤٨٠ ق. م. بالتقريب وذهب روحه فى بطون أعماق "العالم المجهول وغاص فيه وجاور عن شينئية هذا الكون ولا شينئته" وأحرق جسده تجاه درب البلد بابهة الملوك وكرامة البراهمة.

وكان بوذا نبيل الفكر، محصد الرأى، شديد الضبط، قوى الروح، ماضى العزيمة، واسع الصدر، عزوفا عن الشهوة منقطعا عن الهوى، زاهدا، مرتاضا، دمتا، كريما، سمحا، سهلا، متواضعا، حسن المعاشرة، وقورا، بالغ التأثير بعيد التأثير، بريئا عن الحقد والعدوان، جامدا، لا ينبعث فيه حب ولا شنان ولا تحركه عواطف ولا تهيجه النوازل، بليغ العبارة، فصيح اللسان، دامغ الحجة، ذا اسلوب خاص فى مكالماته وخطباته، مؤثرا بالعاطفة والمنطق كليهما.

وكانت له مكانة رفيعة فى أعين الناس من الملوك والأمراء والبراهمة والرهبان فكانوا يزورونه ويتبركون به وينتظرون حله ويحتفون بقدومه ويحطونه

محل الكرامة ويضيفونه وأصحابه باحسن ما اعدوا له. وكان ناديه مغشياً بالامراء والوزراء والعلماء والعارفين والراهبين.

## الحكمة البوذية:

الحكمة البوذية أو الاشرافية، ديانة منسوبة إلى بوذا لقب مؤسسها جوتم أو سدهاتا. وهي عبارة عن فكرة أخلاقية وعقيدة دينية بأوسع معاني الأخلاق والدين، قد سنحت لبوذا الأعظم فتأملها واستوعبها وبحث عن أصولها وفروعها حتى نضجت وتكاملت، فصورها وشكلها ورهن بها حياته الباقية ودعا الناس إليها فلبوا دعوته واتبعوا سنته فبرزت جمعية ونشأ نظام منفرد بروحه، تسوسه قوانينه.

وكان ذلك النظام عائلياً من وجهة التعاضد والاشتراك، ورهبانياً من جهة ترك الملذات، واشراقياً للتبتل والانتقطاع، ودينياً لطموحه إلى النجاة الأخروية، وأخلاقياً باعتبار الخضوع للقوانين لتحصيل أهداف سامية. وكان شعبياً كذلك حيث لا يمنع أحداً عن أن يشارك فيه فيزكي نفسه ويسوى سبيل نجاته من دون امتياز بالطبقة والفرقة والنحلة، وتخصيصاً حيث كان ميدان العمل وحيطة التركيز والاصلاح مقصورة على النظام، ولايكفى إصلاح العامة وحل مشاكلهم أو تقويم عقائدهم ورفع أغلالهم الرسمية. فزعامة البوذية زعامة خاصة مقصورة على كفاءة حلقها على نظم أخرى نافقة في ذلك العصر القديم.

وقد فعلتها أفكار سابقة، ولها فضل عظيم في تقديم الحركة الفكرية الويدية والحررة كلتيهما وأثر باهر في تقوية النهضة العقلية ونشو الفلسفة المتأخرة، فترى آثارها بارزة في جل المدارس الفكرية المعاصرة والمتأخرة حتى الجينية الناشئة في نفس ذلك الأوان، ولذا آثرنا تقديمها على الجينية وعلى سائر المدارس الفكرية. ولقد أثرت تأثيراً غير ضئيل في معتقدات الشعب الهندي عامة سواء اعتقدوا بها أم لم يعتقدوا. وعملت في تصوراتهم وحسياتهم وعواطفهم وأخلاقهم وعاداتهم فنالت قسطاً وافراً في كيان الذهن الهندوسي العام، وأخذت



حظا وافرا في ترقية الثقافة الهندية. واجتلبت عددا ضخما في داخل القطر وخارجه من المعتقدين والمنتقدين والمعارضين والمعاضدين، وتهجم عليها الشراح بشروحهم وتأويلاتهم فاكتسبت جمالا وكامالا ورصانة وإتقانا.

## اختلاف البوذية بعد بوذا:

كانت البوذية في حياة شارعها وحياة أتباعه قد تجسدت في نظام معقد رصين ثم أخذت تنمو وتتشعب، فصارت لكل قرن بوذية تختلف قليلا عن بوذية سابقة وبوذية لاحقة، وطفقت تتطرق بها مسائل من الالهيات مجردة، وقد نهى عنها مؤسسها وحذر عنها مريديه وأتباعه وزجرهم عن البحث عنها، فبحثوا عنها حتى أدرجوها في التعليم نفسه وجعلوها كمبادئ للاعتقاد، وانتهت المبادئ إلى نتائج المنطقية حتى رسبت القضايا الفلسفية المجردة في أساسها وأصولها، وبدأ التعارض والتعاضد وانعقدت مجالس ونشئت المباحث وفشا الاختلاف واختلفت التعبيرات حتى صارت مذهبيا فكريا و ميلا عقليا، وحدثت مدارس فلسفية كل منها تمثل عن البوذية ويدعى أنه هو البوذية الخالصة المنتقلة عن بانيها وشتان ما بين الأولى والأخرى، فهذه فلسفة وتدقيق، وتلك تزكية وتربية.

وقد قسمها العلماء حسب الطابع العام إلى القديمه والجديدة. فالبوذية القديمة صبغتها أخلاقية وميزتها سذاجة المنطق وإثارة العاطفة وطابعها الحض على الخضوع لقوانين النظام والاهتمام بهدى شارعها وكأنها هي التي دعا إليها بوذا نفسه واتباعها مریدوها وأتباعه الملازمون له. أما البوذية الجديدة فهي عبارة عن تعاليم بوذا مختلطة بآراء دقيقة في الكون وأفكار مجردة عن الحياة والنجاة مؤسسة على نظريات فلسفية وقياسات عقلية قد سمحت بها قرائح المتأخرين من الشراح والزعماء والغالب عليها صبغة الفلسفة.

## البوذية القديمة:

البوذية القديمة هي تربية الباطن وتزكية الأخلاق وتمارين النفس لتهديب الأعمال وتحسين الحياة وتخليص الانسانية من الشقاء، وكأنها الوسط بين الاشرافية الحاملة على إتعاب النفس وإهلاكها وبين الالتذاذية الباعثة على إستيفاء الناس حظوظهم من نعيم الدينا من دون ردع ولا منع، وطريق مقتصد بين التبتل والاختلاط، قائمة على أسس منطقية من دون أن يخالطها إدعائية، ومؤسسة على مشاهدات نفسية من غير أن يمازجها مقدمات تجريدية، مبنية على حوادث يومية ونوازل واقعية من دون إختلاق وتمويه.

وهي نزعة فكرية في وجه الأبحاث الفلسفية غير المثمرة والمصارعات العقلية غير الفعلية ونفرة باطنية عن اختلافات فرعية نافقة واستخفاف نفسي بالرسمية القاسية في سبيل السعادة الأخروية. وكان التقشف قد ثار على الالتذاذية في صورة البوذية، والطمانينة قد وثبت على الاضطرابية في زى الرهبانية، والعقلية قد هجمت على الرسمية في لباس التعليم، فهي ديانة لا يجمها رضاء إلهي، وشريعة لا يحسنها سخط سماوي، وفريضة تحت على أدائها عوامل كونية. لا ادعية فيها ولا رقيات، لا نذر فيها ولا قرابين. وقد سدت باب الزعامة والكفائة وفتحت سبيل النجاة لكل ذكر وأنكى وألقت مقاليد السرور لكل عابر وكشفت الستر عن بطل الأكم والشقاء ليصارعه كل من يستطيع. فلا غوث يغيثه ولا عون يعينه "من الغباوة أن تظن أن غيرك يأتيك بسرورك أو يرميك بحزنك". فكل حامل عبئه فينقله أو يخففه. العمل هو المنجى والمهلك، والعلم هو الناصر والخاذل، والتأمل هو الهادي والمضل، لا طاعة إلا للشريعة، ولا انقياد إلا للنورانية، ولا سيادة إلا للنظام. وليس العمل إلا التجافي عن العواطف، وليس العلم إلا علم الحقائق المقدسة عن الأكم، وليس التأمل إلا التأمل في الالم وكيف نجتت عللها، وليس العبا إلا عبا الحياة، وليس السرور إلا سرور الفروان (النجاة).

## الأدب البوذي المقدس القديم:

الأدب البوذي المقدس القديم عبارة عن أدب بلسان بالي (Pali) من الخطبات والمكالمات والأناشيد والأبحاث والحكايات والأمثال والهدايات والأعمال والقوانين قد وعاما وحفظها مريدو بوذا عنه. وقد دونت في المجاميع والبيتكات (Pitakas) أو السلات والكشكولات الثلاث. ويروى أنه بعد وفاة بوذا بقليل قد استحدث الاختلاف بين أتباعه في أصول مهمة من تعاليمه، فعقدوا مجلسا كبيرا في "راجا جرما" لينظروا فيما كانوا فيه مختلفين، ودعوا له أجلة مريدي بوذا الذين لازموه وتخرجوا عليه. فلما احتفل النظام بأجمعه سئلوا كاسي أبا (Kasyapa) أعلم مريدي بوذا أن يقرأ عليه آراء السيد بوذا في أمور من ما وراء الطبيعيات فقرأها عليهم، ويقال أنها هي المدونة في أبي ذمابيتك (Abhi Dhamma-Pitaka) أي سلة العقائد. ثم سئلوا أو بالي (Aupali) وكان من أسن المريدين الأحياء أن يتلو عليهم قوانين الضبط وشريعة النظام وأعمالهم اليومية والفصلية فتلاها عليهم ويروى أنها هي المجموعة في وينايابيتك (Vinaya - Pitaka) أي سلة الشريعة، ثم سئلوا أنندا (Ananda) أحب المريدين عند بوذا أن يلقي إليهم من حكايات وأمثال وهدايات ومكالمات وغيرها مما حفظ عن لسان بوذا في رحلاته وجولاته التبشيرية فألقاها إليهم، ويعتقد أنها هي المؤلفة في ستابيتك (Sutta-Pitaka) أي سلة الحكايات. والغالب أن المجموعات أو البيتكات قد كملت ودونت قبل سنة ٢٤٩ ق. م. وهي سنة انعقاد المجلس الثالث الكبير للنظام.

أما كتابة هذه البتكات فلم تيسر إلا بعد قرون، وكانت محفوظة في صدور الناس متناقلة بالمشافهة من الشيوخ إلى التلاميذ عقبا بعد عقب وجيلا بعد جيل. فلما أخذ الناس يحيدون عن الطريق المعبد، وجعلوا يرفضون التعاليم القديمة الماثورة أشفق الزعماء والشيوخ ضياع ما لديهم من التعاليم المتوارثة فاجتمعوا وأجمعوا أمرهم على تقييدها بالكتابة، وكان ذلك في نحو سنة ٨٠ ق. م.

ويقال لمجموع البيتيكات الثلاث القانون البالي. وأدرج بعضهم كتاب ملندا بانها (Milanda-Panha) أو مسائل الملك ملندا في القانون، وهو تأليف متأخر ليس من المصادر القديمة. وهو مكالمة الملك مناندر (Menander) الاغريقي وكان حاكما على المقبوضة الاغريقية في الهند من سنة ١٢٥ ق. م. إلى سنة ٩٥ ق. م. تقريبا، قد ألفه ناجاسينا (Naga Sena) المعلم البوذي الشهير والجدلي الكبير في بدء العصر المسيحي، وله قيمة جليلة من وجهة التاريخ فيمثل البوذية المتفلسفية في جهة النفي والعدمية في العصور المتأخرة. ويعرف هذا التعليم الذي يمثله هذا القانون بتيراوادا (Thera-Vada) أو مذهب الكبراء، لأن الكبراء قد جمعته في المجلس الأول البوذي ويمثل عن البوذية القديمة.

والقانون، وإن كان مظنة للاختلاق والافتراء والسهو والخطأ والتسامح، وقد شك الباحثون في صدق النسبة لجميع ما فيه من الخطبات والمكالمات والهدايات والقوانين إلى بوذا نفسه، بيد أنه يمثل عن آراء وأبحاث وأعمال كانت شائعة في مريدي بوذا وأتباعهم. ومما لا يرتاب فيه أنهم يرونها متوارثة من بانيتها ومأثورة من شارعها. ولا نعرف مستندا أقدم منه للبوذية القديمة، وهو المعتمد الفذ في البحث عن آراء قدماء البوذيين وأعمالهم والمصدر الوحيد عن كشف درجاتهم في النظام وضوابطهم التي يراعونها في نظم جمعيتهم وطرق تبشيرهم ودعايتهم، ولا شك في أنهم لم يعولوا فيها إلا على تعليم بوذا نفسه ولم يأخذوا إلا بهديه.

## الحقائق الأربع المقدسة:

قد تنغص العيش لبوذا بروية المرض والهزم والموت وتشتامت به الحياة، فذعر منها ودار حول نفسه فتأمل في شئونها وبحث عن أحوالها وميز سرانها عن ضرانها فزادت السيطرة ووجد العالم كله مكفهرًا بظلمات السحب المتراكمة من الألم والتعب، واستيقن أن الألم هو الحقيقة الوحيدة في الكون. وهذا هو الحقيقة المقدسة الأولى قد أبصر بها في ظل "شجرة العلم". ثم وجد أن للألم

علة توجبه وأصل تنمو عنه، وهذا هو الحقيقة المقدسة الثانية قد رأها عند تلك الشجرة. ثم انكشف عليه أن الألم مما يمكن أن ينعدم بانعدام علته ويقتلع بقلع أصله، وهذا هو الحقيقة المقدسة الثالثة قد أقيت إليه. ثم تجلى عليه سبيل إعدامه وطريق قلعه واهتدى سبيلا إلى تلاشيهِ، وهذا هو الحقيقة المقدسة الرابعة قد أحس بها عند يقظته من رقود الجهل وفوزه بالبوذية الكبرى. وهذه الحقائق المقدسة هي أساس الفكر البوذي و مبدأ دعوته ومنتهى تبشيره. وهذا نص دعوته للرهبان في بنارس: "أيها الرهبان! هذه هي الحقيقة المقدسة عن الألم: المولد ألم، الهرم ألم، المرض ألم، الموت ألم، الاجتماع بغير المألوف ألم، الافتراق عن المألوف ألم، عدم ظفر الرجل بما يهوى إليه ألم، قصارى الأمر الاتصالات الخمسة (اتصال الصورة الجسدية، والحس، والادراك، والنظم، والشعور، الذاتيات الخمس الانسانية بمتاع الدنيا) ألم".

"أيها الرهبان! هذه هي الحقيقة المقدسة عن أصل الألم: الظمأ بالشهوة والهوى هو الذى يجر من مولد إلى مولد، وهو الذى يتروى من معنا وهناك، الظمأ إلى التلذذ، الظمأ إلى التكون، الظمأ إلى القوة".

"أيها الرهبان! هذه هي الحقيقة المقدسة عن إعدام الألم: إعدام هذا الظمأ بإعدام الهوى عدما باتا بتخلية سبيلها، فتذهب بقمعها والانقطاع عنها وسلبها عن مكانها".

"أيها الرهبان! هذه هي الحقيقة المقدسة عن سبيل يهدى إلى إعدام الألم: هو هذا السبيل المثمن: الاعتقاد الصحيح، العزم الصحيح، القول الصحيح، العمل الصحيح، العيش الصحيح، الجهد الصحيح، الفكر الصحيح، التأمل الصحيح".

"أيها الرهبان! هذه هي الحقيقة المقدسة عن الألم، هكذا قد فتحت عيني لهذه التصورات التى لم يدركها أحد قبلى، وقد فتح حكى وعارضتى ووجدانى وبصيرتى. فهم هذه الحقيقة المقدسة عن الألم واجب. قد أدركت هذه الحقيقة المقدسة عن الألم. أيها الرهبان! هذا قد فتحت عيني بهذه التصورات التى لم يدركها أحد قبلى وقد فتح حكى وعارضتى ووجدانى وبصيرتى، فهم هذه



الحقيقة المقدسة عن أصل الألم واجب قد ادركت هذه الحقيقة المقدسة عن أصل الألم.

ثم ذكر الحقيقتين الباقيتين بمثل هذه البيان حتى قال "أيها الرهبان! ما دمت أحرز علما مثلنا ذا اثني عشر جزءاً بهذه الحقائق الأربع المقدسة علماً موثقاً به ولم أحرز فهمها بانجلاء تام كنت على يقين بأنى لم أظفر بالبونية الكبرى، لا فى هذه العالم ولا فى عوالم الآلهة والشيطان (أو مارا أى الموت الذى يشوق الناس إليه بالقائم فى ورطة الشهوات فيهلكون) والبراهما وفى جميع الموجودات المتسكة والبراهمة والآلهة والناس. ولكن أيها الرهبان! لما أحرزت هذا العلم المثلث ذا اثني عشر جزءاً علم هذه الحقائق الأربع المقدسة الموثوق به وأحرزت فهمها بانجلاء تام، صرت على يقين بأنى قد ظفرت بالبونية الكبرى فى هذا العالم وفى عوالم الآلهة والشيطان والبراهما وفى جميع الموجودات المتسكة والبراهمة والآلهة والناس، وقد شاهدت وعرفت أنه قد ضمنت لى نجاته روحى. ومولدى هذا هو آخر مولد وليس لى بعد هذا من مولد مستأنف".

## الحقيقة المقدسة عن الألم:

قد نظر بوذا إلى العالم بمنظار أسود العالم فى عينه. قد وجد أن ما يرى من خصبة يرتد جذبة وما يحسب ناعمة ينقلب بائسة، السرور يبتدأ ألماً والفرح يتجلى حزناً. الرغد يوجب النكد والحلو يورث المر، الحياة تولد الموت والشباب ينتج الهرم، الصحة تجلب المرض. والقوة تسبب الضعف. المغنم يلزمه خوف المسلب والحوز يوعدده القوت، الأمل تهدده الخيبة، والخير يتبعه الشر. ما من صلة فى العالم إلا لتقطع، وما من ناصر فيه إلا ليخذل، العزة مقارنة الذلة والاقبال مصاحب الادبار. ثرائه محفوفة بالفقر وسعادته محوية بالشيقة. فأغضض عينيه عن خيراته وسعادته، وغرر النظر فى علته وسوآته، فرأى الموت وأعرض عن الحياة، وجاهر بالألم وأغفل عن الفرح.

## حقيقة الألم:

لا شيء في الحياة الدنيا مستقر في مكانه، دائم في حاله، باق في شأنه، كل يتدرك في الانحطاط والزوال، ويتدرج إلى الفساد والنفاذ والنقص والتصرم يغشيان كل موجود. والتقلب والتبدل يحفان بكل مولود، فظن بوذا أن الحزن يتولد من بطن الزوال، والألم ينبعث عن فقدان. والأسف ينتهض عن الحرمان، والزوال توأم النشأة، والفقدان حلس الوجود، والحرمان ملازم الظفر "كل شيء قد خلق سيهلك، والذي يعرف هذا ويراه يصير غير متحرك بالألم. هذا هو السبيل إلى الطهارة. كل شيء قد خلق فهو حزن وألم. والذي يعرف هذا ويراه يصير غير متحرك بالألم. هذا هو السبيل إلى الطهارة" فأى سرور في النشأة؟ أى فرح في الوجود؟ أى خير في الأمل؟ الزوال حزن، التصرم حزن، التقلب حزن والناس مطرودون في مسيلها مخذولين، ملقون في طريقها منبوذين، طافون في تيارها مسخوطين، فمن يتوخى الزوال يحزن، ومن يطمح إلى التصرم يألم، ومن يبتغى التقلب يلهف. الألم هو التغير المتواصل والتقلب المتوالى، والسرور هو القرار الدائم والثبات القائم. السعيد من التجأ إلى الدوام والشقى من فزع إلى التغير. والدوام هو العين فحسب والبقاء هي الذات لا غير. "أيها الرهبان! الصورة (أى الصورة الجسدية من الانسان بل الجسد الانسانى) ليست بذات بعينها. أيها الرهبان! لو كانت هي ذاتا لما كانت تحت سلطة المرض، وما كان لرجل أن يقول عن صورته جسدى يصير كذا، جسدى لن يصير كذا وكذا، لكن أيها الرهبان! لما لم تكن الصورة ذاتا، كانت تحت سلطة المرض وما كان لرجل أن يقول عن صورته جسدى يصير كذا وكذا، جسدى لن يصير كذا وكذا".

"أيها الرهبان! الحس ليس بذات بعينه الخ" وساق الكلام نحو الحديث السابق ثم ذكر الإدراك فالنظم فالشعور، والعناصر الخمسة الانسانية بنفس ذلك التفصيل حتى قال:

"أيها الرهبان! فما ترون، هل الصورة قارة أم غير قارة؟"

"غير قارة أيها السيد."

"ولكن هل التي هي غير قارة، حزن، أم فرح؟"

"حزن أيها السيد."

"فاذا تأمل الرجل في التي هي غير قارة ومترعة بالأحزان متقلبة في

أيدى التغير، وأحسن التأمل فهل له أن يقول تلك لي، تلك أنا، تلك ذاتي؟"

"لا أيها السيد."

ويتبعه نفس هذا البيان عن العناصر الأربعة الباقية للإنسان حتى قال:

"أيها الرهبان! فكل شيء كان في سبيل الصورة (والحس وغيرها من

العناصر الباقية بترتيبها السابق) أو يكون، أو هو كائن الآن في أنفسنا أو في

العالم الخارج عنا، قويا أو ضعيفا، سافلا أو عاليا، بعيدا أو قريبا، ليس بذات،

فمن حاز علما حقيقيا فعليه أن يدرك هذا ادراك صدق. أيها الرهبان! من يبصر

الأشياء بهذا النور مصغيا إلى الكلمة، وهو عاقل نبيل، فيعرض عن الصورة،

يعرض عن الحس والادراك وعن النظم والشعور. وسرعان ما يعرض عنها

يصير حرا عن الشهوة. بانطفاء الشهوة ينال حظه من النجاة. ينبعث في الناجي

شعور نجاته. تلاشى المعاد، تكاملت القداسة، فتمت الفريضة. ويعلم أنه لا معاد

له في هذه الدنيا مرة أخرى. فالصورة والحس والادراك والنظم والشعور والهيئة

التأليفية منها الملقبة بالإنسان، كلها مستمرة التغير ودائمة التجدد، وليس شيء

منها بجوهر إنساني ولا ذات إنسانية، وكذا كل ما هو في داخلنا أو خارجنا ليس

هو إيانا ولا جوهرنا وذاتنا، بل كل ما هو واقع في سلسلة التغير والتجدد ليس

إيانا. كلها تغير وكلها حزن وألم. اتصالنا بالمتغيرات ألم، تعلقنا بالمتجددات ألم،

ميلنا إلى عرض الدنيا وشهوتنا إلى متاع الحياة هما المجلبتان إلينا أحزاننا وآلامنا

"ما هذا الضحك؟ ما هذا الفرح؟ والعالم دائم الالتهاب ما لكم لا تطلبون نورا،

وأنتم في ظلمات بعضها فوق بعض."

## أزلية الألم واستمراره:

ترى البوذية أن الآلما هذه قد ورثناها من حياتنا السابقة، وهى من سلالة سابقتها وهى من السابقة عليها وهكذا من غير نهاية. فتقلبنا فى أحزاننا ويل مستمر وتعس دائم، مضت عليه أحقاب وعصور لا يحصيها عدد ولا يحيطها حد. ما زالت ميولنا إلى الحياة وشهواتنا إلى اللذات وجنباياتنا على أنفسنا تطرحنا على قارعة طريق الحياة تطأنا وتدوسنا فنقاسى جهدها من المرض والهرم والموت ذائقين وبال أعمالنا السالفة وثمار شهواتنا السابقة، فان لم تنته الأعمال ولم تخدم الشهوات سنصلى سعيى الحياة اللاحقة، وإن لم نجتر عن دائرة الموت والحياة باطفاء الشهوة ونفى العواطف لم نفرغ عن بؤساتنا، وإن لم نتحطم عن سلسلة الأسباب لم نحل قرارنا. فكل من مال إلى الحياة يولد، ومن ولد فيهرم ثم يموت، ومن مات ولم يطهر نفسه عن أوساخ الشهوات فيعاد ويذوق وبالها فى الحياة اللاحقة.

يقول بوذا "مريدى! سفر الموجودات مبدنه فى الأزل..... أيها المريدون! ما هى الغزيرة؟ أمياه من البحار الأربعة الكبيرة، أم دموعكم التى سالت منكم وذرفت عنكم طيلة ما همتم وجلتم لهذه الرحلة وحزنتم وبكيتم، لأن قسمتم ما كرهتموه وما رضيتم به لم يكن من قسمتم. موت الأم، موت الأب، موت الأخ، موت الأخت، موت الابن، موت البنت، نقص من ذوى القربى، نقص من الأموال كلا من هذه قد ذقتموها مدى الأعمار المديدة. ولما شاهدتموها مدى الأعمار المديدة، سالت منكم دموع غزيرة طيلة ما همتم وجلتم لهذه الرحلة الخ" بنفس البيان السابق. ولا تتقطع دورة الحياة والممات بدخول المحسنين فى الجنة والمسيئين فى النار، بل إذا استوفوا نصيبهم من الثواب والعقاب رجعوا إلى شقاتهم فى هذه الدنيا. وبعض النصوص يدل على أن تعاقب المولد والموت يستمر فى الجنة والنار كلتيهما استمراره فى الدنيا أو هما طوران من هذه الحياة.

والحزن البوذي محيط بالعالم كله يستوى فيه الناس والآلهة فمن ينزِع  
إلى الشهوة والهوى يأخذه الحزن والألم. يقول بوذا "الآلهة الثلاث والثلاثون وآلهة  
الموت والآلهة الفرحى والآلهة المتلذذة بالخلق والتكوين والآلهة المسيطرة  
المشدودة منهم بسلسلة الشهوة خاضعة لقوة "مارا" أو الشيطان. الكون بأجمعه  
ملتهب، الكون بأجمعه محفوف بالدخان، الكون بأجمعه قد أخذه النار، الكون  
بأجمعه مرتعد".

هذا هو الألم البوذي قد أغشى الكون وعمه مذ أمد غير متناه، قد نشأ من  
أعماق الحياة، وكأنه حقيقة الحياة يدوم بدوام الحياة ويستمر استمرارها وينقطع  
بانقطاع الحياة. وأصله التغير والتجدد، وبذره الشهوة والهوى.

### الحقيقة المقدسة من أصل الألم:

لما افكر بوذا هذه الآلام المتراكمة بعضها على بعض، لم يستيأس منها  
ولم يفرع إلى الالتذاذية والشهوانية كما فرعت الكارواكية إليها، بل تأمل فيها  
ونقب عن أصولها وبحث عن عللها فوجد أن الألم ينمو من أعماق الحياة وبطنون  
الكون فليس سوء حظنا إلا حياتنا الدنيا وما شقائنا إلا تكوننا المشئوم. والحياة  
والكون منشأهما المولد فما لم نخل بيننا وبين المولد لم ننتقد من الألم. وكان من  
النظريات المتناقلة المتوارثة المشربة بأفكار عقلاء الهند، أن الحياة مبدؤها إرادتنا  
إلى الوجود وشهوتنا إلى الحياة وعطفنا إليها. فجعل بوذا هذا الفكر الشائع بينهم  
أساساً لفكره ومبدأً لتأمله واذعن أن الشهوة والعاطفة إلى الحياة هما اللتان تهدياننا  
إلى وجودنا الجوى وتتركاننا عرضة للآلام والأحزان والأوجاع، ترميننا بسهامها  
فتصيبنا من دون خطأ ولا وقاية. ما ذا أساس هذه الشهوة والعاطفة؟ وكيف تتدفق  
الحياة عنهما؟ نظر بوذا فيهما وتوخي عن أصولهما ومبادئهما واستقصى عنهما  
واستوعبهما استكشف حلقات أخرى وعلاقاتها واتصالاتها وسبرها طرداً وعكساً،  
فرتبها واستخرج قانوناً.

## قانون الاتصال العلى للتكون:

والقانون فى المحل الثانى فى القداسة والنبالة من الحقائق الأربع المقدسة البوذية، حتى أن المصادر القديمة قد تضعه موضع الثانية والثالثة من الأربع وتحذفهما. والعلل المذكورة فى نص القانون منصوصة التأثير طردا وعكسا: إذا وجدت هذه وجدت تلك، وإذا لم توجد هذه لم توجد تلك، والقانون مع ما يضمه من التلميحات مبدأ لأبحاث دقيقة ملتوية فى المدارس المتأخرة للبوذية وأساس لآراء مجردة معضلة ذى قيم جلييلة فلسفية، ومصدر لتحقيقات نفسية قيمة فى المذاهب البوذية الجديدة.

والمصادر القديمة مضطربة فى حلقات السلسلة عددا وترتيباً. هذه هى أشهرها وأقدمها "من الجهل أو الأويديا (Avidya) تصدر النظمات أو الستكرات (Sankaras) ومن النظمات يصدر الشعور أو الوجدان (Vijnana) ومن الشعور يصدر الاسم والصورة أو النام - روب (Nam-Rupa) ومن الاسم والصورة تصدر الساحات الست أو السدياتن (Sadayatana) ومن الساحات الست يصدر الاتصال أو الإسبرس (Sparsa) ومن الاتصال يصدر الحس أو الويدان (Vedana) ومن الحس يصدر الظما أو التنها (Tanha) ومن الظما يصدر التعلق أو الأوبادنا (Upadana) ومن التعلق يصدر التكون أو البهوا (Bhava) ومن التكون يصدر المولد أو الجاتى (Jati) ومن المولد يصدر الهرم والموت أو الجرا-مرن (Jara-Marana) الوجدع والعويل، الألم والاضطراب واليأس، هذه هى أصل ميدان الألم بأجمعه".

## الشموة والجمل:

ترى البوذية الكون أزليا مستمرا ليس له مبدأ يبتدا منه. والمولد الفردى الذى هو المنشأ للألام الفردية الغاشية جميع حياة الفرد إنما هو سلاله الرغبات والشهوات والعواطف والميول الفردية المتقدمة لفرد، قد سبق هذا الفرد، والفرد



السابق كان متولدا عن شهوات وعواطف لفرد سالف قبل هذا ويمتد التسلسل لا إلى نهاية. وما دامت الرغبات والشهوات هائجة في الفرد دامت شجرة الحياة تثمر و بذورها تتغرس فتشقى منها الحياة وتتمو بأوجاعها وأحزانها وحسراتها وتمضى السلسلة إلى مستقبل بعيد فيستمر المولد يلد مولدا، ولا تنتهى السلسلة المشنومة حتى تعدم بذورها من الشهوات والرغبات والعواطف والميول. فينتهى الميلاد فالهرم والموت وسائر أوجاع الحياة وآلامها وأحزانها وحسراتها. وما بعثت البوداوات فى الكون إلا لإعدام بذور الآلام والحسرات. قال بوذا "لو لا ثلاثة فى الدنيا لما ظهر فى الكون الكامل المقدس الأعلى بوذا ولا الشريعة وما أشرق فى الكون التعليم الذى يعرضه الكامل وماذا تلك الثلاثة: المولد والهرم والموت، وما تبشير بوذا إلا الدعوة إلى النجاة من الآلام والحسرات باجتثاث شأفتها وقلع أصلها. مريدى! كما أن البحر العظيم له ذائقة واحدة ذائقة الملح، مريدى! كذلك لهذه الشريعة والتعليم ذائقة واحدة ذائقة النجاة".

وواسطة قلادة التعليم البوذى هى التبشير بالحقائق الأربع المقدسة، فمن علمها وآمن بها وسلك على سبيل قد اختطه نجا وتخلص، ومن لم يعلمها ولم يؤمن بها فاجتاز عنها وأعرض فقد غوى وشقى، فيهيم فى كل واد من الحياة حيران، أسفان يموت ويحىي ثم يهلك فيولد؛ ولا تتقطع هذه السلسلة حتى يحرز علمها ويعرف سبيل اعدام بذور الحياة من الشهوات والرغبات ويقمعها ويستأصل شأفتها فتتطفى شعلة الحياة بنفاد وقودها. وما دام يجعلها يستمر محفوفاً بالآلام والحسرات، فالجهل بهذه الحقائق الكونية المقدسة هو التربة الصالحة لغرس بذور الموالد المستأنفة مرة بعد أخرى. وهى الحلقة الأولى من حلقات السلسلة.

## النظامات:

الجهل يزىن الحياة فى عين صاحبه فيرى ألمها وحزنها سرورا وفرحا وظلمتها نورا ويخال متعباتها ملذات وبؤساتها نعمات، فيميل إلى الحياة ويفرغ

لمذاتها الزائلة ويتقلب في نعماتها الزاهقة ويعلق بنرفها فتأكل عليه وتشرب، وتتبعث بالجهل بكنه الحياة في نفس صاحبه خواطر و هواجس تشتد وترقى إلى الأميال والعواطف فتتضج وتصير شهوات وتترضح وتتربى حتى تنتظم منها صورة نفسية محكمة النسيج مكينة القرار تأخذ بلبه وتظهر عليه، وكأنها أعمال نفسية قد انتظمت وتألقت وأخذت صورة مشخصة وهيئة معينة قدأفرغ صاحبها في قالب خاص تتشخص بها أعماله وعواطفه وميوله ومتجهاته. وهذه الصورة هي العامل النفسى والمحرك الباطني الكامن في أعماق الحياة وبواطن الروح يدفع الحياة إلى قدامها ويقدمها إلى خارجها ويدحرجها من جسد قد فسد إلى جسد قد تكون فتتجدد الحياة وتتولد بتولد هذه الصورة وتجدها. والصورة هي "السنكارة" أو النظم الذى يتكون من الجهل. يقول بوذا في خطبته الموسومة بتكون المولد حسب النظم "مريدى! قد يقع أن راهبا محلى بالايمان، محلى بالصالحات، محلى بعلم التعليم، بالرضا والتسليم والفظانة، يقول في نفسه، حين يفسد جسدى بالموت هل أستطيع أن أحتاز معادى فى أسرة ملكية ذات سيطرة عظيمة؟ يفكر هذه الفكرة، يعلق بهذه الفكرة، يربى هذه الفكرة، هذه النظمات والأوضاع أو الوهارا (Viharas) اللاتي رشحها فى نفسه ورباها، تهدي إلى معاده فى مثل هذا التكون. أيها المريدون! هذا هو السبيل، هذا هو الطريق الذى يهدى إلى المعاد فى مثل هذا التكون". وقد ذكر عدة أمثال من صنوف الطبقات ومن جنسيات شتى من الناس والآلهة يضمرون أمانهم فى صدورهم ويرشحونها فى قلبهم فيقع ميلادهم طبق أمانهم وما يتخلصون عن أحزان الحياة وآلام المولد وتحيط بهم خطيئاتهم ويستديم تجوالهم وتطوافهم حيرى أسفى لا يستطيعون قرارا.

## الشعور:

تعتقد قدماء البوذيين أن الهيئة الانسانية الحاقلة للجسدية والروحية مؤلفة من ستة عناصر، يقول بوذا "مريدى! العناصر ستة: عنصر التراب، عنصر

الماء، عنصر الهواء و عنصر النار و عنصر الخلاء، عنصر الشعور" والعنصر  
الشعوري مباين للكل ومتميز عنها بخصائص تنحصر فيه وكأنها جزء روحي  
حاكم على الكل ونقطة ماسكة للتطورات الشخصية والشئون الفردية "الشعور الغير  
المحسوس الدائم منور الكل يحل مكانا لا يسع ماء ولا ترابا ولا نارا ولا هواء،  
وتقطع عنه الجلالة والصغر والضعف والقوة والجمال والدمامة والاسم  
والصورة بأجمعها". فمن مات ولما يتخلص بعد عن شوائب الشهوة والهوى،  
ينتشر جميع عناصره الأرضية ويبقى عنصره الروحي، ومن مات مفككا عنه  
أغلال الشهوة والهوى يتحلل عناصره الأرضية ويذهب شعوره إلى مرتفقه  
ويسكن في مقره، والشعور الباقي المخذول عنه رفقة من الأركان الأرضية  
المطبوع بطابع الشهوات يصير بذرا للحياة الثانية وجرثومة للميلاد اللاحق  
فيدخل في الرحم ويجد فيه ما يحتاج إليه من المواد للبنية المستأنفة، ويتكون  
شخص مستأنف، وتبدأ حياة أخرى بأوجاعها وحسراتها. قال بوذا وهو يتكلم  
أنندا أحب مريديا وابن عمه:

"أنندا! إن لم يدخل الشعور في الرحم فهل يحدث الاسم والصورة في

الرحم؟"

"لا، أيها السيد!"

"أنندا! وإن كف الشعور عن الصبي والصبية مرة أخرى ولما بلغا

الخلع، فهل ينال الاسم والصورة حظهما من اللثواء والنموء والريعان؟"

"لا، أيها السيد!"

هذا الشعور الذي يأتي في الكون مرة أخرى ويصير بذرا للحياة المستأنفة

إنما تأتي به المنظمات الكامنة في باطن الميت وتصيره بذرا للحياة، ولولا تحريكها

إياه وتقديمها في الكون لما تتقدم الحياة.

بسم الله

هذا الشعور الذي يأتي في الكون مرة أخرى ويصير بذرا للحياة المستأنفة

إنما تأتي به المنظمات الكامنة في باطن الميت وتصيره بذرا للحياة، ولولا تحريكها

## الاسم والصورة:

سرعان ما دخل الشعور في بطن الأم دخلت الحياة الفردية في مرحلة أخرى من وجودها المستمر وتجذب العناصر الباقية وتتزي بزى جسداني جديد ويتكون فرد جديد بجزئيه المادي والروحي أو الجسدي والنفسي. فالجزء الجسدي هو الصورة والجزء النفسي هو الاسم، وهما المنبعان للوظائف العضوية والنفسية، ولو لم يدخل الشعور في بطن الأم لم يتكون الاسم والصورة، ولو لم يتكون الاسم والصورة ما برز الشعور، فكأن الشعور يتوقف على الاسم والصورة وبالعكس. "ما هو الواجب كونه ليتولد منه الاسم والصورة؟ من اين يأتي الاسم والصورة؟ يجب كون الشعور ليتولد الاسم والصورة. من الشعور يتولد الاسم والصورة. ما هو الواجب كونه ليتولد منه الشعور؟ من اين يأتي الشعور؟ يجب كون الاسم والصورة ليتولد الشعور. من الاسم والصورة يتولد الشعور".

## الساحات الستة واتصالها والحس:

إذا اكتمل الفرد بوجهتيه الداخلية النفسية والخارجية المادية وصار معروضا للاسم والصورة، تتدفق فيه القوى الحسية ووظائفها وهذه القوى عند قدماء فلاسفة الهندست، فيعدون الذهن من الحواس، وأما ما سوا هذه القوة فلا يخالفون المعروف من الباصرة والشامة والسامعة والذائقة واللامسية، وهي المرادة بالساحات الست. وتقابلها من الظواهر الكونية متعلقاتها الخاصة بكل منها من المبصرات والمشمومات والمسموعات والمذوقات والملموسات. والتصورات متعلقات للحاسة السادسة الذهن، والظواهر الست الخارجية مظلمة لدينا ومستورة عنا لو لا توظيف الشعور حواسنا لأدراكها وربطه إياها بها فتوصل أشعة الشعور إلى الظواهر فتجلى لنا وتنتور لدينا فنذكرها ونحسها. وهذا الارتباط، ارتباط القوى الحسية بظواهر الكون وتعلقها بها هو الاتصال الذي يستلزمه وجود الساحات أو القوى وينبعث عنها.

## الظما والتعلق:

لما تقوم الرابطة بين الداخل والخارج وتكتمل صلتنا بالظواهر الخارجية وتتم العلاقة بيننا وبين التصورات والداخلية، فمحدث آميال شتى وعواطف جمّة وتبدو رغبات وتستولي آمال، فتترى وتتضج وتصير ظماً وشهوة تأخذ بلبنا، فنشتهي الرغائب لنستلذ بها ونتقلب فيها ونغتر بالحياة فنطمح إليها لنحيا حياة شهية مرضية. والشهوة تنمو وتترقى وتأخذ هياجا وحدة وتتوقد وتتذكى وتهيج الفعل لاحتراز المشتتهى وتحرك إلى العمل لنيل المبتغى وتصير ولعا وهياما بالمطلوب، وهذا هو التعلق أو الـ "اوبادنا". وهو مستعار من تعلق اللهب بالوقود، فكما أن النار ما دامت متعلقة بوقودها كانت ملتهبة، كذلك جمرة الحياة ما دامت ملتصقة ومتعلقة بوقودها من الشهوات كانت مشتعلة ملتهبة. فما دمنا نلتصق ونعلق بشهواتنا نشعل بشعلة الحياة، وسرعان ما استأصلنا شهواتنا وأهواننا انقطع التعلق فزال الالتصاق وخمدت شعلة الحياة وسكن الهياج وبرد الولع لنفاد الوقود.

## التكون والمولد والمرم والموت:

التصاقنا بالوجود وشدة ولوعنا بالحياة يؤديان إلى التكون والوجود فيحدث المولد المستأنف وتعود الحياة الفردية. وبالمولد تتجدد العلاقات العائلية والروابط العمرانية والصلات الاجتماعية والمشاكل الاقتصادية وتهض الميول والعواطف وتتعرض الغايات والمطامح وتطرا التطورات والتقلبات وتحيط الأوضاع والظروف الملائمة أو المباينة وتصدر الأفعال الحسنة أو الأعمال السيئة ويغشى الخوف والرجاء وتتناوب الأمل والخيبة، فتمتلى الحياة ببوساتها وحسراتها وتترحف فتقلب هرما فتنجج "الموت، الوجد والعويل والألم والاضطراب واليأس".

## إحاطة القانون:

قانون الاتصال العلى محيط بثلاث حيوات فردية: الحياة السابقة لفرد، والحاضرة والمستقبلية التالية. فالجهل والنظمت من الأحوال الطارئة على الفرد فى حياته الماضية والشعور يتولد فيها ويخرج عنها ويصير بذرا للحياة الحاضرة فتتقدم إليها و هو حلقة الاتصال بين السابقة والحاضرة، وهذا الشعور (وكانه شعور الذات وهو الشعور بالعينية بين الحياتين وبين الموضوعين السابق والحاضر وهذا الذى ينسحب إلى الحاضر) والاسم والصورة وساحات الحس والاتصال والحس والظماء والتعلق أحوال تربيتها الحياة الحاضرة. والتكون والمولد وما يقارنه ويتبعه من الهرم والموت وسائر الآلام والأحزان أحوال منشأها الحياة المستقبلية اللاحقة.

الاتصال العلى للتكون ليس بقانون يعم جميع الكون. ما تفكر بوذا فى نفس الكون ولا بحث عنه بل وضع أن الكون كيفما كان، موجود بنواميسه وقوانينه، فهل يتكون صدفة أم خلقا من شىء أو من غير شىء؟ وهل هو أزلى أو له بداية؟ وهل هو أبدى أم له نهاية، متناه امتداده أو غير متناه؟ وماهى النواميس المسيطرة عليه؟ تلك أبحاث لم يعن بها بوذا لأنها غير مثمرة فى الحياة الأخلاقية البشرية. والقانون لا يوجه تطورات الكون ولا يعلل تقلباته ولا يكشف عن شئونه. وجل البحث عنه إنما هو من وجهة تأثيره الأخلاقى فى الحياة الفردية، لأن الظواهر الكونية محيطة بالأفراد الانسانية بل بحياته النفسية فتؤثر فيها وتعمل بتهييج السرور فيها وإثارة الألم بالمباشرة أو بغير المباشرة. وقد بحث بوذا عن الانسان، ولكن دائرة بحثه عنه مقصورة على الهيئة الأخلاقية المتجسدة فى صورة الانسان. فقد وضع أن فيه عناصر خمسة يأخذ الشعور منها قسطه ليكون إنسانا ذا روح وجسد. وكان الانسان مضغوطة تحت أوزار الآلام والبؤسات فصار جل سعيه انقاذه عن مسخطته وتخليصه عن متعبته. فافتكر واستخرج قانونا يعلل ألمه ويوجه بؤسه. فالقانون قانون تكون الألم يشرح عن



أحوال وشنون تؤدي إلى الحزن والأسف. والقانون حافل ببعض تصورات  
تجريدية من ما بعد الطبيعيات من استمرار الحياة الفردية من ماض بعيد غير  
متناه، وتوالى تقمصاتها أجسادا بعد أجساد من عصور مجهولة وتكوناتها  
اللامتناهية ولكن هذا ليس بتنقيب فلسفي وبحث عقلي خالص، بل كأنه أمور  
موضوعة مسلمة عند الخاصة والعامة بديهية مع ما لها من طابع أخلاقي يستعان  
بها في تعليل بؤسات الحياة وتوجيه امتيازاتها بخصب العيش وضنكه كما أسلفنا  
في مقالتنا السابقة.

كان بوذا ينهى أصحابه وزواره عن أن يخوضوا في الكون نفسه،  
ويوبخهم على سؤالهم عن قضايا دقيقة مجردة، ويأمرهم بالخوض في أعمالهم  
ودواعيها وأميالهم وعواطفهم وعواملها، ويحثهم على التأمل في الظواهر الكونية  
والمراقبة عليها من وجهة تأثيرها على أنفسهم من إنهاض الروح وتحريك الألم،  
وكان يشرح لهم الكون وظواهره من هذه الناحية، فاما يسكت أو يعطف المسئول  
عن منطوقه ويأتيهم من حيث ما احتسبوا ويجيبهم بغير ما اقترحوا فيهدبهم إلى  
الصراط السوي. قال مرة "مریدی! لا تفكروا كما يفكر الناس: الكون دائم أو  
ليس بدائم، الكون متناه أو غير متناه. مریدی! إن تفكروا فافكروا هكذا: هذا ألم،  
افتكروا هكذا: هذا أصل الألم، افتكروا هكذا: هذا إعدام الألم، افتكروا هكذا: هذا  
سبيل إعدام الألم" وما توارث عنه وأثر منه في الكون وتكونه وأصله وعلله  
وتطوراته فكان أن يمثل عن هذه الناحية. أما توجيهه إلى طبيعيات صرفة أو  
إلى آراء في ما بعد الطبيعة فكانه توجيه القول بما لا يرضى به قائله. ومن أسس  
رأيه على ظاهر القول فقد وجه القول عن معناه وأغمض العين عن سياقه  
وسياقه، وعرض الفكر لمعضلات ومعارضات لا تكاد تنقح مدى الدهر.

ولعل هذا القانون شرح لنظرية الأعمال الشائعة في حكماء الهند. فان  
للأعمال تأثيرا في نفس العامل فتعداها لقبول أجساد خاصة بأعمال خاصة  
متلازمة لها، ويعلمون بهذه النظرية إختلاف الكائنات الحية وإمتيازاتها في  
موالدها ومعاشها وغيرهما كما فصلنا في مقالتنا السابقة. والقانون يوضح كيف

تؤثر الأعمال في النفس وتعدّها للتجسد ثانياً بعد فساد الجسد الأول، فتنشأ  
النظّمات والنظّمات تنشأ الشعور إلى آخر الحلقات حتى يتدرك النفس في الرحم  
ويتولد، إلا أن البوذية ترى الحياة شائهة كبرى، والمولد وسيلة إليها فلا تطمح في  
القانون إلا إليهما.

## إبهام القانون وإخضاله:

ولما انشرح صدر بوذا للحقائق الأربع تحت ظل الشجرة وألقى في  
روعه الاتصال العلمي وأراد أن يبشر بهما الناس ويدعوهم إلى النجاة ويهديهم  
إلى الصراط السوي وجد نزعة وإمتناعاً من نفسه لما استشعر من إعضال  
القانون وإبهامه وأحس في نفسه أن الناس لا يتلقونه ولا يحيطون به فتأمل  
وناقض وعارض حتى لاح له التبشير والدعوة فصمم العزم. ومن ينظر في  
القانون ويتأمل في حلقاته يصدق حدسه ويؤيد فكره ويصوب تذبذبه فيجد حلقاته  
غير محكمة النسيج وتحليلاته النفسية ضحيلة المأخذ وتعليقاته ادعائية المصدر،  
ويرى بعضها مبهمة فلا يكاد ينقح أن الشعور المتناقل من الميت إلى الحي  
المتولد، يبقى أم ينفد ثم يتولد شعور آخر من النظّمات الحديثة فيصدر منه الاسم  
والصورة. وإن كان باقياً مستمراً كما يلمح إليه بعض النصوص، فتولد الشعور  
إما هو مجرد انطباعه بطابع النظّمات وإما تكثره بشعورات متماثلة وإن وضعنا  
أن الشعور واحد مستمر ينطبع في كل حياة بطوابع النظّمات الخاصة بتلك الحياة  
وكأنه هو الذات أو "أنا" الماسك لعينية الحيوانات المتعاقبة المتكثرة وهو الذي  
يحرك الحياة ويدفعه إلى الظهورات المتوالية في مظهر جديد من الجسد بعد فساد  
مظهر قديم فيظهر في بطون الأمهات (ولعل هذا بواسطة الآباء) ثم يولد حياً  
إجتماعياً فالتعلق إنما هو تعلق الشعور أو الذات بالحياة وولوعه بها، فيأخذ  
الشعور بهذا التعلق والولوع قوة وهياجاً وثورة يندفع بها إلى القدام ويفتنص  
المواد الواجبة لظهورها من باطن الرحم فيتكون وليس التكون إلا ظهور الاسم  
والصورة. وما الاسم والصورة إلا الصورة الجسدانية الشاعرة مع ما لها من

الحواس المدركة والقوى النفسية الباطنة، والتكون يتبعه المولد، فيولد فرد بسذاجته الفطرية غير مصطبغ بصبغة الشهوات وغير منطبع بطوابع الهوى جاهلا عن الآلام والأحزان، وعن كيفية طرئها وقلعها فتتصل قواه الحساسة بمتعلقاتها، فيميل إليها ويشتهي فتصطبغ الذات بصبغات الشهوات، حتى يحدث الولوع والهياج فيدفعانها ويديمانها، وأين هذا من ذاك المذكور في نص القانون ويفسد الترتيب ويندمج بعض الحلقات في بعض ويستصحب البعض بعضا ويبطل التعاقب والتتابع.

والحق أن القانون ليس ترتيبه ولا تعيين حلقاته ترتيبا منطقيا ولا تعيينا فلسفيا بل هو تعدد أسباب المولد المشئوم المجتلب للأحزان والآلام تعددا خطابيا من غير إحتراز عن التجوزات والتسامحات في البيان والتعبير كما هو ديدن القدماء وهذا هو التوجيه لاختلاف النصوص فيها عددا وترتبا فاحش الاختلاف حتى أن بعض النصوص قد قصرت الحلقات على حلقتي الشعور والاسم والصورة.

### الحقيقة المقدسة عن إعدام الألم:

أصل الألم عند بوذا هو الحياة المتجددة بالموالد المتجددة فما لم يسد باب الموالد لم تمنع الحياة عن استمرارها متجددة متصرمة مؤلمة وما من مولد إلا وتخرمه أوجاعه وأحزانه وحسراته فما من مولود إلا سيهرم وما من هرم إلا سيموت أمرا مقضيا. المولد هو العلة الوحيدة لغشى الآلام وعروض الأوجاع وطريان الأحزان وإحاطة الحسرات فإعدام الألم إنما هو بإعدام علته من المولد وإعدام المولد إنما هو بإعدام علته من التكون كما أن كونه إنما هو بكون علته يقول بوذا:

"لكنه إن قمع الجهل بإعدام الشهوة عدما باتا، فهذا يحدث قمع المنظمات، من قمع المنظمات يتقمع الشعور، من قمع الشعور يتقمع الاسم والصورة، من قمع الاسم والصورة تتقمع الساحات الست، من قمع الساحات الست يتقمع الاتصال،

من قمع الاتصال يتقمع الحس، من قمح الحس يتقمع الاتصال، من قمع الاتصال يتقمع الحس، من قمح الحس يتقمع الظما، من قمع الظما يتقمع التعلق، من قمع التعلق يتقمع التكون، من قمع التكون يتقمع المولد، من قمع المولد يتقمع الهرم والموت، الوجع والعويل، الألم والاضطراب واليأس. هذه هي قمع ميدان الألم بأجمعه".

فلا يستطيع أحد أن يقمع ميدان الألم من دون قمع الموالد ولا يقدر أحد أن يجتث أصله من غير إجتثاث علله، المتلازمة بمعلولاتها طردا وعكسا.

## إعدام الألم ونظرية العلية:

ترى البوذية بوجوب العواقب ولزوم النتائج وإستتباع المتقدم المتأخر حتما باتا لا يسده ساد ولا يرده راد. "ما هو للهرم فلا ينحط وما هو للمضى فلا يمضى؛ هذه لا يقوى عليها سمنى ولا برهمى ولا إله ولا شيطان ولا البراهما ولا أحد من مونودات الكون كله إياما كان" فلا يعدم شيء عن سلسلة التكون وعلته موجودة ولا يوجد شيء عن حيز العدم وليس له علة فعجلة العلية متحركة وجودا وعدما، وهذا هو الاعتقاد الحق يقول بوذا "أعلمك ذما (Dhamma) أو الاعتقاد الحق: بحضور ذلك يتكون هذا بانبعث ذلك ينبعث هذا، بغيبة من لا يتكون هذا، بانقطاع ذلك ينقطع" فإذا لم يقمع الجهل عن صاحبه بغيبة الحقائق الأربع المقدسة أو بعلمه بنفسه لا يخلى بينه وبين شهواته فإذا علمها وادركها ادراك صدق ينزع نفسه عن الشهوات. فإعدام الشهوات تابع للعزم والارادة وهما يتبعان العلم. والعلم والعزم بل الفعل كادت أن تكون متلازمة في عرف القدماء وكان العلم الحق هو العمل بل الفعل كادت أن تكون متلازمة في عرف القدماء وكان العلم السارى فى العواطف والأميال وهو المثمر، أما العقل المجرد فلا يجدى فائدة. وما لم ينتزع عن الشهوات لم تنقطع النظمات والسنكارات فلم ينقطع الشعور، فالاسم والصورة، فالساحات الست، فالاتصال، الحس فالظماء فالتعلق فالتكون وما لم تنقطع سلسلة التكونات لم تقف الموالد فلا تنتهى الآلام والأوجاع.

متعبة الانسان ومسخطة هي حياته المنغمسة في الأهواء والشهوات،  
المفعمة بالملذات والملهيات المعتقة بالترف والزخارف. فان الأهواء والشهوات  
هما اللتان تجلبان الآلام والأوجاع والملذات والملهيات، هما اللتان تجلبان الحزن  
والخوف. فينبعث الميل إلى الحياة وترفها فتتولد الحياة من الحياة وتستمر الفاجعة  
بعد فاجعة. وقد مثل بوذا عن الحياة بالشعلة وعن الشهوات بالوقود تمثيلا غير  
مرة إنه كما تستمر الشعلة باستمرار وقودها كذلك الحياة تدوم بدوام شهواتها  
من أفجع المهالك تعذيبا وأفزع المخاوف تطرقا وقد حذر بوذا عنها وعن بواعثها  
وعواقبها أشد تحذير، فضعها أشد تفضيع وجعل إخماد الشهوة رأس الخيرات،  
التزهد في الاستلذاذ بها ملاك النجاة. يقول بوذا في أناشيده. من اللذة ينبعث  
الحزن، من اللذة ينبعث الخوف، والذي يحرر نفسه من اللذة لا يجد حزنا ولا  
خوفا. من الميل ينبعث الحزن، من الميل ينبعث الخوف، والذي يحرر نفسه من  
الميل لا يجد حزنا ولا خوفا. من الشهوة ينبعث الحزن، من الشهوة ينبعث  
الخوف، والذي يحرر نفسه من الشهوة لا يجد حزنا ولا خوفا. من الحب ينبعث  
الحزن، من الحب ينبعث الخوف، والذي يحرر نفسه من الحب لا يجد حزنا ولا  
خوفا. من الطمع ينبعث الحزن، من الطمع ينبعث الخوف، ومن يحرر نفسه من  
الطمع لا يجد حزنا ولا خوفا. ومجرد ما الابتعاد عن الشهوات والنزوع عن  
الأهواء والتزهد في الملذات لا تجدى فائدة في قمع أصل الألم واجتثاث شاقته ما  
لم تجتث جذور الشهوة وبذور الهوى. حتى لا ينبعث الميل ولا تنتهض العاطفة  
فتسكن العواطف وتجمد الأميال. يقول بوذا كما أن الشجر المقطوع ساقه الثابت  
أصله يبدأ وينمو مرة أخرى فلا تتحرر النفس تحررا كاملا ولا تتجو نجاة تامة  
ولا تتخلص عن دائرة المولد والفساد لذات الخلق ناعمة مسرفة والناس يقاسون  
المولد والزوال منغمسين في الشهوات طامحين إلى الملذات والانتغماس في  
الشهوات والاشتغال بالهوى والعكوف على الملذات والانقطاع إلى الترف منشأها  
الجهل بالحياة وبحقائقها. والجهل يثير الشهوات، ويبعث الأميال ويهيج العواطف  
وهو السبب الابتدائي لكل ما يطرأ على النفوس الإنسانية من الخوف والاضطراب

رئيس الخيبة والحزن والأسف والألم والوجع وهو الذى باعدامه تقف عجلة الاتصال العلى للتكون بأجمعها فلقمعه وإعدامه شأن ليس لغيره من الحلقات. يقول بوذا " وصمة أفضح الوصمات كلها. الجهل أقبح الوصمات. أيها الصعاليك! اغسلوا عنكم هذه الوصمة كونوا من غير وصمة".

## إعدام الألم ونظرية الأعمال:

ترجم البوذية تباعا للرأى الغالب على الفكر الهندى أن كل ما يرى الانسان من السعادة والشقاء والبوس والرخاء فمستتبع من أعماله السابقة إن خيرا فخير وإن شرا فشر. لا يستشعر الانسان بشيء من الحزن والتعب ولا يجد شيئا من تطورات أحواله وتقلبات شئونه إلا يعمل فى حياته السالفة. الحاضر لا يتكون نفسه بل بماضيه والحياة الفردية لا تبدأ مذ مولده بل هى سلسلة مستمرة مذ امد غير متناه. الحياة المتقدمة تفعل المتأخرة والأحوال مبعوثة الأعمال والأعمال هى المعللة للامتيازات الفردية والاختلافات الصنافية. "لا يستوى الناس أحوالا لاختلافهم أعمالا فتطول أعمار بعضهم وتقصّر أعمار البعض، وبعضهم أصحاء والآخرون مرضى. "كل عمل يجرى بمثله من الأحوال إذا نضج." كاسب سينة يرى خيرا ما لم تنضج سيناته ثم يرى ذلك الكاسب السنينة سينة، فاعل الخير يرى أياما سودا مالم تنضج خيراته ثم يرى ذلك العامل الخير أياما بيضا. ولا يستطيع أحد أن يفر عن عاقبة أعماله. الناس محفوفون بأعمالهم أينما تولوا وأيما ما كانوا وحيثما آووا". ليس فى السماء ولا فى وسط البحر ولا فى شق الجبل وإن ناوى إليه ولا فى الكون كله مكن يكمن فيه الرجل ويتقى عن عمله السوء. "وبعض النصوص يدل على أن الحاضر وإن كان تبعة للماضى ولكن الماضى لا يجب أن يستلزم هذا لا غير. فلحاضر نصيب من الحرية يتكون حسب الأميال والعزائم الحاضرة. وبعض النصوص يظهر ان أحوالنا الموجودة، وشنوننا الحاضرة مستتبعة من أفكارنا السابقة وأخيلتنا المتقدمة. وشعورنا هو الذى يكوننا. فأحل الشعور محل العمل من التكوين ولعل هذا إيماض إلى شدة



الارتباط بين العمل والشعور أو العزم والعمل فكأنهما متحدان يحل أحدهما محل الآخر. يقول بوذا في الأنشودة الأولى من أناشيده "كل ما نحن هو فتبعة لفكرنا السابق وهو مؤسسة على فكرنا وهو صنع فكرنا".

وترى البوذية أن الحياة الحاضرة وإن كانت تكملة للحياة المتقدمة وأطوارها، وشنونها نامية عن بذور مغروسة في التربة الأولى ولكنها حرة في مستقبلها تكونه كيف شاءت. فإذا ارتدع الرجل عن الشهوات ونهى النفس عن الملذات، وواظب على الخيرات وأوى إلى الشريعة والتجأ إلى النظام ينقطع عنه إنتظام السنكارات أو النظمات، لا يصير عوره بذرا للحياة المستأنفة ويتعالى عن لخير والشر "من لم يكن في فكره إنتشار وليس في ذهنه إضطراب وتجافى عن الفكر فى الخير والشر وراقب نفسه فلا خوف عليه". وطفقت أعماله تصدر عنه غير مشوبة بالعواطف والأميال غير مقرونة بالشهوات، فلا تجلب ثوابا ولا عقابا ويتخلص عن الموالد "من الناس من يولد مرة أخرى، الشرار يذهبون إلى النار والخيار يذهبون إلى الجنة والذين قد استنقذوا من شهوات الدنيا يحرزون النروان أو النجاة".

ولما يريد الانسان أن يطهر حياته عن أوساخ الشهوة ويزكى نفسه عن سيئات الأعمال، فيسلك طريق التزهد ويمتنع عن الرخاء فى العيش والانغماس فى الترف يستوفى نصيبه مما اكتسب من سيئات أعماله فى هذه الحياة جزاء موفورا ولا يبقى له عمل غير مجزى ليعود له فى الدنيا أو يدخل النار. قد جاء بوذا مرید له مفلق الرأس، دامى الجروح فقال له بوذا "تحمله كما تجد ايها الناجى!..... فقد ابتليت بعواقب أعمالك اللاتى توجعك فى الأعراف قرونا (لو لا ان ابتليت بها فى هذه الحياة)" والسيئة الواحدة تختلف تأثيرا وعقابا حسب إختلاف الكاسبين صلاحا وفسادا، فخيرهم خفافهم تأثرا ووبالا وشرارهم شدادهم تأثرا وعذابا. يقول بوذا ممثلا عن هذه الاختلاف "كما إذا يلقى الرجل ملحا فى طأس من الماء يصير الماء مالحا غير سائغ للشرب ولكن إذا ألقاها فى نهر جنجا (Ganges) لا يلحق مائها تغير ما".

بهذه التوفيقات والتوجيهات قد وفقت البوذية بين الجبرية اللازمة بنظرية الأعمال وبين حرية الفكر والعمل التي هي واجبة لاحتراز النجاة في الآخرة وتخليص الحاضر والمستقبل عن الآلام والأوجاع.

## الحقيقة المقدسة من سبيل إعدام الألم:

البوذية بأجمعها فكرة أخلاقية. جميع مهماتها من التعليلات والتوجيهات وتكون الأميال والعواطف وصدور الأفعال ورفق النفس وحضها وبقائها وفنائها كلها تدور حول غاية أخلاقية. وفلسفة أخلاقها هي الفلسفة للأخلاق الفردية فلا تبحث عن الاجتماع كيف يرقى ولا عن الشعب كيف يرفع ولا عن مستوى الحياة كيف يسمى. شعارها أن الدنيا تعس فليهرب عنها ويتقى، ودعوتها أن الحياة سخط فليفر عنها ويحترز، ونعرتها أن المجتمع البشري شر فليعتزل عنه ويبتعد، فلا يحتفل بتجميل الدنيا فيعاش فيها وترقية الحياة فيطمح إليها وصلاح المجتمع فيفتخر به

مبتغى الإنسانية هو الجمود لأحزان الحياة وآلامها وحسراتها، وإخسار النفس لمسراتها وملذاتها والاعتلاء عن حسناتها وسيناتها في الدنيا والفور بالنجاة والتخلص عن تكرار المولد في الآخرة. أما الجنة والنار فغير مضموحتين إليهما في السعادة البشرية وكأنهما حلقتان من حلقات الحياة المعادة مرة بعد أخرى متوخاة انقطاعها أو منزلتان في سفر الحياة يقام فيهما برهة فيرحل عنهما.

## الأخلاق البوذية:

وجهة نظر البوذية في الأخلاق إنما هي وجهة منفية فتحل النزوات والاعتزال المحل الأول وتتوخى الفعل والاشتغال في المحل الثاني للتوسل إليها وتجعل نصب عينها التحرر من الآلام أما احتراز السرور فكأن يكون غايبة غير مباشرة بل ما هو إلا عدم الألم ولكن ما خسرت بوجهتها المنفية في الأخلاق

الإيجابية فالتشائم بالحياة وتنازها بالألم قد نفخا في أخلاقها روح التعاضد والتحامل والتأسي فحثت على الرحم والشفقة ولين الجانب والتواضع والحلم والسماحة والعفو والتسامح والاخلاص والموانسة والايثار والاحسان، وحمل أعباء الناس والكفائة عنهم وغيرها من الملكات الفاضلة ذات قيم إجتماعية وفردية.

وقد عللت البوذية مقترحها من الخير بالسرور ومجتنبها من الشر بالألم، بل لا خير عندها إلا السرور الدائم المنبعث عن أعماق الروح، ولا شر إلا الألم المتوالى الناشئ عن باطن الحياة. فظهرت داعية الأخلاق عن جميع شوائب الخوف والرجاء من اجتلاب الخير واكتساب السمعة ودفع الضرر وقمع الشناعة والعدوان. ورفعت مستوى الأخلاق عن الأجر والذخر، وأقلعتها عن تربة العواطف وغرستها في حقل العقل. فمن يرجو نجاته فليعمل عملا صالحا، ومن يخاف هلاكه فلا يقرب السيئات. الأعمال تكون الشخصية والشخصية لا تتولد ناجية أو بئسة بنفسها وإنما الأعمال بالنيات وهي المناط للصالح والفساد والمدار للخير والشر. بل هي الحسنات والسيئات التي تفعل في النفس أثرا وترين على القلب فتهدى إلى النجاة أو تلقى إلى التهلكة.

والنصوص مضطربة في عيار الخير من الأعمال وشرها وما يستفاد من توفيق بعضها ببعض. إن الأعمال منها مطهرة وهي المطلوبة للفوز بالنجاة الأبدية في الأولى والآخرة، ومنها غير مطهرة فالمطهرة هي المنزهة عن العاطفة والجهل والشهوة وهذه الأعمال لا يتبعها أثر ولا نظم أو سنكاراة بل تفلح النظمات القديمة وتسوى السبيل إلى النجاة. والتأمل في الحقائق الأربع للسلوك على سبيل الأرهاطية أو النجاة والالتجاء إلى الجمعية والشريعة البوذيتين هو العمل المطهر المتعالى عن الحسن والثواب والسوء والعذاب. والغير المطهرة فمنها الحسنه وهي التي يتبعها الثواب في الآجل أو العاجل. ومنها السيئة وهي التي يتبعها العذاب في الأولى أو الأخرى.

والأخلاق البوذية بأجمعها تقوم على ثلاثة أركان : العلم أو بنا (Pinna) والتقوى أو سلا (Sila) والتأمل والتركز النفسى أو سنا (Cina) وسمادهى (Samadhi) وجميع الخيرات من الأعمال البدنية والنفسية أو القلبية المطلوبة فعلا أو كفا مندرجة فى هذه الثلاثة. وهى التى تهدى إلى النجاة الكاملة وتطهر عن نقائص الانسانية. قال بوذا "هذه تقوى ، هذا تأمل، هذا علم. التأمل مشربا بالتقوى مثمر ومملوء بركة، العلم مشربا بالتأمل مثمر ومملوء بركة، الروح مشربا بالعلم يتحرر من كل نقص، من نقص الشهوة، من نقص التكون، من نقص الخطاء، من نقص الجهل".

## السبيل المثمن:

كان الناس فى زمن بوذا فرقتين: فرقة قد سلب من الانسانية جميع سعاداتها القسوى وأغفلها عن كل خيراتها العلى فكانو يرون الالتذاذ بجميع الملذات والانغماس فى جميع الترف من غير منع ولا ردع مبتغى الانسانية. وفرقة قد أخذت من الناس سكنهم وأنزعت منهم روحهم فى هذه الحياة، فكانوا يرون إتعاب الأبدان وإتلاف النفوس بالرياضات الشاقة والتبتل فى الكهوف والغابات وسيلة إلى الكمال ووصلة إلى النجاة. وشنع بوذا كليهما وانتقد عليهما وأعطى الانسانية سكنيتها وآتاهما سلمها وبشرها بالنجاة الأبدية ودعاها إلى السرور المستديم واختار لها طريقا وسطا ليس بانغماس ولا إتلاف واكتشف صراطا سويا يهذى إلى النجاة ويعدم جميع آلام الحياة وأحزانها إعداما باتا ويغلق أبواب الموالد المشنومة الهائلة الهاجمة على عقول الهند عامتهم و خاصتهم والسبيل حافل لجميع شعاب الخير ومسالك النجاح ضامن للسعادة البشرية فى الآخرة والأولى. وها هو السبيل المثمن الذى قد دعا إليه بوذا حين شرع تحريك عجلة الشريعة. يقول بوذا فى أنشودته التى افتتح بها التبشير "هاتان نهايتان لا يقربهما من رقى وتقدم: الانغماس فى الملذات المحسوسة والثانية الانقطاع إلى إتلاف النفس المؤلم الدنىء الغير المثمر. وإنه لطريق وسط قد اكتشفه طائفا غاطا

(Tathgatha) أو الكامل. طريق يفتح العينين ويوتى الفهم ويهدى إلى السلم، إلى البصير، إلى الحكمة العليا، إلى النجاة. إنه لسبيل مثنى أريانى (Aryah) أو مطهر. هو الاعتقاد الصحيح (Ditthi) العزم الصحيح (Samma Sankappa) القول الصحيح (Samma Vaea) العمل الصحيح (Samma Kamanta) العيش الصحيح (Samma Ajiva) الجهد الصحيح (Samma Vayama) الفكر الصحيح (Samma Sati) التأمل الصحيح (Samma Sammadhi) "والطريق يهدى إلى النجاة ويعدم الألم ويزكى القلوب وينقذ من سلطان الشيطان. "خير السبل السبيل المثنى، خير الحقائق الكلمات الأربع، خير الحسنات الجمود من دون عواطف، خير الناس من له عينان للروية. هذا هو الطريق، لا طريق يهدى إلى طهارة الطبيعة سواه. عليك بهذا الطريق. كل شيء ما خلاه غرور الشيطان. إن سلكتم هذا الطريق أعدمتم الألم. قد ابلغ الطريق عني؛ عن الذى يعلم كيف تنقش الأشواك. عليكم بالجهد بأنفسكم. ما على الطائاغات أو الكاملين إلا البلاغ. الذى قد أخذ سلوك الطريق وله فكر يتحرر عن حباله الشيطان".

## الاعتقاد الصحيح:

قد ذكرت النصوص القديمة الآلهة من إندرا (Indara) و ياما (Yama) وورونا (Varana) والبراهما الاله الأبنشدى المحيط الكل والسارى فى الكل وغيرهم ذكرا استطراديا تباعا لما شاع بين الناس ولكنها ما عللت الحياة بهم ولا علقت فضائل الأخلاق وذرائلها برضائهم وسخطهم ولا جعلتهم مصادر الخيرات والشورور ولا رفعتهم عن نوازل الحياة من السرور والألم ولا طهرتهم عن أوساخ المولد. أما الاله الشخصى الذى هو العلة الأولى لجميع الكائنات وخالقها المدبر لأمرها المسيطر عليها فالمصادر القديمة لا تتعرض به لا نفيًا ولا إثباتًا والمصادر المتأخرة حاسمة فى نفيه بيد أن التعليم القديم كاد أن لا يتوافق باعتقاد مثل هذا الاله ولا أقل من أنه ليست له قيمة فى التعليم لا عملية ولا نظرية. والعقيدة الأساسية إنما هى اعتقاد الحقائق الأربع إذ به يتقدم التعليم وعلى قطبها

تتحرك رحي الشريعة ومنها ينتظم النظام الرهباني البوذي. وهو المطلوب في السبيل المثلث ان الجهل أصل بؤسات الحياة فشعلة الحياة تلتهب بالشهوات المنبعثة بالجهل ولا تلاشى إلا بالعلم بالحقائق الأربع والاعتقاد بها وهو في المحل الأول من الارتقاء و ذروة الكمال وفي المنزل الأول من السبيل إلى النجاة. والعقائد الباطلة تفعل الاميال الباطلة فالشهوات الفاسدة فالأعمال المهلكة. والعقائد الصحيحة تنشأ الاميال الصحيحة فالشهوات الصالحة فالأعمال المنجية. قال بوذا "الذين يرون الحق في الباطل والباطل في الحق لا يهتدون إلى الحق بل يتبعون الشهوات الفاسدة، والذين يجدون الحق في الحق والباطل في الباطل يهتدون إلى الحق ويتبعون الشهوات الصحيحة".

## العزم الصحيح:

مجرد الاعتقاد الصحيح لا ينفع في تكوين الشخصية المرضية الناجية إلا أن يبعث في المعتقد ميلا إلى الفعل أو الكف ملائما لاعتقاده ويرقيه إلى الإرادة وينضجها ويثبتها فتتصم وتصير عزمًا حاضا على الفعل ساريا على العواطف والأميال قاهرا عليها. والعزم الصحيح هو العزم إلى الكمال وتشمير الذيل للنجاة والطموح إلى التخلص من الآلام بالتبتل عن شهوات الدنيا والتخلي عن الشنأة والضغن وبالتأسي بالناس وسائر الخلق كلهم أجمعين والتودد بهم وحمل أعبائهم.

## القول الصحيح:

إذا عزم أحد أن ينقذ نفسه من القيود من الحزن والألم ويكمل شخصيته للفوز بالسعادة القصوى فليعمل بالواجب عليه وليمثل أعماله عن عزمه وعليه بصدق اللسان وقول الحق والحذر عن فواحش القول وزور في الكلام والاجتناب عن الغيبة وخشونة اللهجة والهذر في القول. هذا هو القول الصحيح.



## العمل الصحيح:

لا تحتفل البوذية بالطقوس الرسمية البرهمية. الغسل في الأنهار المقدسة والمداومة على الصيام والاشتغال بالعبادات المتعبة والجولان عراة حفاة والتزى بزى الرهبان: حلق الرأس وتلييد الشعور وتتريب الجسد والتعهد بالدرن والوسخ والاضطجاع على الأرض أو الملازمة على الجلوس ساكنا صامتا وعرض النذور وتقديم القرابين وغيرها من الأعمال النافقة في ذلك العصر ليس لها حظ في النجاة البوذية. قال بوذا "الرجل يتقرب بألف قربان شهرا فشهرًا ثم يقدم تبجيلا واحدا إلى رجل قد غرق روحه في العلم الحق. فهذا التبجيل الواحد خير من تقديم القرابين مئة سنة. الرجل يعبد نارا مئة سنة في غابة ورجل يقدم تبجيلا لأن واحد إلى رجل قد غرق روحه في العلم الحق فهذا التبجيل خير" وأيضا يقول "التعري وتلييد الشعور والتعهد بالأوساخ والصوم والمواظبة على الاضطجاع على الأرض وتتريب الجسد والملازمة على الجلوس ساكنا صامتا كلها لا يظهر فانيا لم يقهر شهواته" ثم يقول "لا يظهر نهر رجلا متعهدا بالسينات مضمرا للمقت مرتكبا للجناية". وقال في موضع آخر "النجاسة يستحدثها الغضب وشرب الخمر والغرور والشنائة لا أكل اللحم".

والعمل الصحيح عند البوذية عبارة عن تطهير الباطن من حب النفس والشح والحقد والغلظة والشهوة والغضب وعض الطرف عن عيوب الناس والتأسي بهم في أحزانهم وأوجاعهم والأخذ بالتقوى بشعابها الخمس من الاجتناب "عن قتل كل ذى روح وعن سلب أموال الناس وعن النظر إلى نساءهم وعن قول الزور وعن شرب المسكرات" والاحتراز عن التعدى بالجوارح وضبط الفكر واحتساب القول. و "الطهارة هي احتساب القول وضبط الفكر وكف الجوارح عن الخطأ ومن يظهر ثلاثة سبل العمل هذه، يهتدى سبيلا علمه أولو الألباب".

## العيش الصحيح:

لا تجدى الأعمال الصحيحة فائدة تامة ما لم يصطبغ جميع الحياة بصبغتها ويصير العيش كله المثل الأعلى في الايمان والفكر والتركز والسرور وانسراح الباطن والأسوة الحسنة في الزهد والقناعة والضبط والثبات والاقتصاد فى المآكل والملابس والإحسان والتقوى "الذى يعيش طامحا إلى اللذات غير مقهورة الحواس مترفا فى الطعام كسلا ضعيفا ليقلعه الشيطان أو مارا كشجرة ضعيفة يقلعها الريح. الذى يعيش زاهدا فى اللذات مقهورة الحواس مقتصدا فى الطعام، مومنا، ثباتا فالشيطان لا يقلعه أزيد من قلع الريح جبلا صلبا". ويقول أيضا "لا تفضيح و لا صراع، العيش تحت ضوابط الشريعة، والاقتصاد فى المآكل والنوم متوحدا، معتكفا، التعهد بالأفكار العالية. هذه هى تعليم بوذا" ويقول "قلنعش مسرورين أحرارا عن الحرص فى الحريصين ولنعش أحرارا عن الحرص فى رجال حرصاء. فلنعش مسرورين ولا نقل عن شىء أنه لنا. وعليه أن نصير كالألهة النورية نقات السرور". ويقول "الذى يقهر يديه، الذى يحرس رجليه، الذى يحفظ القول، الذى هو منضبط انضباطا حسنا، الذى هو مسرور بباطنه مجتمع الجأس، معتزلا، قانعا، اياه يسمون فقيرا".

## الجهد الصحيح:

الجهد الصحيح هو اجتهاد النفس فى مصارعة الشهوات والاستيلاء عليها حتى تنعدم شافتها. وسعيها لاجثا الرزائل عن أصولها حتى تتلاشى بذورها والتيقظ الباطنى للخطرات الباطلة والهواجس الفاسدة والرقابة النفسية على الأميال المنكرة والعواطف السيئة وتمرين الباطن على الاصطبار على تحمل المشاق فى سبيل النجاة واعداده لفعل الخيرات. وهذا الجهد سبيل باطنى يهذى إلى الخير من الأعمال الظاهرة وكأنه نزع نفسية وبعثة قلبية تشجع عواطف الخير فتغشى الحياة وتوجهها وجهة النجاة.

## الفكر الصحيح:

وهو عبارة عن أفكار مجتمعة، منضدة، متقنة البنية، رصينة الأساس عميقة المأخذ مرتكزة صالحة الأصول منضبطة الفروع. وتضع البوذية الأفكار في المرتبة الأولى من الاهتمام والاعتناء فما لم تتطهر الأفكار لم تتطهر الأعمال. قال بوذا "لسنا إلا ولائد أفكارنا. أساسنا عليها واصطناعنا منها. من يتكلم أو يفعل بالفكر الطاهر يلزمه السرور كما يلزم الظل ذا الظل" وقال "العاقل يقوم أفكاره المضطربة الغير المتقنة. وهي التي تتعسر رقابتها وسد تيارها".

## التأمل الصحيح:

وهو آخر السبل من السبيل المثمن. وأهمها فائدة، وأتمها عائدة، وأبلغها وسيلة إلى النجاة البوذية. والمراد به التركيز النفسى، والمراقبة الباطنية على أقدار بوذية عامة، وعلى الحقائق الأربع خاصة. وهو ثلث البوذية، وثلثاها العلم والتقوى وله مكانة كبرى وجلالة عظمى عند البوذيين وهذا هو العبادة البوذية فى خلواتهم والتأمل البوذى يقلع الشهوات ويقمع العواطف من الحب والشنأه والرصاص والسخط وينزع الشدة والعنف ويضبط الحواس ويجمع الأفكار ويذلل النفس ويقهر الأنانية ويخمد لهيب الحياة ويفنى الخير والشر ويأتى بالسكينة والهدنة وينشأ الجمود. يقول بوذا "الذى قد ذاق حلاوة العزلة والسكينة مستلذا بشراب الشريعة فقد أنقذ نفسه من الخوف، قد أنقذ نفسه من الخطاء".

## المنازل الأربعة:

قد يقسم السبيل المثمن الهادى إلى النجاة التامة إلى أربعة منازل متراقية ينزل السالك فى كل منزل منها بعد فك بعض قيوده من القيود العشرة من غرور النفس والشك والشهوة والحقد والرغبة والكبرياء وغيرها. المنزل الأول

سروطافنا (Sarota Panna) أى الذى قد نزل فى النهر. والمنزل الثانى  
سكرداغامن (Sakrdagamin) الذى يأتى فى الدنيا مرة واحدة فقط. والمنزل  
الثالث أرهاطا (Arhat) أى الحقيق. وهذا هو المنزل النهائى فى الحياة الدنيا.  
والرابع النروان (Nirvan) أى الخروج من شئية العالم ولا شئيته والقرار فى ما  
وراء العالم. وهذا المنزل هو المبتغى للإنسانية والنهائة للسعادة البشرية وأرقى  
المدارج للكمال.

## السعادة القصوى أو الخير المطلق:

السعادة القصوى التى تبتغىها البوذية إنما هى الفوز بالارهاطية فى هذه  
الحياة وإحراز النروان بعد الموت. وهو الخير المطلق المطموح إليه فى جميع  
الأعمال والخيرات كما سبق منا القول غير مرة. أما الأرهاطية فكأنها الجمود  
الكامل بازاء جميع المؤلمات والملذات والقرار التام على رغم الاضطرابات  
الشديدة والحركات العنيفة والسكن البالغ فى وجه الثورات الهائلة. قال بوذا "شأنى  
واحد لكل من يوجعنى أو يشفينى. لا أعرف الحب ولا المقت، لا أتأثر من  
الحزن والفرح. لا انفعل بالعزة والذلة وهذا كمال سكينتى" أما النروان فهو إنطفاء  
قبس الحياة وانقطاع سلسلة الموالد. وسنبحث عنه بعد ذكر حقيقة التكون وبيان  
معنى الحياة الشخصية أو الذات.

## الكون أو التكون:

الكون عند بوذا عبارة عن التقلبات والتطورات ليس فيه شىء ثابت  
مستقر وما الكائنات إلا تكونات وتصرمات يأتى حال ويذهب حال، يوجد طور  
وينقضى طور. فى كل أن يتكون جديد ويفنى قديم لا قرار لهذا ولا لذاك "كل  
شىء ذم أو ضبط وسنكاراة أو نظم وهما فانيان" ما الموجود إلا الوجود  
وما المؤلف إلا التاليف. والكون هو التكون الممتد المتصرم الوجود هو الوجود  
السيال الجارى المتقضى "ياكا كانا! من يرى روية صدق ويبصر بصيرة قلب أنه

كيف تمضى الأشياء فى هذا الكون فلا شىء فى هذا الكون فى عينه موجودا..... ما يبرز شىء إلا ويبرز الحزن وما يمضى شىء إلا ويمضى الحزن. يا كاكانا! الشىء موجود، نهاية واحدة. الشىء لا موجود، نهاية أخرى. يا كاكانا! الكامل (بوذا نفسه) وهو على ناحية بعيدة من تيك النهايتين يعلن الصدق فى الوسط. من الجهل يصدر النظم "الخ فالوجود وجهة واحدة والعدم وجهة أخرى. النظر من ناحية الوجود والبروز يخيل الوجود والبروز. أما من ناحية التقضى والتصرم فالأشياء إنما هى إعدام أشياء و غيابها فما هى إلا أحزان وأوجاع قد أحلوك بها سمائنا.

## الذات:

إذا حل شعور من ميت فى رحم أم وجذب المواد الواجبة لتكون الجسد يحدث شخص شاعر جسدى مؤلف من عناصر أرضية ساقلة وعنصر شعورى عال وتبدو الحياة الشاعرة مستانفة. هذه الحياة الشاعرة لا تنفيها البوذية بل تثبتها وتحققها وتبحث عن تقلباتها وتكشف عن تطوراتها وتعللها حتى تحللها إلى الحزن والألم. هل تحت هذه التقلبات وفي طي هذه التطورات أمر يتقلب و شىء يتطور قائما فى جميع تقلباته ثابتا فى كل تطوراته؟ البوذية تنكر هذا الأمر وتنفي هذا الشئ وأكثر النصوص تدل على أنه ليس ههنا شىء يجمع هذه التقلبات وينظم هذه التطورات. وليس فى حياتنا الشاعرة شىء قائم مستقر يعبر عنه بالذات أو النفس أو الروح سوى تطورات متعاقبة متوالية وتقلبات متتالية مستمرة "من البديهيات إن الجسد يبقى ستة مائة سنة ويزداد عليه ولكن الأمر الذى يقال له الذهن والادراك والشعور لا يزال يجرى ويمضى نهارا وليلا يفنى شىء وينبعث موضعه شىء آخر". فحياتنا الشاعرة عبارة عن أحوالنا الذهنية تتكون وتتلاشى ثم توجد موضعها غيرها وتعدم فتبدو وتنقضى فالثابت هو التغير والقائم هو التبدل وكان الروح هو سلسلة الحوادث الماضية والمستقبلية المرتبطة بعضها ببعض والحياة النفسية هى نظم الوقائع الذاهبة المنحصرة بعضها على بعض.

والنصوص لا تثبت في حياتنا الشاعرة شيئا يمتد بامتداد الحياة ويتقدم بتقدمها ويسيل سيلان الماء من واحد فيجرى في أنهار وجدول متمسكا بوحدته ومتشبثا بشخصيته حتى تصان وحدة الحياة وتحفظ شخصيتها وكأنها لهيب يمر على وقود ممتد فيمضى مسرعا مشتغلا به ففي كل حد من حدود مرره وإشعاله لهيب جديد يبدو وينقضى ويسطع وينطفئ وهكذا قد ضربت النصوص القديمة للحياة مثلا باللهيب غير مرة.

فالنفس أو الروح أو الحياة هي الوظائف النفسية من الإدراك والاحساس والتفكير والتأمل والعواطف الباطنية من السخط والرضا والحزن والفرح والألم والسرور والدواعى القلبية من الميل والشهوة والارادة والعزم وكل منها سيالة متغيرة متعاقبة يسوسها الشعور ويضبطها وهو نفسه ليس بشيء قائم ثابت بل يتجدد وينقضى. فالحياة الشخصية حياة من دون حى وشخصية من دون شخص ونفسية من دون نفس وروحية من دون روح وفكر ولا مفكر وشعور ولا شاعر. قد جاء مارا أو الشيطان إلى راهبة يغويها عن الصراط المستقيم ويضلها عن سواء السبيل فقال "أنت قد انتظمت بك شخصك، أنت هي الخالقة لشخصك. الشخص الذى له أصل أنت . أنت هي الشخص الذى يمضى" فأجابت ممثلة عن عقيدتها البوذية تطرده عنها "يا مارا ما تريد؟ من هو الشخص؟ تعليمك ضلال. إن هذا إلا مجتمع السنكارات والنظمت المتبدلة المتغيرة. فلا شخص. مثله كمثل العربة. فما هي إلا أجزاء فلما اجتمعت يقال لها العربة".

## النروان أو النجاة:

النروان ومعناه الانطفاء والخمود يراد به التخلص عن تتابع الحياة والموت وتتاليهما والنجاة عن آلام الحياة وأوجاعها نجاة دائمة وهو الغاية التى تتحوها الحياة ونهاية تنتهى إليها. فالسعيد من أسرع إليها والشقى من أبطأ باعدام وقودها من الشهوات حتى تنتهى فتنطفى شعلة الحياة بعد طى مسافة شاسعة من أمد بعيد "ما لم أجد صانع هذا البيت (أى الجسد) وقد طويت فى طلبه مسافة



الموالد الكثيرة. والموالد أليمة. يا صانع البيت! الآن قد ابصرت فاذا لا تصنع هذا البيت فانكسرت الأخشاب المظلة وحطت الجذوع المقلّة. وفاز الشعور باعدام الشهوات مقتربا نروانه. "وقد ادعت البوذية أن هذه النهاية للحياة سرور وفرح". العقلاء المتأملون الثابتون المحرسون بالقوى الشديدة يحرزون النروان؛ السرور الأعلى "وبعض النصوص تدل على أن هذا السرور هو انقطاع الشهوات الطبيعية وإنفكاك الأغلال وتحطم القيود. وكان هذا الحال هو أصل الفطرة وكل حال سواه فمختلق ومصطنع عليها يجب خلعه ونزعه" أيها البرهمي! وقف النهر بقوة، اطرده الشهوات. إذا فهمت قمع كل ما صنع تفهم ما هو لم يصنع "فالنروان نهاية الحياة والرجوع إلى الفطرة الغير مصنوعة والوضع السرمدى والحرية الكاملة وانقطاع الشهوات وانتهاء سلسلة الموالد وتلاشى بذر الحياة والسرور المحض ليس فوقه سرور والفرح الخالص ليس وراءه فرح.. لكن ما حقيقة هذا السرور والفرح؟ وما هو الرجوع إلى الفطرة الغير المصنوعة؟ وما هو الوضع السرمدى الذى تنتهى إليه جميع أوضاع الحياة عاجلا أو آجلا؟

الذات أو النفس والشخص كل واحد منها تمثل عن تكوينات وأطوار متعاقبة متجددة تبدأ سلسلتها من الجهل وتمتد إلى الموت. فان كان الميت قد انقطع تعلقه عن أسباب الحياة فنجأ وإلا ينقلب شعوره بذرا للحياة المستقبلية وهكذا ثم هكذا. وما النجاة إلا استيصال شجر الحياة حتى ينقطع النشو والنمو والوجود هو التكون والتقضى والتجدد والتلاشى ولما انسد باب التجدد والتكون فقد إنعدم الشئ وانتهت الآلام والأوجاع وهل النجاة إلا النجاة من الأحزان سواء حصلت بإخماد شعلة الحياة وانقطاع الوجود أو بالجمود لها وعدم التأثير بها بل عدم إحساسها فى هذه الحياة وما هذه إلا صنو الموت، لا فعل ولا انفعال لا داعية ولا عاطفة فقد خلعت الحياة نضارتها وخبث أوارها "المريد الذى قد نزع نفسه عن الشهوة والهوى وهو فطن فقد نال فى الدنيا التخلص عن الموت وحاز الماوى؛ النروان، الوضع السرمدى يقول بوذا عن نفسه "مريدى!..... مادام جسد الكامل موجودا يراه الآلهة والناس وإذا انتشر جسده وطار روحه فلا يراه الآلهة ولا

الناس أبدا" ويقول عن نروان مريده جوديكاً وقد قضى نحبه "دخل جوديكاً النروان وشعوره فما له من باقية" فلما لم تبق من الشعور باقية وانقطع التكون وليس في الحياة شيء مستقر، ثابت حتى النفس والذات وقد خرج الناجي عن ساحة الناس والآلهة فأى شيء قد بقي للاحتفاظ بالسرور.

وقد أبهم بوذا حقيقة النجاة والسرور وأعضلها وأعرض عن كل بحث له تأثير في توضيح المسئلة وقد عرض عليه "هل الذات موجودة؟" فسكت ثم سئل هل الذات ليست بموجودة؟ فبقي ساكناً. جاءه ملوكيابتا مريده وقد قدم عليه عدداً من الاسئلة وكان لكل منها تأثيراً في كشف حقيقة النجاة فما كشفها فسئل "هل هذا الكون دائم أم غير دائم هل يبقى بوذا الكامل بعد موته؟ هل لا يبقى بوذا بعد موته؟" فأجاب بوذا "ما ذا قلت لك قبل؟ هل قلت لك جننى يا ملوكيابتا! كن مريدى أعلمك عن الكون هل هو دائم أم غير دائم وهل هو متناه أم غير متناه والحقيقة الحيوية عين الجسد أم غيره وهل يدوم الكامل بعد موته أم لا يدوم أو يدوم ولا يدوم بعد موته أو يرتفع عنه الدوام واللدوام؟" فقال ملوكيابتا "ما قلته لى أيها السيد!..." و جرى السؤال والجواب حتى قال بوذا "ملوكيابتا! فما لم يكشف منى فليكن غير مكشوف وما كشف منى فليكن مكشوفاً" وأخر شيء قد ذكرته النصوص عن قوله عن النجاة هذه:

"أيها المريدون! هي طور لا أرض فيه ولا ماء، لا نور فيه ولا هواء، لا فيه مكان غير متناه، ولا عقل غير متناه، ليس فيه خلاء مطلق و لا ارتفاع الإدراك واللا إدراك معاً، ليس هو هذا العالم ولا ذاك العالم، لا فيه شمس ولا قمر. أيها المريدون! هو طور لا أقول عنه باتيان ولا بذهاب ولا بوقوف، لا بموت ولا بمولد. هو من غير أساس. من غير مرور، من غير انقطاع ذلك نهاية للحزن".

"أيها المريدون! هو غير مولود، غير مخرج، غير مخلوق، غير مصور. أيها المريدون! لو لم يكن هذا الغير المولود، الغير المخرج، الغير

المخلوق، الغير المصور، لما أمكن الخروج عن عالم المولود المخرج المخلوق المصور".

لعل بوذا قد وضع أن جوهر العالم وكنه الحياة الشخصية أمر مبهم، ليس بوجود كهذا الوجود ولا معدوم كهذا العدم، راكد في نفسه مستقر في عينه وهو السرور في ذاته مستجمع لنفسه بنفسه والتصورات الباطلة (وسيجيء البحث عن هذه التصورات في مقالاتنا التابعة) تبعثه عن سكنه وتتهض عن قراره فتتبعين وتتشخص. وتعيناته هي التصورات الباطلة المتعاقدة المتداولة. فما لم تقمع هذه التصورات لم تعد الشخصية إلى سكنه ولم ترجع إلى مقره. وهذا هو الأساس للفكر الابنيشدى المعاصر وقد فرع عليه بوذا أن الدعوة إلى هذا الأساس المبهم غير مثمر في انقاذ الناس عن بوساتهم وكادت أن تكون عسيرة المدارك فاعزله عن تعليمه ودعاهم إلى ما يخلصهم عما هم فيه من الوجد والعويل وبشرهم بما يطهرهم عما يدنسهم من الأوصاف الرذيلة والأعمال السيئة وجمعهم على الألم وإصله وإعدامه وسبيل إعدامه وحضهم على قمع الأهواء والشهوات ليتطهروا ويتخلصوا.

## التلخيص:

البوذية فكرة أخلاقية غير متعرضة بالدقائق الفلسفية حرة في إستنتاجها وأبحاثها عن مستندات ويديه. أساسها القنوط بخيرات الحياة والتشاؤم بحسنات الكون والاجلال بسواتها والاحتقار بنعماتها وهي معاصرة للفكر الابنيشدى القديم فترى فيها آثار الأفكار الابنيشدية.

وبدأت الفكرة بروية موجعات الحياة من المرض والهزم والموت فعمتها واستخرجت أن الكون كله ألم وصورته في أقبح صورة وبحثت عن أصوله وفروعه واكتشفت عن علله وإتصالاتها طردا وعكسا وأثبتت أن الحياة والمولد هما الأصلان للألم بل هما أصل الألم وابتدعت سبيلا إلى استيصاله ودعت الناس إلى الافتكار والتأمل فيه وبشرتهم بسبيل النجاة منه ونيل السرور الأبدى أو

النروان وعلتهم أن الطريق إلى النجاة هو قمع الشهوات والأهواء والعزوف عن الملذات والمواظبة على الأعمال الصالحة وإخماد العواطف وإعدام الاميال وتعصيد الناس في أحمالهم والتأسي بهم في الآمهم والجمود عن كل خير وشر وعدم الانفعال من ألم وسرور حتى تنطفى شعلة الحياة وليس للرجل شهوة تسحبه إلى الحياة مرة أخرى.

وللبوذية مزية كبيرة في تنقيتها عن أحوال نفسية وتحليلها وتعليلها واكتشافها التجدد والتقضى في شئونها. ولها فضل بالغ في تقديم الفكر الحر في سبيل تطهير الأخلاق وإنقاذ الفلسفة الأخلاقية من التصورات المجردة من ما بعد الطبيعيات الدينية أو العقلية وتأثير عظيم في فتح أبواب جديدة للفكر الفلسفي الراقى في العصور المتأخرة وقد فعلت في نشوء الفكر الهندي العام ورقية فتأثرت بها جميع المدارس الفكرية.

# الجينية

حية، هي ثلثة ثورات الفكرية الكبيرة في وجه البرهمية الرسمية. وهي حركة عقلية حرة من سطن الوريدات كصنوبها من الكارواكية والبوذية، ومعصرة تفكر لأينشدي، ومطبوعة بطابع الازهن الهندوسي العام. قد أسس بئنها على اخوف من تكرار الموالد والهرب عن الحية إتقاء من شأناتها، ونشتت عن الترهذ في حسنتها فرعا من سيئاتها. عمادها الرياضات المتعبه والمراقبات الشقة، ومحولها الجمود للملذات والمؤلمات، وسبيلها التقشف والتشد في العيش، وطريقها الرهبانية.

ما زال العربيون من الباحثين زاعمين أن الجينية من مذاهب البوذية. واشته الأمر عليهم لمعاصرة مؤسسها بيوذا، وتشابه حياتهما، وتجاوز موطنهما، وتقارب جنسيتهما وتوافق أفكارهما في نقاط عديدة أساسية، حتى انتهى الأمر إلى التعقوبي وغيره منهم، فتفحصوا الموارد وتقبوا عن المصادر فاستكشفا شهادات داخلية و خارجه دالة على استقلال إحداهما عن الأخرى وانفراد كلتيهما بجوهرهما. فأثبتوا إثنية مؤسسهما، وميزات شريعتهما الجوهرية، وطفق الرأي يتعاقد رويدا، حتى قبله الباحثون وأجمع عليه العالمون، ونالت الجينية محلها الذي قد زال عنها وأخذت مكانتها التي قد سلبت عنها.

الحياة الدنيا تعس، والعيش فيها ويل. والتغير، والزوال، والتطور، والانقطاع والمشاهدة أنا فأنا وحيننا فحيننا، هي الأساس للحسرات والأصل للأسفات. والقدر قد أجمع عليه متفكرو الهند وجعلوه مبدءا لأفكارهم المبتكرة وأصلا لمذاهبهم البديعة، إلا شرذمة قليلة من الصاروا كيين قد خالفوا كيان

تربتهم فأكلتهم. فهل تحت هذه المشاهد من التغير والزوال أمر مستقل باق أساساً لهما يندمجان فيه ويبقى ويمحوان فيه ويثبت؟ قد كشف عن هذا الأساس الأبنيشديون فأعرضوا عن المتغيرات والزائلات، وأووا إلى الثابت وقالوا: إن العلم هو الايقان بوحدة الكثرة المشهودة، والنجاة هو الاندماج في الوحدة البحتة. والبوذيون ما تعدوا حدود المشاهد من التغير والانقطاع، فألقوا رحلهم فيها، وجعلوا الحياة عين التغير والتفضي، فسدوا عليهم أبواب النجاة، إلا باب الفناء الكلي فاختاروه وارتضوا به. أما الجينية فجمعت بين الرأيين وأحاطت بالفكرتين وأثبتت المشهود والمستور ووفقت العيان بالقياس، فأنت كل واحد منهما حقه من الواقعية. التغير والدوام على مستوى واحد من الحقيقة، ولكل متغير حظ من البقاء فكما أن الفناء الصرف اغترار كذلك الديمومة المحضة التباس، والنجاة هي الاغماض عن التغير، والرجوع إلى الثبات، والوقوف عن الأعمال، والجمود للحزن والسرور.

## الطريق الجيني:

الطريق الجيني طريق رهباني من الطرق الرهبانية المعروفة الرائجة في المتبتلة من غير جنسية البراهمة. والطريق منسوب إلى جينا (Jina) أو فاتح، كأنه طريق قد بشر به الذين قد فتحوا عواطفهم الدنية وأميالهم السافلة، وانتهوا إلى أقصى درجات الكمال. فنجوا من تعاقب الموالد وتتابع الممات والحياة، وفازوا بالتخلص وأخذوا حظهم من العلم والسرور السرمديين.

ويدعى الجينيون أن طرقهم هو الطريق المتوارث عن الكاملين من أمد لا يحده حاد ولا يعده عاد. ما من دورة للكون إلا خلت فيها دعاة هذا الطريق ومبشروه. والدورات غير متناهية عدداً ومدة في ماضيها ومستقبلها. أما الدورة الحديثة من الكون فتبتدأ سلسلة التبشير فيها من رشبا ديوا (Rashba Deva) وتنتهي بمهاويرا ورمنا (Mohavira Vardhamana) وبينهما اثنان وعشرون مبشراً قد شغلوا فترة ألوف ألوف سنة. يقول اليعقوبي "بارشوانات



(Parsvanath) آخر حد ينتهى إليه رجال هذا الطريق، أما من فوقه من الاثنين والعشرين فقد ضاعوا فى الروايات والأساطير لا تثبت حقيقة ولا تجلوا عن ريب". ويتصل التاريخ الفعلى لهذا الطريق إلى بارشواناث، وكاد أن يكون هو الذى قد أسس الطريق، وابتدع أصوله، ورسم خطته، وبشر به أتباعه، ولقن مريديه، مبادئه ومناحيه ورباهم ورشحهم.

## بارشواناث:

ولد بارشواناث (Parsvanath) ببنارس (Banaras) فى القرن التاسع قبل الميلاد وتوفى فى القرن الثامن. وقد أنشأ نظاماً رهبانياً شدد فيه بأمر الرياضات الشاقة المتعبة. وأسس الطريق على أربعة عهود هامة من أهنسا (Ahinsa) أى عدم العنف، وسنرتا (Sunrta) أى الصدق فى القول، وأستيا (Astya) أى عدم السرقة، وأبار جرها (Aparigrha) أى العزوف عن جميع متع الدنيا.

ولعل بارشواناث هو الذى قد قسم النظام على قسمين: العامة والخاصة. الخاصة هم الرهبان والمنبتلون الذين قد عاهدوا بهذه العهود وتركوا الأهل والمسكن، وأخذوا يجوبون الأقطار ويطوفون فى القوى ولأمصار، وانتزعوا عن الملذات والترف ورهنوا أنفسهم بالرياضات والمراقبات والتبشير. وهذا القسم هو عمود النظام. والعامة هم الذين يعاضدون الطريق بأموالهم وآثارهم ويساعدون رهبان الطريق بكفالتهم وأرزاقهم. أما سعادتهم، فالاجتناب عن الفواحش والعمل بالمعروف مشتغلين فى معاشهم ومكاسبهم من غير عنف وإضرار، مكرمين دعائهم، مصدقين عليهم، واعين وصاياهم، مقتدين بهديهم ما تيسر لهم. فتمى النظام وترعرع وكثرت الأتباع فى القسمين من العامة والخاصة. وصار الطريق مقبولا مطبوعا لا سيما فى طبقة الكشترية.

ومضت أجيال، وخلت أحقاب، والنظام فى سبيل الرقى والبث، حتى برز فى اتباعه مبشر كبير قد أصلح النظام، وأكملاه، وعدله بالظروف. فشدد فى الرياضات وغالى فى الترك وأضاف فى العهود الرسمية.

فاستخرج من العهد الرابع أى العزوف عن متع الدنيا عهدا خامسا، وهو عهد العفة أو برهما صاريا (Brahmacharya). وأخذ يدعو الناس إلى ما بشر به بارشوانات. مع ما زاده فيه هو نفسه، وأخذ منهم خمسة موثيق رسمية بالطريق المعروف بين البارشويين، فعقد احتفالا لأخذ العهود. فمن عاهد بتلك الموثيق فقد دخل فى النظام الخاص، نظام المتبتلين. فاندمج النظام المتقدم البارشوى فى النظام الحديث وهدأت الدعوة البارشوية، وعلا صوت المبشر الجديد وطار صيته حتى صار كأنه هو الداعى للطريق والمؤسس للنظام. واشتهرت الطريقة باسمه وعرف النظام بلقبه، فلا تعرف الجينية إلا منسوبة إليه. وذلك المبشر الكبير هو مهاويرا وردهمانا (Vardhamana). وهو المبشر الرابع والعشرون خاتم سلسلة المبشرين لهذه الدورة للكون. أما البارشويون فضلوا فى مجاهيل الزمن ولم يبق منهم إلا آثار ورسوم لا تنفى الظن ولا تغنى من الحقيقة شيئا.

## مهاويرا وردهمانا:

مهاويرا وردهمانا مبشر الجينية وخاتم سلسلة دعائها، كشتريّة الأروبة، ولد بقرية ويشالى (Vaishali) أو بيسارها (Besarh) الحديثة فى أقطاعية مجدها (Magdha) أو بهار (Bihar) الحديثة فى نحو سنة ٥٩٩ ق م وكانت القرية موطننا لقبيلة نطا (Nata) من الأسرة الكشتريّة، وكان بيته بيت المجد والكرامة. كان أبوه سدهارتا (Siddhartha) من أمراء القبيلة وكانت أمه ترشلا (Tarshala) بنتاً لرئيس الشورى. فنشأ فى مهد السراوة والرخاء، وترعرع فى حجر النعيم وعشرة السلطان. وكانت القبيلة من الأتباع العامة لبارشوانات. وكانت الأرض المجاورة محطا لرهبان الطريقة، والقرية مجالا لهم ومزارا. فكانت بيوتهم الفصلية فى متنزه بحوالى "ويشالى" المسماة بكندا جراما، ينزلونها ويقيمون فيها. وكانت القبيلة تشجع على الطريق، وتكرم رهبانه، وتحتفى

بقدمهم. فدرج وردهمانا فى بيت له صلة قريبة بالرهبانية والرهبان وكانت لهم فيه مكانة سامية.

كان مهاويرا أوسط أنجال أبيه فلا يولى العهد، فما كان له إلا أن يرشح نفسه لنيل الرياسة الدينية ويطمح إليها. وكان منذ طفولته عزوفا عن الترف متزهدا فى الرغائب، وقد صمم العزم أن يعيش عيشة الرهبان المتبتلين، ولكن لم يتيسر له الانتمام بهديهم كل الانتمام فى حياة أبويه. وأشفق عليهم التألم من هذه الحياة الشاقة، وأخر المطلب لموتهما. ومضى كعامة أتباع الطريقة برهة من الزمان، فتزوج وولدت له بنت. فلما توفى أبواه وقد إمتنعا عن الاقتيات امتناع تطوع وصاما مذى الحياة، وللصوم تجلة فى الطريق لنيل النجاة، فحدثه بواعث الرهبانية إلى طلبته. وقد أوفى على الثلاثين من عمره وانتقلت الرياسة إلى أخيه الكبير نندى وردهمانا. فاستجازه للاتصال بالنظام الرهبانى، وأخذ موثيقة اللازمة للاشتراك به. فخاف أن يتهمه الناس بسوء السيرة فى أخيه وجفائه عليه. فألجأه على التبتل وما أقرب عهدهما بأبويهما. فما انجز بمسئولة وأشار عليه أن يؤخر مبتغاه لسنة كاملة من موت أبويهما، فقبل مهاويرا.

فلما حل الأجل ومضت السنة، عقد احتفال رسمى بالمنتزه تحت شجرة اشوكا فأخذ العهود، وترك الدنيا تركا رسميا، وانتزع عن جميع ما يملك يمينه ومنتف شعره، وخلع ثيابه، ونزع حليه ورماهما بمشهد من الناس

والآلهة، وقد شهدوا بمناسبة الاحتفال وتبركوا بهذا الاحتفال العظيم. ولما تم أمر العهود والترك، صام مهاوير ليومين ونصف يوم، فما أكل شيئا ولا شرب. وقد نال أثناء صومه المتوالى قسطه من العلم الرابع من العلوم الخمسة عندهم الموسوم ب "مناقريايا" أو قراءة أذهان الناس. وخلع عنه آخر ثوبه بعد ثلاثة عشرة شهرا من تركه، وجعل يجوب الأقطار عاريا حافيا، وقيل كان هذا لا ستغراقه وغيبوبته عن نفسه. وما تذى بذى بعده، وأخذ التجوال فى أقطار الهند، يطوف فى كل صوب، لا يقيم فى قرية إلا ليلة ولا فى بلد إلا خمس ليال. فاذا جاءت أيام المطر يأوى إلى القرى والأمصار، فيقيم فيها أربعة أشهر فصل

المطر بالهند. فأمضى اثنتي عشرة سنة كاملة يحل ويرتحل متأملا على نفس مستغرقا في أفكاره، غائبا عن نفسه.

كان حذرا في الفكر والقول والعمل، لا يرتكب فاحشة ولا يعمل سوءا حتى أوفت السنة الثالثة عشر. وكان بقرية جرمبكا جرها (Grimbhaka) (Garha) بجوار جبال بارسناث (Parsnath) في فناء معبد قديم، والشمس على نصف النهار. وكان غريقا في تأملاته، صائما ليومين ونصف يوم، إذ نال العلم الأعلى، العلم المحيط بالكل. وقد طهر نفسه بالرياضات الصعبة والتأملات النفسية المستغرقة عن أوساخ الأعمال كلها خيرا وشرها، وحاز النجاة عن تكرار الموالد. وفي الحين نفسه صار "جينا" أو فاتح الأعمال الثمانية، و"ارهاطا" (Arhat) أو الحقيق، و"أريهنطا" (Arihanta) أو مهلك الأعداء، و"أروهنتا" (Aruhanta) أو مستأصل الأعمال.

وبعد سنة فاز بالدرجة العليا، بدرجة تيرثنكرا (Tirthankara) أي هادي السبيل في بحر الحياة، وكان رابع وعشرين سلسلة التيرثنكرات. وأخذ يبشر بما لاح له من الطريق السوي الهادي إلى الفوز بالنجاة. فدعا أقاربه وأسرته الكشترية، وهم أهل البسالة والسيطرة والجفاء، فأجابوه. وكانت عامة دعوته لأهل الشرف والثروة، ويلبونه ويهتدون بتبشيريه حتى اجتمع حوله ألوف من الأتباع الخاصة والعامة وصار قطبا لرحى الطريقة.

واستمرت دعوته حتى أوعلى اثنين وسبعين من عمره وكان نازلا في بابا (Papa) أو بناپوري (Panapuri) الحديثة من ولاية بتنا (Patna) الحديثة، وكان آخرفصل المطر. فألقى على الناس خمسا وخمسين خطبة بنتائج الأعمال وأجاب عن ستة وثلاثين أسئلة غير مسؤولة. ولما تمت خطبته الكبيرة على مارو ديوا (Maru Deva) حان أجله فقضى نحبه في حوالي سنة ٥٢٧ ق.م.

وأول من اهتدى بهدايته جوتاما اندرا بهوتى (Gautama Indra Bhuti)، وكان يشرح للناس دعوة سيده مهاوير، في اللغة المجدية الدارجة. فمهاويرا كان يدعو إلى الطريقة بلسان لا يتيسر للناس التفاهم فيه. و"سدرما" في

المحل الثاني منه ورئيس النظام بعد مهاوير. وهو الذي قد بلغ بما وعى من خطبات مهاويرا ومكالماته ووصاياه، وجمع معارفه في اثني عشر أنجا (Anga) وإحدى عشر أبانجا (Upanga) وفي غيرها من المجاميع.

## الافتراق في الجينية:

قد انشقت عصا الجينية مرتين في زمن حياة مهاوير، ولكنها ما ركد ماؤها ولا خمدت نارها. فتدرجت رويدا حتى نثر أتباعها ونالت مكانتها، ولم يبق لخلاف أثر ولا للانشعاب رسم، ومضت سبيلها من الرقى. وكانت بلاد مجدا قاعدة للجينية وقصبة لرهبانها وأولياء أمرها، ففاست مجاعة شديدة وكانت تلك بعد وفاة مهاويرا بنحو قرنين. فانسدت أبواب الرزق على ذلك العدد الضخم من الرهبان الذين كانوا يعولون في أقواتهم على صدقات أهل القرى المجاورة. فالتجؤوا إلى الهجرة ليقبل عدد المقيمين ويخف عبئهم عن سكان القرى المجاورة. ذهب زهاء نصف من الفقراء إلى الجنوب بزعامة بدرا باهو (Bhadra Bahu) رئيس النظام، وأقام النصف الباقي تحت رقابة استولا بدرا (Sthula Bhadra) فلما ذهبت عنهم المجاعة واطمن بهم الموطن، أشفق استولا باهو أن تذهب مستندات الطريقة وقانونها ويسرى في النظام الفوضى. فعقد مجلسا في باتلي بترا (Patli Putra) ليجمع أمرهم على مستندات الجينية، فيصير لهم قانونا من الأدب الجيني المقدس، يرجعون إليه في مؤتلفاتهم ومختلفاتهم، وكان ذلك بنحو ثلاثة قرون قبل الميلاد. فقرر المجلس قانونا مقدسا من الأدب الجيني، ولكن الناس لم يجمعوا عليه واختلف الرأي. وفي العصر نفسه قد عرض السؤال الحاد عن التزى بزى يستر العورة والتعري مطلقا فتشعب الناس. منهم من رأى التعري من واجبات الطريقة ومدارا للنجاة، ومنهم من رأى خلاف ذلك وأوجب من اللباس قدر ما يستر به العورة. أما تعري مهاوير فأولوه بغيوبته عن نفسه في تأملاته، فما كان يدرى ما ظهر منه وما ستر. وكان الناس مختلفين في أمر اللباس إذ رجع الرهبان من الجنوب، وعضدوا رأى التعري، وأنكروا القانون،

ولاموا على أمور قد ظنوا أنها ليست مما دعا إليها السيد مهاويرا، بل ابتدعها الناس أثناء هجرتهم. واستفحل الاختلاف حتى افترتت الجينية إلى فرقتين عظيمتين: سوتامبرا (Svatampra) أي أصحاب الزى الأبيض، ودجامبرا (Digambara) أي أصحاب الزى السماوى أو العراة. وانفصلت إحداهما عن الأخرى إنفصالا رسميا. وتفرق كل منهما إلى فرق كثيرة بمرور الزمن ومدى الدهر.

ويرجع اختلاف هاتين الفرقتين إلى أمور غير هامة من التاريخ والأخلاق والعقائد. أما الفلسفة وتعليقات الطريقة ومبادئه ومناحيه فهما سبب. يقول الدجامبرية إن مهاويرا قد حملت به أمه ترشلا من بدء الأمر، لا أنه استل جنينه من رحم ديونندا البرهمية ثم ألقى في رحم ترشلا الكشترية كما يعتقد السوتامبريون. ويقولون إن مهاويرا ترك الدنيا منذ الطفولة، فما تزوج ولا ولدت له بنت. وأخذ يجوب البوادي ويطوف الحواضر من البدء، واعتزل عن الأهل والسكنى ورمى عنه كل شيء من متع الغرور. ويعتقدون أن العرفاء الكاملين لا يقتاتون بشيء، ويقولون إن من يملك شيئا من متع الدنيا - ولو كان ثوبا واحدا يستر به عورته - لا ينجو. والنساء لا حظ لهن من النجاة ما دمن في قوالب النساء. ويدعون أن الأدب المقدس الجينى قد ضاع بكل قضة وقضيضه، وما يتلوا السوتامبريون من الكتب والمجاميع فموضوع ومختلف.

## الأدب الجينى المقدس:

الأدب الجينى المقدس عبارة عما توارث من مهاويرا وردهمانا ومريديه العرفاء الكاملين من الخطبات والوصايا والمكالمات وغيرها مما وعى الناس منهم. واستمر ذلك التراث المقدس ينتقل من الشيوخ إلى المريدين مشافهة غير مقيد بالكتابة. وبعد حقبة من الدهر اشفق الناس على ضياعه واختلاطه بغيرها. فعقدوا فى القرن الرابع قبل الميلاد كما ذكرنا مجلسا بـ"باطلى بتر" لتقرير مسندات الطريقة وترتيب قانونه المعتمد عليه. فجمعوا أحد عشر انجا (Anga)



أجزاء، وأربعة عشر بروا (Purva) أو بابا. ويقال إنه هو الذي قد اشتمل عليه الجزء الثاني عشر من الأدب المقرر في ذلك المجلس، ولكن لم ينجح المجلس في جمع الناس على ما قرره. يقول الدجامبريون إن القانون ما قيد بالكتابة إلا في حوالي سنة ٥٧٠ م.، وكان قد ضاع من قبل بضياح الحافظين له العارفين به. فما استكتبوه إلا عن المعارف المتناقلة على السنة عامة الناس من مهاويرا ومريديه. ثم عقدوا مجلسا آخر بولابهي (Vallabhi) بجوار بهاونغر (Bhavnagar) في القرن الخامس الميلادي، وقرروا الأدب المقدس لآخر مرة. وجمعوا أربعة وثمانين كتابا جعلوها مستندات مذهبهم وقانون طريقتهم. فجمعوا أحد عشر أنجا. أما الجزء الثاني عشر المشتمل على أربعة عشر بروا فضاع ولم يكشف بعد. وهذا الأدب الموجود عندنا هي السوترات المتفرقات والشروح القديمة وغيرها. أما لسان أصول هذه الكتب فكانت اردهامجدي (Ardhamagdi) ثم اختاروا في أوائل القرون الميلادية اللسان السنسكريتي لأدبهم المقدس.

## العلم:

يرى الجينيون أن الظواهر، سواء كانت خارجية أو ذهنية، موجودة في نفسها نعلمها أم لم نعلم، وكفى بالمشاهدة كليا عليها. ويزعمون أن الشعور خاصة الروح أو النفس، بل كاد أن يكون هو الشعور، فانا لا نستشعر به إلا بتويره الظواهر واسفاره عنها. فاذا استشعرنا الظواهر استشعرنا الظواهر وأنفسنا من حيث أنا شاعرون ونجد من أنفسنا نورا تتور به الظواهر وتتجلى، وهي علمنا بها. أما علمنا بأنفسنا فالنور والمنير والمستتير كلها واحد، والفرق إنما هو بالاعتبار. فالظواهر معروضات علمنا لا فاعلاته. ويقف بحثهم على حدود العلم وتناقضاته وأنواعه وحيطته، من غير أن يمدى إلى التنقيب عن المعلومات أنفسها أو شرائط وجودها، ومن غير أن يتجاوز إلى التدقيق في العلم نفسه وكيفية حصوله وشرائط وجود.

ويقولون إن الشعور الخالص والنور المحض، أو الروح فى أصل  
فطرته لا يضيق نطاقه عن إدراك شىء، لا فى الأرض ولا فى السماء. ويحيط  
بكل صغير وكبير علما لا يسده زمان ولا مكان، يعلم بمخبرات الضمائر وخافيات  
السرائر. وعلمه علم مباشر من غير آلة وواسطة. ويدرك الأشياء كما هى من  
دون تناقض وتضاد. والتحديد والقصور والتناقض والاشتباه إنما تاتى من جهة  
تأثير الأعمال، فأوساخ الأعمال ترين على الروح وتمنع نوره عن الانتشار فى  
ظاهر الكون وباطنه، فتقتصر ويضيق نطاقه عن الاخاطة بجواهر الأشياء  
وذواتها، وترى الظواهر بالشرائط الملائمة فى إضافات ونسب وظروف حسب  
الأغراض والغايات. وتتشأ التناقضات والأغاليط وتشتبه الأمور والأشياء، فنرى  
الأشياء فى إضافات وظروف ليست هى فى زمان إدراكنا أو مكانه، أو حسب  
أغراض وغايات ليست بمنشودة لنا. فإذا تطهر الروح وتصل إلى ما كان  
من أصله وجوهره، ويصير محيطا بالكل شاعرا به.

والتطهر والتصل إنما يأتیان بالعلم الصحيح الواقعى بمظلمات الأعمال  
ومجلياتها، وفواحش الأمور وصوالحها، فنعمل بأعمال صالحة مجلية ونجتنب  
الفواحش المظلمة. فنستطرد إلى البحث عن العلم وأنواعه وكيفية قضاياه، ايجاباتها  
وسلوبها وتناقضاتها وتوافقاتها، ومصادرهما ومواردها مناحيها ومجاريها، ليتميز  
صحيح العلم عن فاسده ويفصل صادق من كاذبه. فنجعل الصحيح أماما نأتم به  
ودليلا نهتدى به، ونرفض الفاسد فلا نرتاب ولا نضل، فيشرق الكون بنورنا  
ونراه بأشرفنا ونرجع إلى ما كنا من بدء فطرتنا وأصل جوهرنا. هذا وجهة نظر  
الجنيين إلى العلم، فليست للعلم قيمة عندهم إلا لنتفه فى العمل بالخيرات  
والاجتناب عن السيئات، بل فى إنتهاء العمل والتطهر عن أوساخه.

## أنواع العلم وحدودها:

قد قسم الجينيون العلم بجهات عديدة تقسيمات ثنائية وثلاثية ورباعية  
وخماسية وغيرها، واستخرجوا أقساما أولية وثانوية وغيرها. وعرفوها بتعاريف

يدخل بعض الأقسام فى بعض، وتخالفوا فيها وتعاضدوا وتعاقبوا واستدركوا وأولوا ثم وجهوا. ونذكر أقساما هامة وتقسيمات ضرورية وتعريف مشهورة يحتاج إليها القارئ فى مهمات فلسفتهم.

العلم على خمسة أنحاء: متى جنانا (Mati Jnana) أو العلم بالحواس، وشروتاجنانا (Shruta Jnana) أو العلم بالمستندات المقدسة، واودهى جنانا (Avadhi Jnana) أو العلم بالوجدان البصرى، ومنا بريايا جنانا (Manah Paryaya Jnana) أو العلم بقراءة الأذهان، وكوالا جنانا (Kavala Jnana) أو العلم الوجدانى المحيط.

١- متى جنانا، هو الإدراك بالحواس والذهن كليهما، ويدخل فيه العلوم المخزونة فى الحافظة والتذكر بمعونة الارتسامات المخزونة، ويندرج فيه القياس والاستقراء المبتنيان على المشاهدة. وقد يقسم "متى" على الاحساس والحفظ والفهم. ويقولون إنه يستلزم هذا النحو من العلم حضور الأشياء المعلومة للحواس أولا حتى تدرك بها.

٢- شروتا جنانا، هو العلم المستخرج من المستندات المقدسة للطريقة، كل ما استنبط من علاماتها ورموزها وألفاظها وحروفها، كتابية أو صوتية. ويجب. لهذا العلم من البيان بالنقوش أو الأصوات. وتدعى الجينية كسائر الفرق الهندوسية أن كتبهم المقدسة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، وقد أحاطت بكل شىء علما. هو أربعة أنحاء: لبذى (Labdhi) أو الالف بالدوال، وباونا (Bhavana) أو التوجه والركوز عليها، وأوبايوجا (Upa Yoga) أو الفهم، ونيا أو الوجهة أى العلم بالجهات المختلفة للمداولات. ويقولون إن "شروتا جنانا" وكذا "متى جنانا" من أقسام العلم غير المباشر لتوسط آلات الحس أو المستندات بينهما وبين معلوماتهما. وقيل إن "متى" من المباشر.

٣- اوذى جنانا، هو إدراك ذى الصورة من الأشياء من دون حيلولة الباصرة. وهو إدراك مباشر للروح بنفسه. وهو ملكة اكتسابية مختصة بالبشر، وإنما تحصل بتصقيل الروح عن كدورات الأعمال تصقيلا غير تام. فلا يتجاوز

هذا الإدراك عن المبصرات. وأما حسب الزمان فلا يتعدى عن قطعة من جزء أصغر من طرفة العين.

٤- منا بريايا جنانا، هو علم مخبئات الضمائر والتصورات في السرائر. وهو كشف روحى من غير وسيلة أخرى أية كانت. وأكثر الجينية على أن هذا الكشف مقصور بأحوال الموضوعات المادية وتطوراتها. ولا ينال هذا الكشف إلا الذين قد تركوا الأهل والسكنى، وطهروا أنفسهم من أضرار الأعمال برياضاتهم الشاقة. فيدركون به تصورات ذهنية لسائر الناس من غير تخصيص، أو الارتسامات الذهنية من الأشياء المادية فقط وأحوالها الحاصلة فيه، كما ذهب إليه الأكثرون

يقولون إن المواد الذهنة عند الافتكار والتأمل والتصوير تقبل تغيرات وانفعالات خاصة، يختص كل منها بموضوع خاص معين. وصاحب هذا العلم إنما تتكشف له هذه التغيرات والانفعالات بالمباشرة. فيستخرج منها العلم بالموضوعات الخارجية وأعراضها الحالة فيها، فالعلم بها علم غير مباشر. وعند البعض علمها أيضا مباشر من غير استنباط واستخراج. ويقولون إنه إذا انكشفت المادة الذهنية، انكشف ما يحل فيها بانكشاف واحد بعينه.

٥- كوالا جنانا، هو علم وجدانى محيط بالكل من غير واسطة وآلة. وهو انكشاف الحقيقة كما هي بجميع إضافاتها وعلاقاتها فى الأزمان والأكوان كلها أزلا وأبدا. إذا تطهر الروح عن أوساخ الأعمال وتبددت السحب المتركمة عنها أشرق الروح، فتشعر عن كل شىء ويتجلى الكون والمكان والزمان. فينكشف كل شىء ظهره وبطنه، لا يغيب عن علمه شىء، لا فى الأرض ولا فى السماء. وتأفل نجوم سائر العلوم إذا بزغ شمس هذا العلم.

وقد ذهبوا إلى أن الكون، وإن هو مجتمع حقائق غير متناهية ذو علاقات وإضافات، كل حقيقة منها لها علاقة ورابطة بسائر الحقائق الكونية. فلا تستوعب منها حقيقة واحدة علماً إلا أن يستوعب جميع الحقائق المتناهية. ولا يقدر عليه إلا

من حاز هذا العلم المحيط. قال قائلهم "من يعلم واحدا فقد يعلم الجميع ومن يعلم الجميع فقد يعلم الواحد".

وهذه العلوم الثلاثة الأخيرة لا تحتمل الخطاء والشبهة والكذب، أما الأولان فيحتملان الكل. أما الصحيح فيعرض الأشياء في إضافات وعلاقات من الأمكنة والأزمنة والغايات وغيرها هي فيها، وهذا نافع فعلا. وغير الصحيح فيعرضها في غير ما هي فيها مما ذكرنا. إذا اشتبه حبل بحية مثلا فمنشا الغلط إنما هو روية الحية مضافة إلى مكان أو زمان أو غيرهما من الأشياء المجاورة وهي ليست بمضافة إليها. ومثل هذا العلم داع إلى التناقض والتضاد. وينشأ عن قلة المبالاة وعدم الصلة بالموضوعات المعروضة للعلم.

وينبعت الشعور بنحوين: درشنا (Darshana) أي التصور، وجنانا (Jnana) أي التعقل. التصور هو الإدراك الساذج المبهم من غير تفصيل وتفريق، والتعقل هو الإدراك المفصل المستوعب أجناس الأشياء وفصولها. وقد يقال درشنا للوجدان النفسي وعرفانه إياه، وجنانا للعلم بالموضوعات الخارجية، ويتلازمان

قد تدرك الأشياء على ما هي عليها في أنفسها، ويسمى بيرمانا (Pramana). وقد تدرك حسب إضافاتها وعلاقاتها وغاياتها التي طمعت ويسمى بنايا (Naya) أو الوجهة. والأحكام الخارجية للموضوعات إنما تتجه عليها حسب جهاتها، الخاصة والعامة من هذا القبيل.

يدعى الجينيون أن الأحكام كلها إضافية. فكل حكم يصدق من جهة يجوز أن يكذب من جهة أخرى. فكواذب القضايا فيها جهة الصدق. والصوادق فيها جهة الكذب، فلا يصح الحكم بصدق قضية مطلقا ولا بكذبها مطلقا. وقسم الجينيون الجهات بتقسيمات عديدة بحسب اللفظ والمعنى، بحسب المادة والصورة، وقد كادوا أن يستقصوها. فما تركوا حكما إلا اتقوا فيه عن جهات الصدق والكذب. وطبقوا بين اختلافات المدارس الفكرية ووقفوا بين آراء أساطينها وتعاقبوا على الكل في أحكامهم المطلقة وأخطأوهم. وتقابل هذه الجهات

الاضافية وجهة إطلاقية مستوعبة لكل ومحيطة بجميع وجهاتها، وهى وجهه كاملة للحقيقة. والوجهة نفسها على نحوين: الحقيقة فى محوضة ذاتها وصرافة فعليتها، والحقيقة بوجهة وجودها المشروط.

## القضايا الممكنة الصدق:

قد استعانوا بتكثير الجهات فى الموضوعات فى تأليفهم القضايا فى سبع صور، كل منها ممكنة الصدق. الايجاب فقط، السلب فقط، الايجاب والسلب معاً، كون الموضوع غير صالح للحكم عليه ايجابيا كان الحكم أو سلبيا، الايجاب مع كونه غير صالح للحكم عليه، السلب مع كونه غير صالح للحكم عليه، والايجاب والسلب معاً مع كونه غير صالح للحكم عليه. وليست القضايا متناقضة لاختلاف جهات الموضوع، فتراد فى كل قضية وجهة خاصة للموضوع ثلاث المحمول، وهما متحدان مادة متغايران صورة. ويقال لهذا التأليف المسبب سيادوا (Syadavada) أى الامكانية. فانه يفيد أن جميع أحكامنا ممكنة الصدق وليس شىء منها ضروريا بحيث ينقطع احتمال صدق الغير فيضاف فى كل من هذه التأليفات لفظة سياد (Syada) أو الامكان. فانه لا شىء فى الكون إلا يتغير ويتحرك وهما من طبيعة الكون وفطرة الكائنات. فكل موضوع فى الكون لا يثبت له شىء ولا يسلب عنه شىء إلا مشروطا ومقيدا ومضافة إلى الظروف. والحقيقة بحسبها ذات فنون وأطوار. طورا يثبت لها محمول وطورا يسلب عنها، ويجتمعان تارة ويرتفعان أخرى، مرة مع الايجاب ومرة مع السلب، ومرة معهما جميعاً ومرة بدونهما. ونذكر الصور السبع للقضية وجهات صدق مدلولاتها بالايجاز.

١- كائن بالامكان. الشىء من جهة نفس مادته وصورته وزمانه ومكانه كائن، مثل: ماكينة الكتابة المصطنعة من الحديد المصورة بصورة خاصة من الشكل والقدر كائن الآن على طاولتى.



٢- ليس بكائن بالامكان. الشيء من جهة مادة غيره أو صورة غيره أو زمان غيره أو مكان غيره ليس بكائن، فهو ليس شيئا غير نفسه. مثلا: ماكينة الكتابة المصطنعة من الفضة أو المصورة بصورة غير صورتها أو في السنة الماضية أو على مضطجعي ليست بكائنة.

٣- كائن وليس بكائن بالامكان. الشيء من جهاته الأربع كائن ومن غير هذه الجهات ليس بكائن، مثلا: الماكينة كائنة بجهاتها الخاصة وليست بكائنة بغير تلك الجهات.

٤- ٤ غير صالح للحكم عليه. قد أوجب للشيء كون وأسلب عنه كون، ولا يمكن الايجاب والسلب لشيء واحد في آن واحد بالتفات واحد من شخص واحد، فهو غير صالح للحكم عليه أي حكم الايجاب والسلب جميعا بالتفات واحد من شخص واحد، مثلا: الماكينة وإن هي كائنة من جهات وليست بكائنة من جهات في الآن نفسه. ولكن لا يمكن منا الحكمان دفعة واحدة في الآن نفسه. فهذه الجهة للموضوع أي جهة كونه ملتفتا بالتفات واحد لا تصلح للحكم عليه حكيمين: الايجاب والسلب دفعة واحدة.

٥- كائن غير صالح للحكم عليه بالامكان. الشيء من جهات كونه الأربع كائن فيحكم عليه بالكون وهو كائن وليس بكائن، ولا يصلح الموضوع أن يحكم عليه بهذين الحكمين دفعة واحدة.

٦- ليس بكائن وغير صالح للحكم عليه بالامكان. الشيء من جهات غير جهات كونه ليس بكائن فيسلب عنه الكون وهو كائن وليس بكائن، ولا يصلح الموضوع أن يحكم عليه بالحكمين بالتفات واحد.

٧- كائن وليس بكائن وغير صالح للحكم عليه بالامكان. الشيء كائن من جهات وليس بكائن من جهات، ومع ثبوت الوصفين لا يحكم عليه بهما في الآن نفسه.

وكانهم أرادوا بهذه التأليفات القليلة الجدوى، تعديد جهات الموضوع،  
وتقدير محتوياتها، وتمرين الفكر بتمييز مناحي الكلام ومجاريه، والبحث عن  
نواحيه الممكنة قبل الرد والقبول.

## اليواقيت الثلاثة:

ماحياتنا الدنيا إلاتعس مستمر وشقاء منهمر. نعيمها زائل والعيش فيها  
باطل. التغير والفساد والتصرم والفوات، نمر فيها ونذوق ثم نطعمها فنقاسى  
وبالها، نطمح إلى الخير فنكسب شرا، نبتغى السعادة فتصيبنا شقاوة، حتى نموت  
ولم تنته حسراتنا، فنحى حياة قد كسبتها أيدينا، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.  
وخيرها تهلكة فكيف بشرها! وتدوم عجلة الموت، والحياة تتدحرج، وعربة الولادة  
والممات تتحرك. فيا لنا من خاسرين وكيف بنا مغضوبين ضالين!

وما دأبنا إلا اعتلاقنا بالحياة وترفها، وانغماسنا فى رخائها. فنميل إلى  
زخارفها ونعطف إلى شهواتها، فنلتزق بعجلتها تدور بنا و نركب فى عربتها  
تسير بنا. ولا دواء إلا أن ننتزع عنها وننزل بالتزهد فى الحياة وترفها  
والعزوف عن سرائها وضرائها، فنميل عن زخارفها ونعطف عن شهواتها.

## الغواية:

ما ذا الذى لا يزال يمسكنا بعروة الحياة فنحور بها كما تدور فنشقى، وما  
ذا الذى يزين لنا زخارفها الباطلة فتتهى عن الحق فنصلى. يقول الجينيون إن  
السبب الذى لاغترارنا بالحياة ومقاساتنا جهدها هو الغواية أو ميثاطوا  
(Mithyatua) فتبعث عقائد فاسدة، وتنشأ جهلا أو علوما باطلة، وتسبب أخلاقا  
سيئة، فتهدى إلى طريق يوصل إلى مسخطة ومتعبة. ولا يزال يظلم الروح فى  
ظلمات بعضها فوق بعض، فيصم ويعمى ويجارى بالحياة ويعدل نفسه بها،  
فيدور بعجلتها موتا ومولدا. ويقولون إنها أزلية من غير بداية قد غشى أنفسنا  
ولا زلم أرواحنا من أمد لا يتناهى وقرون لا تحصى. فتكدرت الأرواح وأظلمت

فألقينا في غياهب الحياة وشهواتها، لا نرى منها منسلا ولا نجد منها مخرجا. ولا نزال مقيدين بالحياة مكبلين بشهواتها حتى يأتي الأجل المتاح بانبعث من أعماق الروح صدفه أو لداعية خارجية من هداية العرفاء المبشرين. والأجل تطول وتقصر، فإذا جاء الأجل تنفث السحب المتركمة من الغواية، فتلمع فطرته من نور ساطع وسرور بالغ وقرار مكين، فيطمح إليها ويبتدا تطهره، ويبدأ السبيل المثبت، ويتلأأ اليواقيت الثلاثة أو ترى رتنا (Tri Ratna) كما يقوله الجينيون.

## الياقوتة الأولى:

الياقوتة الأولى من اليواقيت الثلاثة الجينية هي الاعتقاد الصحيح، وهو أساس النجاة وأصل التطهر. ويريدون به الاعتقاد بالجينية المنهج المعبد والصراط السوى قد هدى إليه العارفون المحيطون بكل شيء علما. وينبعث الاعتقاد الصحيح أو سميح درشنا (Samyog darshana) إذا انفكت الكدورات الرائنة عليه أو المواد اللازقة به التي تمنع الروح عن الاستشعار به. فلما استشعر به وعطف إليه يطلع عليه العلم الصحيح، فيكمل الاعتقاد ويصممه ويمكنه فلا يشتبه ولا يلتبس ولا يزول.

٤

## الياقوتة الثانية:

والثانية من اليواقيت الثلاثة الجينية العلم الصحيح أو سميح جنانا (Samyag Jnana). وهو في المحل المتأخر من الاعتقاد الصحيح. وهو العلم بالحقائق الأساسية للكون من حقيقة الروح وغير الروح، كما هي بتفصيلاتها، وعناصرها الصغيرة والكبيرة طبق تعليم معلمى الطريقة ورهبانها الهداة المهيدين. ويتدرج في الرقى والكمال بتدرج انفصال المواد المحيطة بالروح المانعة عن إشراقها وبصيرتها، حتى تتور الكون وينكشف بكل قضة وقضيضه وترتفع الحجب المظلمة، ولا تبقى من الاشتباه والالتباس والظن والريب من

باقية. ولا يرتقى إلى مثل هذا المستوى إلا برقى الروح إلى أرفع درجات الكمال من الخلق الصحيح، فيستكمل التي حتى يحيط بالكون أزلا وأبدا.

## الياقوتة الثالثة:

الخلق الصحيح أو سميح جارترا (Samyog Chritra) ثلاثة اليواقيت الثلاثة الجينية. وهو في المحل الثاني من العلم غير الكامل وسابق على الكامل منه، وكادا أن يكونا متلازمين، كل منهما يستكمل بالآخر. فاذا تكاملا فقد نجى الروح وتخلص عن تقمص الأجساد جسدا بعد جسد، واستمراره في تقلبات الحياة والممات من غير فوات. والخلق الصحيح هو التخلق بالأخلاق الجينية من التحلى بالحسنات والتخلى عن السيئات، فيتصقل الروح من شوائب المادية ويتخلص عن ظلمات الأعمال. فينال ما فاتته من نور البصيرة ويسترد فقه من السرور والقرار، فيواضب على ما يقلع آثار الأعمال القديمة ويسد سبيل الحديثة. فيأخذ الموائيق الخمسة أو بنصا مهاورتا (Pancha Mahavrta) ، وقد سبق منا ذكرها. وللموائيق تأثير بالغ في القلع والسد كليهما. وقد فسروها بتفسيرات لا تترك شيئا يلائم للزمادة ويناسب التشدد في عدم الاضرار بالحياة قطب رحا أخلاقهم.

وقد عد بعضهم سبع خلال لطهارة الروح: أولها أخذ الموائيق. الثانية المحافظة على التقوى في القول والمشى وأخذ الصدقات وقضاء الحوائج، فلا يصيب حيا من عمله سواء. والثالثة تقليل الفكر والقول والحركات البدنية. والرابعة التمسك بعشر خصال من العفو، والتواضع والاستقامة، والصدق، والنظافة، والضبط، والتقشف ظاهرا وباطنا، والايثار، والتزهد، والاعتزال عن النساء. والخامسة التأمل في الحقائق الأساسية عن النفس والكون. والسادسة الفتح على جميع المتاعب والهموم الناشئة من الجوع والعطش والحر والبرد وغيرها بالتحصن عنها. والسابعة الفوز بالطمأنينة والتهارة والقناعة الكاملة والخلق الكامل.

هذه هي أمهات الأخلاق الجينية، وكاد أن يكون متجهاً هو إعدام العاطفة، وكأنها هي الوثاق الذي شد الروح بالحياة الدنيا وسلب عنه سكنه، وأخرجه عما كان فيه وألقاه في الظلمات يعمه. وإذا عدت العاطفة فقدت الأعمال تأثيراتها وضعف وثاقها، ويتفكك ويصير حراً مطلقاً، فيرجع إلى ما كان فيه من السرور البالغ والعلم المحيط والقوة الشديدة، كل منها دائم من غير قصور وبدون نهاية ثم لا يعود أبداً. وهذه هي النجاة الجينية.

## الكون:

الكون محتو على حقائق لا تعل ولا تحصي، واقعة في أحيائها وأمكنتها، مقترنة بأزمنتها وأرقاتها، ومتغيرة تخلع صوراً وأشكالاً وتتزي بأخرى معروضة لعلمنا، موجودة باضافاتها وعلاقاتها، متميزة عن جميع ماعداها تميزاً حقيقياً، متصفة بأوصاف غير متناهية بعضها مثبتة وهي التي بها هي، وبعضها الآخر منفية وهي التي ليست هي. فيسع نطاق الواحدة منها أشياء غير متناهية عدد أوصافها المنفية. فالعلم بحقيقة واحدة منها علماً كاملاً مستوعباً يستلزم علم جميع الحقائق غير المتناهية الحاملة جميع أوصافها المنفية مثبتة. أما المثبتة فلازمة لا تخلفها ومفارقة تجيء وتذهب. والأوصاف حالة في جوهر مستقل قائم باق. وحصروا هذا الجوهر الحامل في نوعين متميزين مستقلين في وجودهما من غير احتياج أحدهما إلى الآخر بحسب ذاتيهما. وكل منهما مؤلف من جواهر فردة غير متناهية العدد. أحدهما جوهر حي أو روح، والثاني جوهر غير حي أو جسد. ويزعمون أنه ما في الكون شيء محسوس جمادا كان أو نباتاً أو حيواناً، طبيعياً كان أو صناعياً، أرضياً أو سماوياً، كلا أو جزءاً إلا مؤلف من جزء حي وجزء غير حي، مرتبطين برابطة أزلية، مجهولة الكنه، ناشئة، مباشرة أو غير مباشرة من الغواية السارية في الروح أو الجزء الحي من بدء الأزل لا يدري كيف سرت ولما غشيت ومتى أحاطت.

ويقولون إن الغواية السازية في الروح تبعث فيه شهوة الحياة في جسد خاص والعطف إليه، فيجذب الجواهر المادية أو الأجزاء غير الحية الملائمة بذلك الجسد، فيحفه ويغشاه، فيظلم الروح وينكدر وتكمن أوصافه اللازمة ويتجسد، ولا يزال يتقمص أجسادا تلائم أعماله السابقة وشهواته السالفة، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. وينال قسطه من الملكات العقلية والحسية طبق الأجساد المتداخل فيها. فأرقى الأرواح المتجسدة يحوز عشر ملكات من الحواس الخمس والتنفس والقوة، والتمسك بالمادة والنطق والذهن، أما أحطها فلا تخلو عن أربع ملكات على الأقل.

## الأعمال:

الأعمال عند الجينية عبارة عن الآثار المجتمعة الغاشية بالروح، الناشئة من فعل الروح، المغشى بكدورات الغضب والكبر والاعتزاز والطمع: العواطف الملصقة أو كشايات (Kashya). ويقولون إن الغواية غواية الاعتقاد والعلم والخفق تنشأ في الروح أميالا وعواطف، وقد أسبقناها. ويسموننا بهاوا كرمانا (Bhawa Karmana) أو الأعمال الميلية التي تجذب موادا لطيفة تجتمع من تأثير الأفعال وتلصقها حول الروح؛ فتحفه وتحيط به، ويقال لها الأعمال المادية أو دريوييا كرمانا (Druya Karmana).

ويزعمون أن المادة الأعمالية هي التي تبعث في الروح أعمالا ميلية، أو العواطف والأميال الملصقة الجاذبة مادة الأعمال. فتهيأها وتعدّها لقبول الأجساد طبق نفسها وعواطف الروح المبعوثة بها، فكل من الأعمال علة ومعلول. الأعمال المادية السابقة علة للأعمال الميلية اللاحقة، والأعمال الميلية اللاحقة علة للأعمال المادية التابعة بعدها. وهذه السلسلة العلية والمعلولية مستمرة من الأزل من غير انتهاء وانقطاع، ولا تزال تتسلسل حتى ينجو الروح من الأعمال ويتطهر من أوساخها.

إنما الأعمال غشاوة الروح تمنعه عن خصائصه الطبيعية اللازمة من العلم الصحيح المحيط، والاعتقاد الحق، والسرور الدائم، وتنشئ فيه العوارض



الأجنبية من الاغترار، والضعف، والتجسد، وتفاوت الأنساب، والأعمار، ولكل من هذه الآثار علة خاصة من الأعمال. والأعمال حسب تأثيراتها تنقسم إلى ثمانية أقسام هامة كبرى: (وللأقسام أقسام كثيرة تركناها).

١- الأعمال الساترة عن الروح اعتقاده الحق، أو درشناورنا (Darshana Varana)

٢- الأعمال الساترة عن علمه الصحيح، أو جناناورنا (Varana Janan)

٣- الأعمال الباعثة على الاحتفاظ بمتع الدنيا، الساترة سروره السرمدى، أو ويدانيا كرمنا. (Vadaniya Karmana)

٤- الأعمال المضلة ضلالاً فكرياً أو فعلياً، أو موهنيا كرمنا (Mohaniya Karmana)

٥- الأعمال المحددة الأعمار من طولها وقصرها، أو ايوسكا كرمنا (Auska Karmana)

٦- الأعمال المجسدة التي تفسر الأرواح على التقمص بالأجساد، أو ناما كرمنا (Nama Karmana)

٧- الأعمال المشخصة مستواه النسبى، أو جوترا كرمنا (Hotra Karmana)

٨- الأعمال المحدودة احتفاظه بمتع الدنيا، أو انترايا كرمنا (Antraya Karmana)

وهذه الأعمال كلها محسوسة مرئية عندهم. ويزعمون أن ما ليس بمحسوس ليس بنافع ولا ضار. واكتفوا في إثبات دعواهم بالأمثلة من الظواهر المادية المحسوسة. ولعلمهم تسامحوا في مدلولات الأعمال وأرادوا بمحسوسية الأعمال، محسوسية آثارها لا تأثيراتها.

ويرون أن الأعمال هي التي تسوى مستوى الوجود، فترفعه وتحطه. لا شرف نسبياً كان أو كسبياً، روحياً كان أو مادياً، إلا وتقابله أعمال سابقة توجبه وتوتيه، وتمنعه وتشقيه. وليست في الكون درجة إلا يصعد إليها بالأعمال ولا

دركة إلا يهبط إليها بها. خير كل شيء بيده، فيرقى إلى أقصى الغايات من العلم المحيط والسرور الدائم والقوة العظيمة، لا مانع عنه إلا الأعمال، ولا موصل إلا هي الآلهة لا توتيه أمانيه والشياطين لا تنزعه عن آماله. نور الهداية يشرق من باطنه وظلمة الضلالة تنتهض من أعماقه. ولكل أجل. والآجال تطول وتقصّر. أما الهداة أو ال "تير تنكرات" فتشدد في الثورة الباطنية الناهضة من الأعمال وتقصّر الأجل وكل شيء بمقدار.

## الاله المكون:

قد أنكرت الجينية الاله الواحد، الشخصى، الخالق للكون، العالم الكل، ذو الطول والقوة. وأثبتت أرواحا أو نفوسا غير متناهية العدد، عالمة الكل أولى قوة وقدرة. وأخالت أمر التكوين على تفاعلها بالجواهر المادية بصلة بينها وبين المادة قديمة مجهولة الكنه الموضوعات الكونية عندهم مجتمع الجواهر الحية واللاحية بأوصافها اللازمة وأعراضها المفارقة المتغيرة أنا فانا. أما الجواهر و أوصافها اللازمة أو خصائصها فآزلية أبدية، لا تحتاج إلى مكون يكونها ومستمرة البقاء لا يعدمها معدم، فليس لها إله خالق أو مفن. "الظواهر الموجودة لا يفنى ولا يتكون. أما وجودها وعدمها فمن وجهة الأوصاف والعوارض". والاعراض قديمة نوعا يذهب مجتمع منها وينوب عنه مجتمع آخر بعلل كامنة فى باطنها ومعدات خارجة عنها. فالدهر أو كالا (Kala)، والطبيعة أو سوابهوا (Suabhawa) والضرورة أو نياتى (Niyati)، والعمل أو كرمنا (Karmana)، والشهوة إلى الوجود والعمل أو ادياما (Udyama)، تفعلها مجتمعة متعاونة. وكل منها قديمة قدامة الجواهر الكونية وخصائصها اللازمة. وتستمر الثقلب والتغير لاستمرار عواملها وقوابلهما وكفت بها مغيرتاه مقلباه من غير احتياج إلى الخالق المكون.

وقد عللوا السعادة والشقاوة بالأعمال، واستتبعوا الهداية والضلالة للانبعاث النفسى المتسبب بتبدد المادة الاعمالية وضعف وثاقها. وأسسوا النجاة

على فناء مادة العمل، فلا يسع الكون عاملاً أخلاقياً منفصلاً عنه مستتبداً بنفسه. القوانين الأخلاقية هي نفس القوانين الطبيعية الكونية، وهي في أعماق الأشياء وجواهرها. فهي بمعزل عن المقنن الأخلاقي وقوانينها واره أنفسيها.

أما الآلهة والنفوس السماوية فليس بكائنات متميزة عن الكائنات الأرضية تميزاً جنسياً أو نوعياً، بل صنفياً. ويرون أنها تقلبات للكائنات الأرضية قد صارت إليها إلى أجل مسمى، جزاء بما عملت من خير. فإذا استوفت من يصيبها ترد إلى موالد مثلها أو غيرها أجر ما تسببت في حياتها الإلهية أو السماوية أو غيرهما ولما استوفت أجورها.

ويزعمون أن الذين قد فتحوا أعمالهم الثمانية، وسدوا أبوابها، وأنواعوا طفهم وأهلكوا طاغيتهم، وطهروا نفوسهم من أضرار المادية كالارهاطين أو الحريين، يرقون إلى الدرجة العليا من القداسة والقدرة والعلم والسرور. ولهم موضع من التجلة والقداسة أسمى من موضع الآلهة والناس والكون كلهم أجمعين، بل كادوا أن يكونوا آلهة حقيقية إلا أنهم لا يخلقون ولا يسمعون الدعاء سمع إجابة وقبول، ولا ينصرون من يستصرهم، ولا يدفعون الشر إذا أصاب أتباعهم أو غيرهم، وهم معرضون عن الكون بأجمعه. وهم براماتما (Paramatma) أو الأرواح السامية، وحسبهم سموا وقداسة خصائصهم الروحية قد صقلوها من الحرية والعلم والقوة والسرور البالغة إلى أقصى غاياتها والدرجة ليست بممنوعة عن نفس أي مكان، وما سبيل نيلها إلا الاجتهاد لها والجد في طلبها. وهما مفوضان إلى الأعمال السابقة وهي معللة بسابقاتها، ويتسلسل من غير انتهاء، ولا ينصره أحد في رقيه إليها. فمذهب الجينية في جوهرها لا يرى لعبادة الآلهة والولوه بالارهاطين موضعاً. أما تقديسهم ال "تير ثنكرات" وركوزهم عليها فلاقتفاء آثارهم والايتمام بهديهم في بدء رقيهم. وإذا ما ارتقوا فعلمهم هو الهادي.

## الحقائق الأساسية:

قد بحث الجينيون عن الكون بحثاً طبيعياً وإلهياً واستوعبوه ودققوا فيه، واستنتجوا نتائج بعضها حديثة فكراً وان هي قديمة عصراً. وبدءوا بحثهم بظواهر خارجية، وشاهدوا تكثرها وتغير صورها واستمرار موادها وتاصل حقائقها، فادعواها كذلك. ثم ارجعوا إلى وحدات عامة انتزاعية. ولكن ناحية بحثهم أخلاقية غاية ومطمحاً، فوجهوا الكون بالروح بل بالأرواح، وكادت أن تكون أرواحاً بشرية، فان الأرواح الكونية المحبوسة بالجواهر المادية بأجمعها لا تطلق من قيودها وأغلالها إلا أن ترقى إلى البشرية، فتتال حريرتها المفطورة عليها من سبيلها. والاطلاق والتخلص مقضيان لكل روح مهما يطل الأمد. وأثبتوا المادة لتأثير الروح فيها مستمداً بالغواية السارية فيه. فالكون عبارة عن الروح وغوايته، وتأثيره في المادة وتآلفه بها، ومكان التآلف وزمانه وسبله ومعداته وموانعه، والمادة نفسها وانحلال التآليف. وأدرجوا الجميع في مقولات تسع أجناساً عالية للكون ويسمونها الحقائق التسع أو نواتتوا (Nawatatva). وجمعوا أجناساً عديدة في مقولة واحدة وأفردوا أصنافاً من جنس واحد بمقولات عديدة.

والمقولات بعضها كونية صرفة وبعضها أخلاقية بحتة، والبعض يمثل عن التأثير وسبله وموانعه، والبعض يعرض انتهاء تأثير الروح وامتناعه عن فعله وانحلال التآلف، وهذا هو الغاية المنشودة لهم. وأما المقولات الباقية فليتبسر على السالك المتسك سد سبيل فعل الروح وتأثيره وتطهيره من أوساخ الأعمال. وللحقائق قيمة كبيرة في التعليم الجيني، ويقولون "من يؤمن بالتعليم الصادق للحقائق الأساسية ينال الاستقامة".

الحقائق الأساسية التسع هي: جيوا (Jiva) أي الحي، وأجيووا (Ajiva) أي اللاحي، وبنيا (Punya) أي الحسنه، وباب (Papa) أي السيئة، وأسروا (Asrava) أي مجرى الأعمال، وسنوارا (Sanvara) أي السد، وبندها (Bandha) أي الوثاق، ونرجرا (Nirjara) أي الاستيصال، ومكشا (Moksha) أي النجاة.

## الحي:

الجوهر الحي، ويطلق في الأدب الجيني على الروح وأثاره من الحياة والشعور والقوة. وهو أزلّ، غير متغير في أوصافه الجوهرية من الشعور والقوة، وهو الشاعر والمقتدر والمتألم والفرحان المسرور. وهو متمم في الأقطار الثلاثة قابل للتخلخل والتكاثف حسب الأجساد المتداخل فيها، حامل للصور الذهنية وسار في الأجساد حسب أعماله وشهواته، ومتكثر عدد الأشخاص والأفراد.

وينقسم بتقسيمات عديدة من جهات مختلفة. فمن حيث الكمال والنقصان إما مستديمة الحرية أو "تطياسدها" وهي أرواح ما شابت بالمادة واستمرت على طهارتها، وإما مطلقة أو سدها (Siddha) وهي التي قد تخلصت عن شوائب المادية وتطهرت من أوساخ الأعمال ونالت فطرتها الأولى، وهذه الأرواح لا تعود مقيدة مرة أخرى. وأما دنيوية أو "سنساري" وهي التي لماتتخلص عن المادة، ولا تزال نهيم في أجساد وأجسام حتى تطهر. ويقولون إن الروح الواحد لا يقيم بجسم واحد فوق اثنين وعشرين ألف سنة، وأقل مدة الإقامة ثمان وأربعون لمحة وقد تنقص. والتجسد المتأخر يكون أعلى وأكرم من المتقدم. والأرواح حسب مستقرها فردوسية وجهنمية، وإنسانيه وحيوانية. ونباتية وجمادية، وأرضية ومائية، وهوائية ونارية وغيرها من الجمادات طبيعية كانت أو صناعية. والأرواح حسب الحواس إما ذو حس واحد كالأرض ومواليدها، وأما ذو حسين كالديدان، وإما ذو حواس ثلاث كالنمل، أو ذو أربع كالزنابير، أو ذو خمس كالذباب، أو ذو ست: الحواس الخمس والذهن كالناس. ويقولون إن أبعاض الأجساد وأقطاع الأجسام أولوا أرواح. ويزعمون أن في الكون أشجارا غير مرئية للطاقتها سابعة في أقطار الخلاء، كل منها يحتوى على أرواح غير متناهية في العدد. وهذه الأرواح تنوب عن أرواح قد تخلصت من الكون المادي واستقرت في قرارها، فتجذب المواد المنفصلة عن أرواحها.

## اللاحي:

الجوهر اللاحي، وهو أزلى كصنوه من الجوهر الحى. وينقسم إلى ذى أقطار و عديم الأقطار. و عديم الأقطار ينحصر فى الدهر وقد ينقسم إلى ذى الصورة و عديم الصورة. و ذو الصورة ينحصر فى المادة. و عديم الصورة على ثلاثة أنواع: الخلاء و المسافة و المقام؛ فهذه خمسة أقسام: المادة و الدهر و الخلاء و المسافة و المقام.

١- المادة أو بدجالا (Padgala) و عرفوها بتعريفات كثيرة، مرجعها إلى أنها دائمة، غير متغيرة بذاتها، ليست لها صورة ولا شكل، حاملة للصورة و الأعراض المتواردة عليها و متلازمة بها، قابلة للاتصال و الانفصال و التحلحز و التكاثر، من غير زيادة و لا نقص، و معروضة للشعور غير شاعرة، و هى فى ذاتها جواهر غير منقسمة.

تنقسم المادة إلى أفذاذ لا تتألف و تبقى مفردة، و جمهرات متألفة من جوهرين و ثلاثة و أربعة و خمسة و هكذا إلى غير النهاية. الجمهرات أنواع، منها ما لا تصلح أن تكون مادة لجسم، و منها ما هى مادة لأجسام كثيفة كأجساد الحيوانات، و منها ما هى مادة لأجسام لطيفة كأجساد المرتاضين الاشرافيين التى ينزعونها من أنفسهم، و منها ما هى مادة لأجسام نورية، و منها ما هى مادة للألفاظ و الأنفاس، و منها ما هى مادة الأذهان و الأفكار، و منها ما هى مادة للأعمال. و يقولون إن الجمهرات تأليفات متصاعدة عددا و لطافة، فمادة الأعمال مثلا أثرى عددا و أطف تداخلا من مادة الأذهان و الأفكار، و هى أطف و أثرى من مادة الأنفاس.

٢- الدهر أو كالا (Kala) و هو جوهر خارجى مستمر أزلا و أبدا، و هو استمرار محض و دوام بحث من دون حجم، و هو المنشأ لانتزاع الزمان المنقسم إلى السنوات و الشهور و الأيام. و هو غير مرئى يستتبط وجوده من الحركة و التغير و الاستمرار و التقضى و الحدوث.



٣- الخلاء أو اكاشا (Akasha) وهو جوهر خارجي ذو حجم تتمكن فيه ذوات الأحجام من الأشياء وتشغله، وغير مرئي يستتبط وجوده من وجود الموضوعات ذوات الأحجام وشغلها إياه. وهو إما خلاء كوني يسع الكائنات وإما غير كوني وهو المتسع المقدر وراء الكون محيط به.

٤- المسافة أو دهرما (Dharma) وهو جوهر خارجي وراء الخلاء شاغلة يمكن الأشياء على الحركة فتتحرك فيه.

٥- المقام أو أدھرما (Adharma) وهو جوهر خارجي وراء الخلاء والمسافة شاغل إياه، يمكن الأشياء على السكون فتسكن فيه.

ولعلمهم قد وجدوا المكان المعروف منشاء لثلاثة أوصاف وفق أحوال الأجسام المتمكنة فيه من الاشتغال والحركة والسكون. ففصلوها وقدروا لها ثلاث ظواهر مستقلة من المتسع والمسافة والمقام. فالخلاء يمثل عن المتسع، والمسافة عن مافيه الحركة، والمقام عن ما فيه السكون.

تدعي الجينية أن الجزء غير المنقسم من الخلاء أو النقطة أطف من الجزء غير المنقسم أو الآن من الزمان، حتى أن عدد النقاط المشتمل عليها قدر أصبع واحد يساوي عدد آتات الدورات غير المتناهية من الزمان. ودورة واحدة من الزمان هي غير المتناهي من الزمان. والجزء غير المنقسم من المادة أو الجوهر الفرد أطف من نقطة الخلاء، فتسع النقطة الواحدة جواهر غير متناهية من المادة. والأحوال المادية أطف من الجواهر المادية، فجوهرة واحدة، تحتوى على أحوال غير متناهية. فالآن أوسع من النقطة، تحل في واحدة منها نقاط غير متناهية. والنقطة أوسع من الجوهرة، تحل في واحدة منها جواهر غير متناهية. والجوهرة أوسع من الحال، تحل في واحدة منها أحوال غير متناهية. واستخرجوا من هذه الفروق أن العلم المحيط بآن واحد يستلزم علم نقاط غير متناهية من الخلاء، والاحاطة بنقطة واحدة تستلزم الاحاطة بأجزاء غير متناهية من المادة. والاحاطة بجوهرة واحدة تستلزم الاحاطة بأحوال غير متناهية. أما الاحاطة بأحوال غير متناهية فلا تستلزم الاحاطة بجزء واحد من المادة فضلا عن الاحاطة بالآن.

## الحسنة:

العمل الحسن هو فعل الخيرات التي توتى الطمانينة وتبعث أعمالا حسنة. وقسموه إلى تسعة أقسام، كاطعام المساكين لا سيما الرهبان الجينيين، والسقى وغيرهما. ويقولون إن الحسنات تجزى باثنين وأربعين طريقا.

## السيئة:

العمل السوء، وهو ارتكاب الفواحش. وقد قسموا السيئة على ثمانية عشر نوعا، كالكذب والخيانة والفجور والطمع ونحوها. وأكبر الجنايات عندهم هو الجناية على الحياة أو العنف. وتجزى السيئات بالدمامة والفقر والمولد فى قوالب الحيوانات والجمادات وغيرها.

## المجرى:

وهو عبارة عن مجارى الأعمال ومنافذ آثارها المادية، فتغشى الروح وتظلمه. وقد عدوا اثنين وأربعين منفذا، كالباصرة والشامة والسامعة والذائقة واللامسة والمفكرة وغيرها.

## السد:

وهو عبارة عن الموانع والعوائق التي تمنع مجارى الأعمال وتسد منافذها. وحصروا السبل فى سبعة وأربعين أصلا. ولكل أصل فروع كثيرة.

## الوثاق:

وهو عبارة عن عواطف وأميال تعلق الأعمال بالروح فترين عليه. وينقسم الوثاق حسب طبيعته ومدته وشدته وضخمته إلى أربعة أجناس.

## الاستيصال:

وهو عبارة عن استيصال مادة الأعمال وقلع شافقتها. وسبيله هو الرياضات الشاقة الصعبة، ورياضات بدنية ونفسية، وقد كثروا أعدادها وأحصوا أنواعها. ولصوم جميع العمر والامسك عن الطعام والشراب حتى الموت قيمة جليلة في الرياضات المستوصلة.

## النجاة:

النجاة هي آخر الحقائق الأساسية وغاية الكون بأجمعه ومطمحهم السامى. وهي عبارة عن اطلاق قيود الحياة الدنيا، والتخلص عن تنالى الموت والحياة بتفكك الوثاق وانفصال مادة الأعمال، والتطهر من أضرار العواطف والأميال، ووقوف الأعمال حسنها وسيئاتها وانسداد مجاريها، وبالجمود للخير والشر، والتخلي عن العاطفة في الفعل والترك.

والنجاة عند الجينية ليست بعدم محض. هي طور من الوجود غير أطوار الحياة الدنيا، واجتياز عن دائرة الموت والحياة، وتخلص عن تتابع الموالد، وفوز بالسرور البحت الخالد لا يمزجه ألم ولا حزن، ولا يشوبه زوال ولا انقطاع، وكون بدون العاطفة ووجود من غير ميل. وليست للأرواح الناجية من مطامع يطمعونها ولا مطامح يتوخونها. النجاة طور وراء أطوارنا المشاهدة، فلا توصف بوصف نعلمه ولا بحال نتعقله "الناجى ليس بطويل ولا قصير، لا أسود ولا أزرق، لا مر ولا حاد، لا بارد ولا حار،..... من غير جسد ومن غير مولد مكرر، هو يدرك ويعلم وليس كمثل شىء، جوهره من غير صورة وهو مطلق من غير قيد". هو علم وقدرة وسرور وطمانينة وخلود وقرار، ومستقرة في سدهاسيلا (Siddha Sila) أى مستقر الكملة، موقعه فوق الخلاء الكونى، وتسكن فيه الأرواح من غير معاوقة ولا ازدحام. والنجاة وإن كانت لها بداية ولكن ليست لها نهاية بعكس التقيد.

ويعتقدون أن النجاة ميزة البشر فلا يتخلص أحد حتى يعبر المعبر  
البشرى. يقول مهاويرا فى أنشودته المرسومة بالورقة التى نظمها لانهاض العلم  
المحيط فى نفس أحب مرديه "جوتاما إندرا" وقد تأخر لأسباب:  
تتبرم الحيوه يوما. مثل الحيوه كمثل الورقة الذابله، إذا جاء أجلها فاذا  
هى ساقطة. مداها قليل كطل على ورقة من عشب. لا ينال المرأ نجاته إلا إذا  
صادف فى موالده المتتابعة مولداً بشرياً والصدفة قليل. فمن للروح لا يتقيد  
بالتراب أو النار أو الهواء أحقاباً لا تحصى. وعسى أن يتزى بزى الشجرة أو  
الدودة أو الدابة. ويكاد أن يولد فى الجنة إليها أو فى جهنم شيطاناً. وقد قضى أن  
لا نجاة إلا للبشر، فاذا ولد بشراً فعسى أن لا يكون آريا (Arya) جنسية ويكون  
وضيعاً أو دخيلاً وإن كان آريا أرومة فكيف إذا لم يكن حقيقاً أو لا يتلقى القانون  
أو لا يؤمن به. ولو كان ذا حد منها فلم يستطع طولاً أن يتخذ الرهبانية الصعبة  
سبيلاً. ويتشيب جوتاما ويتضائل فتنائى الصدفة رويداً، فيستل مهاوير جوتاما أن  
يرى عنه أغلال الاعتلاق التى تشده بتتابع الموالد. وقد اتخذ الرهبانية سبيلاً الذى  
يهدى إلى النجاة، فليسلك عليه إلى نهايته. إنك قد عبرت البحر العظيم فلما وقفت،  
وما أقربك بالشاطيء، فبادر إلى الشاطيء الآخر. فبدار إلى دار الكمال،  
وهو قرار وسرور".

## التلخيص:

الجينية طريقة رهبانية رغم الطرق البرهمية، حرة عن الاستناد  
بالويدات، معاصرة للفكر الابنيشدى، مؤسسة على التشائم بالحياة الدنيا والسامة  
عن تكرار الموالد. فابتدعوا طريقاً للتبتل عنها، وعالجوا الحياة بالجمود لها،  
لسرائها وضرائها، وداووا الأميال والعواطف بأفنائهما ولو باخماد شعلة الحياة  
بأيديهم، وتفقدوا النجاة فى وجود من غير فعلية، وسرور من غير انبعاث، وقوة  
من دون مقاومة.

وللجينية مزية في إعلاء علم الفلسفة الهندية وفضل في رقى الفكر  
الهندوسى. وقد رفعت مستوى الأخلاق الهندوسية بنظريتها الهامة، نظرية عدم  
العنف أو عدم الجناية على الحياة، وهى فاصلة وشاح الفكر الأخلاقى للهند.  
ونظرية تأليف المادة من الجواهر الفردة لها قيمة فى تاريخ الطبيعات العالمية.  
وللمنطق الجينى فضيلة باهرة فى توسيع نطاق البحث وتنقيب مواده، لا سيما  
لل قضايا الامكانية وتكثير جهات صدقها. ولها تأثير عظيم فى الانتقاد الفكرى، فقد  
فعلت وانفعلت وأخذت وأعطت وانشأت أدبا ضخما فى فنون شتى.

# فلسفة ماهارنا أو البرهمية المستحدثة

قد تصرم عصر الويدات وتقادم عهد الناس بالبرهمية الرسمية وضعف سلطان الداخلية الابنيشدية عل قلوب الشعب وافترق الناس فى الصارواية والبوذية والجينية و نشنت حلقات كثرية من الاشراقيين والمرتابيين والمفكرين وراجت أسواقها فاذاكت نهضة الفلسفة ونشطت حركة الحرية فى الفكر وقد بذرت بذور بعض المدارس الفلسفة كاليوغية والسانجية، فأخرجت شطاها وشرعت شريعة البهاغوتية وانتشر تعليمها حرة عن تعاليم البرهمية ونذكرها فى محلها.

و أخضعت الآرية أهالى الهند و سكانها القديمة حربا أو صلحا بفتح بلادهم و نهب قراهم وتمزيق شملهم و إجلاء جافيتهم وتعبيد لينتهم، واستوثق الأمر للآريين وتم لهم القهر ودخل الناس فى جنسيتهم أفذاذا وأفواجا، وصدار الفاتحون والمفتوحون كلهم جيلا واحدا ومصرت الامصار متخالطة الجنسيت وعمرت القرى متمازجة الطبقات واختلطت الطقوس والعبادات وامتزجت الآلهة والقرايين واستكبت الروايات والأساطير واشتبهت الزيات والعوائد واشتركت المطاعم والمشارب وأصبح أهالى الهند الحديثة والقديمة كأنهم ملة واحدة فتوفرت



الروايات والأساطير وكثرت الآلهة والطقوس وتراكمت المعتقدات والسبل وازداد الأبطال والزعماء.

وكانت الهند خلال تلك العصور الغبرة أمارات و دويلات صغيرة وكبيرة وكان الولاة والسلاطين بين حرب و صلح ونصر و خذلان و يتحزبون و يتفرقون، يفتحون أو يهربون وقد برز في تلك المحاربات أبطال و مصارعون ودهاة و قائدون من أصناف الجنسيات و أشتات الطبقات فمجدهم الناس و أكبروهم و مدحوا بطولتهم و وعوا أخبارهم و نقلوا و قائلهم و نظموا أنسابهم و أحوالهم و سردوا مصارعاتهم و مصارعهم و حفظوا مطارحاتهم و مطارحهم في كلماتهم مع ما عملت فيها المبالغة و أنماها الاختلاق من روايات خرافية من أخبار موالدهم الغربية و وجوه إنتمائهم إلى الآلهة و حكايات أعمالهم المدهشة و تفاصيل مخاطرهم المبهتة قد رووها ماثرة لجنسيتهم أو مفخرة لطبقهم و تغانوا بها إثارة للنفوس و تحميسا للجمود و ترويحاً للشجعان و قادة فتناقلتها الأفواه من وراء الأجيال و الأزمان و جلبب بها الرحلة و الجوابون في أطراف البلاد و أقاصي القرى.

وجملة القول إن المجتمع الهندي و إن أثرى من جهة الثقافات و الروايات و الآداب قد تفكك من جهة الفكر و الاعتقاد و السيطرة و قد مشئت أمارات طريفة و استنت سنن مستحدثة و استحدثت طقوس مستطرفة و ابتدعت قرابين حديثة و اختلقت رياضات محدثة و برز عرفاء بطابعات مختلفة متباعدة و نبغ علماء بصبغات متعددة متخالفة و اشتهر مفكرون بسمات شتى متنافرة و أخذت المكانة السامية للبراهمة تتحط و بدأت أسواقهم الناقصة تكسد و دنت قواعد الدين البرهمي تتضعع، و قربت زعامتهم أن تتزلزل، و معالم البرهمية كادت أن تتدرس، و آثارها عست أن تنطمس، فنهضوا لتشييد مباني شريعتهم و قاموا لتسديد طريقهم فعدلوا بالظروف و قربوها إلى النفوس و جعلوها شعبية تلائم لصنوف الجنسيات و تجارى أنواع الطبقات و تقارب أطراف الأقطار قد أدرجوا فيها طقوسا و قرابين و أدخلوا فيها آلهة و معتقدات و أخلطوا عبادات و شعائر و أدمجوا حكايات

وأساطير وأشملوا تعاليم مذاهب نافقة في أشتات الناس ومجدوا أبطال صنوف الرجال وعظموا شعائر جميع الجنسيات وقبلوا شرائع كل الطبقات فجمعوا من كل روضة واقتطفوا من كل شجرة ثم اصطبغوا ما اجتتوه بصبغة ويديّة وطبعوا عليه بطابع برهمي فاستحدث دين وابتدعت فلسفة وكأنه نتيجة فطرية لتفاعل الأجيال والجنسيات ومذهب طبيعي لمثل ذلك المجتمع المكون من المعتقدات المتخالفة والروايات المتباينة ذي طبقات وجنسيات مترامية الأطراف شاسعة البلاد و وضعوا لذلك الدين الشعبي كتابا مطولا سموه بمها بهارتا (Maha\_Bharata) وفيه جل ما اشتهر في أفواه الناس من القصص والحكايات والحكم والأمثال وكل ما ظهر فيهم من أصناف المذاهب والمسالك حتى يقال إنه ما ليس في مهابهارتا فليس في أرض بهرتا أي الهند. والكتاب في المحل الثاني من الويدات فكأنه ويد خامس شعبي يتلوه جميع الطبقات والجنسيات من غير منع ولا نكير.

## مها بهارتا:

"مها بهارتا" ملحمة هندية باللسان السنسكريتي توضع في أشهر الملحقات العالمية كالإلياذة لليونان و الإنياد للرومان والشاهنامه للفرس. وهي من الشعر القصصي عمودها وصف حرب نشبت بين أسرتين من عائلة واحدة. وتتضمن روايات معجبة وأساطير مدهشة من الجنة والناس والآلهة والشياطين وتشتمل على ذكر طقوس وعبادات نافقة في صنوف الطبقات وأنواع الجنسيات بالبقاع المختلفة من الهند وتمثل عن واجبات الطبقات - رجالها ونسائها - في مراحل الحياة من التعزب والتأهل والتسك والتبتل وتبين عما يجب على الأمراء والملوك وعامة الشعب وتصف الأحوال السياسية والثقافية والأخلاقية والدينية للشعب وتجلو عن أنسابهم وأحسابهم و مآثرهم ومثالبهم وتسفر عن أسماء البلاد والقرى والسهول والجبال والأنهار والأودية والاجمات والكهوف والحقلات والبساتين ومواقعها والروايات المشهورة عنها وتعد امارات كبيره ودويلات صغيرة

والأسرات الحاكمة عليها وحروبها ولامحها ومعاضديها ومناضليها وقصورها  
وحصونها وتخبر عن أبطالهم وفروسيتهم وأسلحتهم وأمتعتهم ومخاطرهم  
ومصارعهم وأعمالهم وعوائدهم وتبىء عن صنائعهم ومتاجرهم وسائر مهنتهم  
ومستوى طبقاتهم وأفرادهم - رجالهم ونسائهم - وتبدي عن عواطفهم وميولهم  
ومشتهياتهم ومستكرهاتهم وتشرح عن تعليمات دينية ونظريات أخلاقية وتكشف  
عن باكورات فكرية للعارفين والمرتاضين والمتبتلين وتذكر عن اختلافات نظرية  
واقتراقات دينية ومعارضات ومعاضدات فتتمثل فيها الحضارة الهندية بجميع  
مناحيها وبكل مراميها وبالجملة هي دائرة معارف القوم في ذلك العصر القديم  
وموسوعات لما كان لهم من الدين والأخلاق والتاريخ والرواية والثقافة  
والحضارة طوال ذلك العهد العتيق وأكبر مزية الكتاب أنه يخيل وحدة القطر  
ووحدة ساكنيه أحسن تخييل كثرة الروايات والأمارات وغزارة الأجيال والطبقات  
ووفرة الأبطال والمواطن وضخمة الأساطير والمواقع وتراكم المسالك  
والمذاهب، لا تزيد القارى إلا اعتقادا بوحدة القوم ووحدة موطنه متسع الأقطار  
متباعد الأرجاء.

أجمع العلماء أن مهابهارتا مبنية على مصنف قديم مسمى ب "بهارتا"  
وكانت ملحمة موجزة محتوية على أربعة وعشرين ألف بيت في وصف حرب  
نشبت بين الأسرتين الفاندوس والكوروس (Pandanas, Kurus) من عائلة  
الملك بهرتا (Bharata) و كان من أجداد العائلة ويتصل تاريخ تصنيفها بنحو  
القرن الخامس قبل الميلاد. قد دونت من أشعار غنائية قصصية تعد مفاخرهم  
الشعبية و وقائعهم القومية وبسالة شجعانهم وفروسة أبطالهم وأيامهم المشهودة  
ومخاطرهم العظيمة المتناقلة من جيل إلى جيل ومن قرن إلى قرن المغناة في  
الأسواق والاحتفالات بالأمصار والقرى والشوارع والسكك. وتتابع في الزيادة  
والنقصان وتوالت التبديل والتعديل حتى بلغت عدة الأبيات إلى مائة ألف بيت  
واستمر هذا إلى أوائل القرون الميلادية أما النسخة التي في أيدينا فكادت أن تكون

هي التي كانت في حوالي القرن الخامس الميلادي إلتغييرات يسيرية وتحريفات قليلة أو زيادات وسقطات غير هامة قد تسربت فيها مدى تلك القرون المديدة.

ويعلم من "مهاهارتا" نفسها أن النسخة المتداولة للكتاب رتبت عن رواية للقرأة الثالثة لمادة الكتاب قد نص في مقدمة المرتب أو الراوي الناشر ما تلخيصه .

أنه قد عقد شونك (Shaunaka) العارف مجلسا لتقديم قربان وحضرة شوتى (Shauta) البرهمى وقال إنه قد سمع حكايات مباركة وروايات مقدسة من ويشما فاينا (Vaishama payana) العارف من تلامذة العارف الشهير فياسا (Vyasa) البرهمى وكان في مجلس للملك الكبير جنميجا (Janmeja) من أحفاد أرجنا (Afjun) أحد أبطال الفاندوس، وقد عقده الملك لعرض قربان الحيات وقد التمس من فياسا أن يقرأ عليه مهاهارتا التي صنفها هو نفسه بالتماس بهيشما فتاما (Bhishma Pitamah) جد الفاندوس والكوروس و أحد أبطالهم الشهيرة لتكون تاريخا للحرب العائلى العالمى العظيم وتذكرة لمآثرة العائلة الكبيرة السامية المقدسة، فاعتذر فياسا إليه بشيخوخته وضعفه عن حمل هذا العبء الثقيل واختار له تلميذه ويشما فاينا وكان قد سمع الحكاية منه مراراً ووعاها، فبعثه إليه ليقرأ عليه كما سمع منه فقرأها عليه في مجلسه وقد حضر المجلس أجلة العلماء والعرفاء والبراهمة فأعجبوا بها فلما سكت عن ذكر ما جرى ألح الناس عليه أن يقرأها عليهم كما سمع، فقرأها- والكتاب هو هذه القراءة- والناظر فى الكتاب يتنبه على زيادات من ويشما فاينا وشوتى أما زيادات غير هما فليست لهما آثار جلية فى الكتاب أما فياسا مؤلفها الأول وتلميذه ويشما فاينا وشوتى الراوى فعسوا أن يكونوا شخصيات خرافية أما الأسماء الواقعية لمؤلفيها و مرتبيها فقد ضلت فى مجاهيل الزمن.

وقد أطبق الباحثون على أن مهاهارتا هذه قد طوت مراحل متمائزة حتى انتهت إلى ما هي عليه الحين. قد كانت أناشيد متفرقة وأغانى منشتة للعامة، قصصية وحماسية وبيانية منبثة فى أقطار الهند لصنوف الطبقات وأنواع الجنسيات يزدون فيها وينقصون منها مجاراة بالأوضاع وكانت مصبوغة

بصبغات مختلفة، صبغات قائلها مطبوعة بطوابع متعددة، طوابع ناظميها وراوياتهم ثم حررت من نفس تلك الجمهرة ملحمة واحدة ونفخوا فيها من روح جنسيتهم الأريانية والبوسها زيا ويديا بل برهميا. والتحرير أول خطوة وضعوها في سبيل توحيد الإسلام الهندية ثم زيدت فيها معتقدات وروايات وطقوس وأعمال ومعدات هدير الآلهة القديمة الويدية وأجل الثالوث الهندي من برهما (Brahma) أو الخالق و وشنوا (Vishnava) أو المبقى وشيوا (Shiva) أو المفنى، محلهم فأصبحت الملحمة سبرا للدين الشعبى ويقال إن بهاغودغيتا (Bhagvad Geeta) سفر المذاهب البهاغوتى قد أضيفت إليها فى هذه المرحلة. ثم ضمنوها فلسفة قد وجهوا بها معتقدات الشعب الناققة فيهم و وفقوا بها بين القديمة الماثورة وبين المزيدة عليها وهذه هى المرحلة الأخيرة لتحرير الكتابة المتميزة عن السابقتين، أما التغيرات اللاحقة المتابعة إلى ماضى قريب فليست بهامة ولا متميزة بل هى مما لا بد منها فى مثل هذا المصنف القديم المتناقل من حقب إلى حقب ومن جيل إلى جيل فى قطر ساسعة الأطراف، مختلفة اللغات، متكررة المعتقدات، متوفرة الروايات والرايات.

مجتمع مهابهارتا مجتمع جنسيات مختلطة وطبقات متعددة لها روايات مفرقة وطقوس متعددة وآلهة مختلفة ومعتقدات متكررة وسبيل متميزة فألف بين تلك الأشتات باعلاء وهدء وحذف و زيادة وتوجيه وتأويل، فتشرح التوحيد وتدرس التثليث وتوجه وحدة الوجود وتتص على التكثر وتقدم آلهة مستقلة ومأمورة، غنية ومحتاجة أزلية فانية، وهذه الأضداد توفق بينها. وتحكى عن آلهة يلدون ويولدون، وأزواجهم آلهات مثلهم و قد يأتون النساء فيلدن لهم بنات و بنين ولهم محاربات بالآلهة والناس والشياطين يغلبون فيها ويغلبون ويستتصرون وينصرون ويخذلون ويكرون ويفرون ويخادعون ويخدعون وينخدعون وينزلون فى اصلاب الآباء وبطون الأمهات، ويتولدون لإصلاح مجتمع أو إهلاك عفرية أو لدفع الناس بعضهم ببعض ويحسدون الأبطال والعباد والنساء فيتعبونهم

ويغوونهم عن رياضاتهم. ولهم صور متنوعة بعضهم طيور كبيرة وبعضهم زحافات عظيمة ومنهم في قوالب الأنعام ومنهم في زيات البشر.

والتسك فقلما يقصد به التطهر والنجاة في ذلك المجتمع بل يتوخى لنيل القوة وتحصيل السيطرة على العوامل الكونية ومهابهارتا تقص عن كثير من المتسكة والزهاد الذين قد انغمسوا في الترف وأفسدوا في الأرض وظلموا أهلها بعد نيلهم القوة والسلطة فيهاب سخطهم ويخاف غضبهم. وسخطهم لا يميز الحق من الباطل وكانوا يدعون على من أغضبهم أيما كان من الجن والإنس والآلهة ولا مرد لدعائهم للخير كان أو للشر وربما يندمون و أي تتدم وقد نفذ سهم القضاء- والأمثلة وافرة في الكتاب.

وكانه يرى الوفاء بالعهد والبر في القول وانجاح المسنول وإطاعة الكبراء والانقياد للبعولة والصدق في الوعد والوعيد وروس الفضائل وكأنهم كانوا لا يبالون الحق والباطل إذا كانوا مثل تلك الفضائل. ومهابهارتا وجهت بمثل تلك الفضائل كثيرا من المساوى والمفاسد و وفقت بين الروايات الدخيلة وبين المستوى الآريانى الدينى والأخلاقى. وفيها من روايات تدل على قلة مبالاة بعض الأجيال بأمر العفة في رجالهم ونسائهم بل في متسكيهم وأهتهم واعتذرت لهم بتاويلات مستطرفة.

وقد بالغت مهابهارتا في حض الناس على تبجيل البراهمة\* وتشددت في منعهم عن الإسائة إليهم و أنذرتهم بسخطهم وعدت إرضائهم من خير أعمالهم وحثتهم على كفائتهم و إسعاف مسئولهم وحملتهم على العفو عن خطاياهم ومكنت سيطرتهم في قلوب العامة والخاصة وجعلتهم قطب رحي النظام الدينى والمدنى. ولمهابهارتا قيمة جليلة من وجهة توحيد الدين الهندوسى، فقد آتت المجتمع الملتئم من أشتات العناصر وصنوف الأعضاء دينا شعبيا وافق كيانهم الإجتماعى وطباعهم العمومى فلا يقصر هذا الدين أحدا منهم على قبول ما تعارض رواياته أو تخالف بيئته ولا يقصر شيئا من معتقداته اللهم إلا أن يصلح باصلاحات يسيرة تجارى بأوضاع الاجتماع. تدعو مهابهارتا إلى أداء الواجبات



الخاصة بكل طبقة من الطبقات الأربع المتنازلة وتفردى باللازمة على موجبات المراحل الأربع للحياة الشخصية من التعزب والتأهل والتسك والتبتل، وتبعث على إرضاء جميع الآلهة صغيرهم وكبيرهم بالتعبادات الرائجة في عبادتها، وتحث على تقديم النذور والقربان النارية، وتفشل عن قتل الحيوان، وتحض على تبجيل البراهمة وإكبار المرتاضين وتعظيم التسكين وإطاعة الكبراء، وتهدى إلى زيارة البقاع المقدسة، وتشوق إلى استماع الحكايات المتبركة بسمع القبول، وتبشر بالأخذ بالصدق والاحسان والمواساة والإكرام، وتوصى بحسن السيرة وإنجاح الحاجة وإسعاف المسئلة، وتحرض على التدين والاستقامة، والدين المهابهارتى هذا باق إلى الآن مجارية بتطورات الحدثن ومعدلة بتغيرات الأزمان.

ومهابهارتا منشورة في ثمانية عشر كتابا أو فروا (Parva) وضميمة أو كهلا (Khala) نذكرها فيما يلي.

(١) كتاب البدء أو أدى فروا (Adi-Parva) في ذكر تاريخ العائلة من

الكوروس والفاندوس وبيان بدء الخليقة.

(٢) كتاب الحفلة أو سبها فروا (Sabha-Parva) في ذكر إرسال الملك

يدوسطرا (Yadhostra) الفاندوسى إخوانه لتسخير بلاد العالم وإيابهم سالمين غانمين وعقده احتفالا كبيرا عالميا لتقديم القربان المعهود للتتويج الملكى ثم اشتراك الفاندوس فى حفلة القمار التى عقدها الكوروس لاختلاب رياستهم واخضاعهم حسدا بهم ثم انخداعهم وذهاب دولتهم.

(٣) كتاب الأجمة أو وناقروا (Vana Parva) فى ذكر انتفاء الفاندوس فى

الأجمات والفلوات لاثنتى عشرة سنة وما جرى بهم فيها.

(٤) كتاب ويراطا أو ويراطافروا (Virata Parva) فى ذكر اخفاء

أشخاصهم فى مدينة ويراطا بتكبير زيارتهم لسنة كاملة.

(٥) كتاب الجد أو اذيوغا فروا (Udh yoga Parva) فى ذكر خيبة مسعى

الفاندوس فى استرداد رياستهم عن الكوروس هدنة وتراضيا وتأهب الكوروس للقتال معهم.

- (٦) بهيشما أو بهيشما فروا (Bhishma Parva) في ذكر ما جرى بين الأسرتين من الحراب والقتال أثناء قيادة بهيشما للجيش الكوروس لعشرة أيام من الحرب العالمي.
- (٧) كتاب درونا أو درونا فروا (Daruna Parva) في ذكر ما جرى أثناء قيادة درونا لخمسة أيام.
- (٨) كتاب كرنا أو كرنا فروا (Karna Parva) في ذكر ماجرى أثناء قيادة كرنا ليومين.
- (٩) كتاب شليا أو شليا فروا (Shalya Parva) في ذكر ماجرى أثناء قيادة شليا ليوم واحد وهو اليوم الأخير من أيام الحرب العالمي.
- (١٠) كتاب الفتك أو سوفتيكا فروا (Shuptionka Parva) في ذكر هزيمة الكوروس و وضع الحرب أو زارها وفتك بعض قواد الجيش الكوروس بالجيش الفاندوسي وهم نيام وقتلهم جميعا لإثمانية.
- (١١) كتاب النسوة أو إستري فروا (Istari Parva) في ذكر بكاء نسوة الفريقين على قتلاهن وجزعهن عليهم.
- (١٢) كتاب التسلية أو شانتي فروا (Shanti Parva) في ذكر تسلية فياسا وكرشنا (Krishna) و وصايا بهيشما جد الأسرتين.
- (١٣) كتاب الوصية أو انوشاشنا فروا (Anushasana Parva) في ذكر بقية الوصايا.
- (١٤) كتاب تضحية الرس أو اشوميذا فروا (Ashumedha Parva) في ذكر تقديم أهم القربانات كفارة للذنوب ونيلا للطمانية.
- (١٥) كتاب التنسك أو اشرما واسكا فروا (Ashrama Vasika Parva) في ذكر عزوف ذروتراشترا (Dharutrashttra) أبي الاكوروس وغنداريا (Gandhari) زوجه، وكنتيا (Kunti) أم يدوشترا عن الحياة الحضرية وتنسكهم بأجمة في كورو شيطرا (Kurukshetra).

(۱۶) كتاب المدقة أو موшла فروا (Maushala Parva) في ذكر ماجرى لأسرة كرشنا من قتل بعضهم بعضا بعشب لاصى فارا (Lachi Para) قد نبتت من سحيق مدقة كانوا جعلوها سخرة من برهمى وموت كرشنا وأخيه وأبيه.

(۱۷) كتاب التبتل أو مها فرسطانیکا فروا (Maha Parasthanika Parva) في ذكر عزوف الملك يذوشترا عن عرش الرياسة وإنقطاعه وإنقطاع إخوانه الفاندوس إلى الجبال وتبتلهم.

(۱۸) كتاب الجنة أو شرغا فروا (Swarga Parva) في ذكر تخلية أرواحهم أجسادهم ورحلتهم إلى الملاء الأعلى. أما الضميمة ففي ذكر تاريخ الياذوديين (Yadanas) عائلة كرشنا وما جرى بهم من الحوادث والوقائع.

مهابهارتا بسيطة العمود وجيزة المغزى طويلة الأذيال غزيرة المواد قد أسهبتا أساطير متفننة وحكايات مستطردة و روايات مستتعبة وتعليمات متفككة وخطبات متفرقة ومكالمات جدلية. و في طيات كتبها مقالات فلسفية ومبتكرات عقلية معارضات فكرية ومباحث قيمة في السياسة والأخلاق خصوصاً في كتاب الأجمة وكتاب الجد وكتاب التسلية وكتاب تضحية الفرس.

مهابهارت تمثل عن فلسفة تركيبية جامعة لنظريات غشيت على صنوف الحلقات الفكرية مؤسسة على توحيد بهاغودى وعلى تصورات قد نضجت واكتملت في الغصور المتأخرة في مدارس سانخية ويوغية بل على نبذة من أفكار ويدانتية وقد أثرتها البوذية والجينية. وتستند على المشاهدة والقياس وتستدل بالروايات العتيقة وأقوال العرفاء والمتسكين من الأقدمين وتتمسك بالويدات وتعارض من ينكرها وتعاضد الآراء البرهمية وتساير العامة وتوافق الخاصة وتجارى بالتطورات وتراعى نوازع العصر فتعدل الدين بالدنيا وتتحامل بالمحاربات الملوكية والمنافسات الاشرافية والمنازعات الشعبية وتعفو عن الترف

وتصفح عن الملاعب وترخص في الزخارف وتشجع على الفعل والعمل وتحرض على أداء واجبات الطبقة وتفشل الترك والزهادة فلا تحوم حولها التشاؤم بالحياة رغم أفكار الأقدمين من المفكرين فكانها تعرض رد فعل العامة لقنوطية الرهبان والمنتبلة من البوذيين والجنيين وغيرهم من الزهاد والنساک الجواله فى اقطار الهند. فوجهتها الأخلاقية إنما هي وجهة فعلية رجائية. وفلسفتها الأخلاقية كادت أن تكون وسطا بين الخلاعة والتكشف والتلذذ والتزهد. فجددت الدين و وحدت المعتقد و وجهت الروايات وصوبت الاشغال وأصلحت الأعمال وقومت الاخلاق وقررت الواجبات وسددت العوائد وحسنت الميول ودعت إلى الخير وبشرت بالثواب وأذرت بالعذاب وهددت عن الموالد الدنية الشاقة ورفعت مستوى الأعمال والأخلاق وعلمت الهوادة والتحامل وأطابت الرغائب ورقت العواطف ونعمت العيش وأحلت النفائس فتقبلها الشعب بقبول حسن واحتلت مكانا بارزا من قلوب الناس.

### المذاهب الرئيسية فى مها بهارتا:

النظر العجلى فى مها بهارتا يبدى عددا من الأديان المنبثه فى أرض بهارتا أو الهند متميزة بصبغاتها متباينة بميولها ومنعطفاتها. منها ما نضح كيانها وتوافت أركانها وطفقت تزيل وتسقط ومنها ما بدأت وأخذت تتقدم وتتفق ولما تتواف وتتكامل وإنما اكتمالها فى العصور المتأخرة ومنها ما برزت أول مرة فى الملحمة متوافقة بالظروف متعاضة بالأوضاع فصارت دينا للأجيال الآتية من غير نكير. نجد فيها من بقايا عبادة القوة والسيطرة فى صورة الآلهة كالى (Kali) أو السوداء قد ورثها الآريون من السكان الأصليين. كانت لهم آلهة عذراء رمزا للقوة والسيطرة وعلامة للقهر والجفاء وتمثالا للمهابة والغضب يعبدونها ويقدمون لها قرابين دموية يستفتحون بها على أعدائهم ويبعثونها لإهلاك مقاتليهم. ولما اختلطت الثقافتان راجت ونفقت فى الآريين أيضا وصارت درغا (Durga) أو المتعالية وجعلت زوجا لشيوا (Shiva) أو الإله الذكر ولقبت بأوما

(Uma) أو ذات الجلالة والعظمة وارتبطت ببهوانى (Bhawani) أو آلهة الوجود و ردرانى (Radrani) أو آلهة الرعد وأصبحت زوجا لردرا (Rudra) الإله الريح ویدی. ثم تفسف المعتقد وارتقى المتخیل فصارت إسما لقوة برهما أو الروح العالمى. كان الصفة قد تجوهرت فافرزت وتألّفت، فدرغا تمثل قوة افنائه ولكشمى (Lakshami) أو الیمن والسعادة تشير الى قوة إیقائه وسرسوتى (Saraswati) أو الفصاحة والطلاقة ترمز إلى قوة خلقه وإبداعه. كأنما الإله الواحد الخالق الرب المبنى یخلق بقوته الناطقة أو واک دیوى (Vakya Devi) آلهة النطق أو سرسوتى ویبقى أو یربى بقوته المیمنة أو لكشمى وشرى (Shri) أو البركة ویبنى ویهلك بقوته المتعالیة أو درغا وكلها أسماء لكالى حسب أعمالها المختلفة ولها ألقاب كثيرة أخرى حسب المواطن و الأقیال.

وتلمح فى مهابهارتا آثار من الدین الفاسوفتى (Pashu Pati) وكان مذهباً توحیدیا ذا فكر مستقل و نظام مستبد دائر حول إله خاص كانوا یسمونه بفاسوفتى أو رب الدواب و یعبدونه و یعظمونه. وكانوا یعتقدون أن الكون عبارة عن خمسة أجناس عالیة هامة من العلة أو كارنا (Karna) والمعلول أو كارسا (Karsa) ویوغا (Yoga) والأحكام أو ویدی (Vedi) ونهاية الألم أو دخانتا (Dukhanta) فاعلة هو الرب الملیك المقتدر یخلق ویربى ویهلك- و یحتوى المعلول على العلم والآلات والنفوس أو الأرواح و غیرها- و یریدون بالضبط، الضبط الباطنى والرقابة الفكریة للوصول إلى الله- والأحكام هی أصول الاعمال الباعثة على الاستقامة والعدل- أما نهاية الألم فهى النجاة من متاعب الحیاة ومشاقها ثم السرور المرتقب والفوز الموعود. والمذهب قد أضاع تفردہ وفقد استقلاله فى مهابهارتا وتحول قطب دائرته من فاسوفتى إلى شیوا أو ردررا وتداخلت الأفكار فى الأفكار واندمجت.

مهابهارتا تمثل الدین البهاغوتى (Bhagwatism) أحسن تمثیل وكأنه مركز دائرة المذاهب المتمثلة فیها ورابطة بین أشتات التصورات المشمولة فیها. والمذهب تفشل الرياضات الشاقة المتعبة فى سبیل النجاة الأخریة وینكر

القرابين الدموية ويبالغ في الولوع بالإله ويشدد بأمر العشق والوله به. والمتدينون بهذا الدين كانوا يرون للإله اعتبارات أو تنزلات أربع أعلاها هي المرتبة الاطلاقية البحتة وسموها بباسديوا (Vasudeva) أو نارينا (Narayana) أو هري (Hari) وكان المذهب البهاغوتى فى عصره الأول بمعزل عن تصور السيد كرشنا ثم أقيمت صلته به وجعل باسديوا أو نارينا نفس كرشنا ثم اندمج فى المذهب الوشنوى المتأخر وصار الناس يعتقدون أن كرشنا هو الإله وشنو (Veshnuwa) قد تجسد ونزل لتطهير الأرض من الغواة والطاغية وإهلاك بعض الجبابرة وسنذكر بعض التفاصيل للمذهب وتطوراته الهامة فى مقالتنا التابعة على بهاغود غيتا (Bhagwad Geeta) سفر المذهب البهاغوتى.

أما السيد كرشنا فهو من الشخصيات الهامة البارزة فى مهابهارتا، وكاد أن يكون قطب دائرة الملحمة وبطل الرواية وقد اشتبكت حوله روايات متضاربة وحكايات متباينة قد نجد فى الويدات أناشيد لعارف مسمى بكرشنا. وذكرت مرة كرشنا رئيسا لقبيلة من الاصليين ويذكر الأبنشيد صندوغيا كرشنا تلميذ الغورا (Gaura) العارف وزعم بعض الباحثين أنه كان إلهها صيبا لبعض القبائل البدوية الجافية من السكان الأصلية نسبه بعضهم إلى الكشترية من الآريين. وحقق بعض الباحثين أن عائلة بهرتا التى قد اصطبغت بصبغة كرشنا لم تكن من الآريين وملحمتها ملحمة غير آريوية وصاروا آريين وأصبحت الصبغة الكرشنية صبغة آريوية. وتتقب بعض المستشرقين عن عصر حياته وتشخيص أمره وقالوا إنه كان قبل بوذا بنحو مأتى سنة وكان أبوه باسديوا قد أسس مذهباً توحيدياً أخلاقياً قد بشر به وتبعه الناس وعبدوا باسديوا فى صورة الإله وقد دعا إليه كرشنا ومضت القرون والناس يعبدون باسديوا ويعظمون كرشنا ويوقرون حتى رقى كرشنا نفسه إلى الألوهية بمدى الأعصار وطبيعة البلاد وصار هو نفسه باسديوا الإله فلما غلبت الثقافة الوشنوية عد من تنزلات وشنوا وتجسداته فظل نفسه وشنوا وباسديوا ونارينا وهري. ومهابهارتا تقدمه فى جل صبغاته وتعرضه فى أكثر زياته. وكأنها جمعت جل الحكايات ونظمت أكثر الروايات وأدخلت



جميع ما توارثه الأجيال وتناقله الأعصار ولذا ترى صورة كرشنا فيها مثلا للاضطراب والاختلاط وخلانقه المصورة فيها أنموذجا للتباين والاختلاف. شخصية حاملة لوقائع متعارضة وحوادث متضادة وخصائص متنافرة واعتذرت عنها بألوهيته. والآلهة يفعلون ولا يسئلون لا يعيبهم عيب ولا يشينهم شين هم كالنار لا يدنسها دنس و لا ينجسها نجس طاهرون منزهون أبدا.

ويمتاز عصر مهابهارتا أو عصر البطولة بنشئة التثليث الهندي أو ترى مورتى (Tri Murti) أى الصنم المثلث. برهما الأبنيشدى قد حل محل الخالق ووشنو، و كان من صغر آلهة الويدات، قد بدأ يبرز من العصر البرهمى وظل متراقيا بالتوالى حتى بلغ أقصى درجات الألوهية فى العصر المهابهارتى وأخذ مكانة هامة وتفوض إليه أمر الحفظ والإبقاء ثم اتحد بياسديوا الإله البهاغوتى. وبعد تفلسف الفكر البهاغوتى وارتقاء ياسديوا إلى نارينا (Narayana) أكبر آلهة مهابهارتا من ناحية التكوين اتحد نارينا برشناوا ثم تنزل إلى الناسوت متجسدا فى صورة كرشنا وعلقت به تصورات العشق والوله أو بهغتى (Bhagti) فهذا هو الأقوم الثانى من التثليث الهندي وتجسداته ذائعة فى الدين الهندوسى. ولما كان الحفظ والإبقاء مفوضين إليه حبيب إلى الناس يرجون خيره ويأملون فيه. والأقوم الثالث هو شيوا أو ردىرا الإله الويدى وهو الذى يفنى ويهلك وهو إله يهاب منه. وميزته أنه إذا أبعث أوقف بالأدعية وأرضى بالأناشيد واسترحم بالمحامد أفاض بالخيرات الجمة لا يمك فضلا ولا يقبض يدا فيخاف شخصه ويرجى فضله وهو مهاديوا (Maha Deva) أو المعطى الأعظم فعلا صوته وطار صيته. وفى بادى الأمر كان هو الموضوع للوله والعشق ثم تحولا عنه إلى وشنوا أو كرشنا: تنزله الجسدى وقد برز من هذا الثالوث اثنان شيوا و وشنوا أما برهما أو الاقوم الثالث منه فأخذته الغفوة واستمرت إلى الآن وتضالبت الآلهة الباقية وذهب نضارهم وخدمت شهرتهم فكان شيوا و وشنوا هما الإلهان لا غير و الآلهة الثلاثة كأنهم وجهات ثلاث لحقيقة واحدة وكادت أن تكون هى الإله الحق بالاطلاق وهى إيشور (Ishwara) وهو إله مشخص جامع لجميع الوجهات

وموصوف بجميع صفات الكمال من الإحيا والحفظ والإماتة والإعطاء والإمساك وهو برهما الأبنيشدى قد تعين وتشخص.

## الأفكار الأساسية:

ولا يتيسر استلال فكرة أساسية من مهابهارتا تقوم عليها بنيان فلسفتها. فقد جمعت نظماً شتى وأفكاراً جمة صلتها ضئيلة ورابطتها ضعيفة قد وفقت بينها فما أحسنت توفيقاً وتطبيقاً. قد شرحت لفظة واحدة بتشريحات عديدة وفسر كلام واحد بتفسيرات كثيرة. فكلما زيد الإستقصاء والتأمل زيد التشوش والتحير.

أما تأثير الأعمال في الحياة الشخصية وتجسدها وإحاطتها بالجواهر الإنساني وتكرير الموالد في أجساد ملائمة لسالفة الأعمال ثم النجاة مما قد اتفق عيه الفكر الهندوسى ومهابهارتا بالآلهة الكثيرة المختلفة أعمالاً وأشغالا المتفاوتة قوة وقدرة، بارز بعضهم وحامل بعضهم حسب ملائمتهم لروح العصر. ثم اندمج الكل في إله واحد رب الكون وإله الآلهة الخالق المبقى المبنى، وقد تجلب عنه جميع الصفات الإيجابية وتنزع عنه كل الشخصيات وتجعله أصل الكون، وقد تزعمه ساريا فيه ثم تظنه عالياً عنه وقد توزع الأصل في جوهرين الروح والمادة. وتجعل الأعمال الصالحة وصلة للفوز في الحياة الأولى والأخرى فتحض عليها وتندز عن أغفالتها وتتهى عن الفواحش والمنكرات. وللعلم الصحيح بالكون وتكونه وبالمكون وتكوينه قيمة جليظة عند مهابهارتا بل عست أن تزيد على قيمة الأعمال والرياضات، وكان العلم هو الباعث عليهما وهو الغاية المطلوبة بهما وأمر النجاة أنما يرجع إليه.

## بروز الكون وكمونه:

للكون عهدان: عهد البروز وعهد الكمون. عهد البروز يقال له كلفا (Kalpa) وعهد الكمون يسمونه فرلى (Parlay). فى عهد كلفا تتهج القوى الكونية ويبدو الكون ويمضى أحقاباً تتجاوز مأت قرون وآلافها حتى ينتهى العهد

وتخدم القوى وتفنى الحياة وتعدم العوالم الثلاثة من العالم الأرضى والمائى والسماوى ويبدو فرلى ويستمر مقدار كلفا سواء بسواء فاذا بلغ النهاية يبتدأ الأول ويتسلسلان من غير بداية ولا إلى نهاية. ومهابهارتا قسمت كلفا إلى أربعة أعصر أو يغات (Yugas) عصر الكمال أو كريتايغ (Kireta yoga) وهو عصر الخير الكامل. وعصر الثلاثة أو تريتايغ (Treta yuga) وهو عصر ثلاثة أرباعه خير وربعه شر. وعصر الاثنتين أو دوا فريغ (Dwa Para yuga) وهو عصر الخير والشرفيه شطران. وعصر السواد أو كالى يغ (Kali yuga) وهو عصر الخير فيه ربع والشر ثلاثة أرباع. وقد ضرب للأعصر الثلاثة مثلا من الثور فى ونافروا:

"مثل الخير عند الناس كمثل الثور له قوائم أربع بتمامها وكمالها وفى عصر الثلاثة كأن الشر قد سلب عنه أحد تلك القوائم وبقي الخير بثلاث قوائم. والشر والخير سواء بسواء فى عصر الاثنتين فيقال إنه قد بقي الخير بقائمتين. ويصير الخير عندهم فى عصر السواد مشوبا بثلاثة أرباع الشر فيقال عنه إنه قد بقي الخير بقائمة واحدة"

٤

أما مدى هذه الأعصر فمها بهارتا مضطربة فيها بذكر بهيئما فتاماليد شترا قول وششتا (Vashishtha) البرهمى عن مداها فى شانتي فروا:

"اثنا عشر ألفا من السنين تساوى يغا واحدا وأربع آلاف من اليغات تساوى كلفا واحدا وهو نهار برهما وليلته مثل هذا"

و فى ونافروا يحددها ماركنديا (Markandia) البرهمى مجيبا ليذشتر:  
"أربع آلاف من السنين تساوى كريتايغ" ويقولون إن مقدار صبحه أربع مآت

سنين ومسائه وكذلك وتريتايغ ثلاث آلاف سنة. ويقولون إن صبحه ثلاث مات سنين ومسائه كذلك، واليغ الذى يتبعه يقال له دوافر، وقدر بالفى سنة. ويقولون إن صبحه مأتان ومسائه كذلك، واليغ الذى يليه يدعى ب "كالى" ومقداره ألف سنة. ويقولون إن صبحه مائة سنة ومسائه كذلك، فاذا انتهى كالى يعود كريتاً مرة أخرى وتسع هذه الدورات اثنى عشر ألفاً من السنين والألف الكامل من الدورات هو نهار برهما ويتبعه ليلته. والنهار عصر يستيقظ فيه برهما أو الخالق ويبدء الخلق فتستعد القوى الكونية للفعل والانفعال ويبرز العالم بكل قضة وقضيضه ويستمر بصلاحه وفساده حتى ينقضى كلفاً بدوراته الثلاث، فاذا جاء الأجل حانت ليلة برهما فينام فيها ويخمد القوى الحيوية ويطوى الكون باجمعها آله وشياطينه، وتنتشر أرضه وسمائه وتكمن العوالم الثلاثة وتندم فلا يبقى من باقية ويغشى الظلمة كل شىء. "أيها العارف النبيل أنا النفس الكونى قد أصبح أنام حقبة مقدارها أربع يغات ألف مرة غاشيا جميع الكون أخذا بحواسهم". ويتعاقب الليل والنهار دائما أبدا وتكون العوالم الثلاثة وتفسد. يقول ماركنديا ليذشترا:

"أيها الإله بين الناس سينطوى هذا الكون بأجمعه ويذهب إلى خالقه موطنه الأصلي، والعرفاء يدعون هذا الذهاب بكل شىء "قرلى" أو الفناء الكامل".

ثم يقول:

"وياخير الملوك ويا أيها البارز بين الناس بعد فناء الكون يعود جميع هذا الخلق العجيب مرة أخرى".

## أصل الكون:

قد اضطربت مهابهارتا فى تعليل الكون وتوجيه أصله الأول وذكرت توجيهات شتى متماثلة ومتخالفة قد عدّها العلامى الوزير أبو الفضل فى مقدمته

على التلخيص الفارسي لمهابهارتا ثلاث عشرة توجيهها، ولعل العلامى قد بالغ فى أمر الاختلاف وأحصى التفاصيل المختلفة حزبا وعدما اختلافات التوجيه وأفلتت عنه جهات وحدتها. ومرجع هذا الاختلاف الكثير لا يتعدى عن ثلاثة توجيهات: أصل الكون هو برهمن أو النفس، الروح والمادة هما وجهتاها. والكون خرج من النفس بعدما ظهر الأوصاف فيه ونفس هذه الأوصاف هى العناصر للكون. ومرة قالت إن برهمن قد خلق برهما أو خالق الكائنات، قد استلم من البيضة الذهبية وهى المادة لجميع الخلق. والثوية السانخية فاشية فى أكثر التوجيهات فالكون غير فروشا (Purusha) أو الروح العالمى. ونذكر بعض التفصيلات للتوجيهات الهامة ونشير إلى أهم الاختلافات.

العلة الأولى للكون فى سنخ ذاتها وأصل جوهرها متعالية عن التشكل والتغير، مطهرة عن الحلول والسريان، مقدسة عن التشابه والتجانس، لا تدرك ولا تتعقل، أزلية أبدية، قائم بنفسها لنفسها، مكشوفة لذاتها بذاتها، لا تكررها الأوصاف والألقاب و لا تدنسها الألفاظ والعبارات، هى إبهام بحث وإطلاق صرف وكأنها هى برهمن الابنيشدى الخالى عن الصفات الإيجابية، العارى عن الأوصاف السلبية، ومجهول الكنه، العريق فى الإبهام والغموض، الأصيل فى الوجود والوجوب. وتزعم مهابهارتا مدة "قرلى" وتعبر مهابهارتا عن مثل هذا التجرد و الإبهام بنوم برهما أو القوة التكوينية فينام برهما والكون محفوف بظلمة العدم حتى يطلع كلفا بيغاتها ويستيقظ برهما وتتجلى الجوهرة الكامنة وتنشق القوة الكونية وتشتعل قبسة الحياة وتتصف الذات بالأوصاف وتتلقب بالألقاب فتخلق الكون. قيل إنها تسرى فيه وتغله وتتحد معه فتتشكل بتشكلاته وتتحول بتحولاته وتتسم بسماته حتى تفنى بفنائه. وهذه المتغيرة المتقبلة فانية وتلك المطلقة المبهمة باقية. يقول بهيشما ليدشترنا ناقلا ما أوضحه وششتا البرهمى للملك كراالا عن الكون وما يغنى فيه وما لا يفنى:

"لما يفنى براهمنا بنفسه (حين فرلى) يستيقظ شمبهوا (Shimbhuwa) أو المعظم، الروح المصور ذو القوى اليوغية (Yogi) أو المعجزة من انيمن (Animan) أو اللطافة ولغيمن (Laghiman) أو الدقة وغيرهما بنفسه (من غير اكتساب) ويخلق مرة أخرى أول المخلوقات وأقدمها ذا جثمان ضخم وأعمال غير محدودة محلى بالصورة متحدًا بالكون وشمبهوا ذلك يقال له من جهة أخرى ايشانا (Ishana) أو المالك وهو النور الصرف المتعالى من الانحطاط والتغير يدها ورجلاه في الجوانب كلها عيناه ورأسه وفوه إلى الجهات بأجمعها وأذناه إلى كل صوب هو شاغل بالكون أجمعه.

ثم عد خصائص هذا المخلوق الأول وذكر أهم ألقابه التي لقبه بها عرفاء المذاهب المعروفة فقال:

"وهذا المقدس هو الذى عبر عنه فى ويدانتا (Vedanta) أو المذهب الويدى الأبنيشدى بالعقل و فى الكتابات اليوغية بالأكبر والخالق والغير المولد، ولقبته السانخية بألقاب شتى وهو غير محدود بحسب روحه وهو واحد وهو غير فان لصوره المختلفة ولكونه روحا للكون. والعوالم الثلاثة المحتوية على عناصر غير متناهية قد خلقت به من غير استعانة من أحد وهى مشغولة به. لصوره الكثيرة يقال له وشور وفا (Vishvarupa) أو المتصور بصور عالمية ويخلق نفسه بنفسه بقبوله التغيرات والتقلبات. وهو ذو قوة عظيمة"

ثم عد سائر المقولات أو الأجناس العالية للعالم وكيف تكونت حتى أتمها أربعة وعشرين مقولة وسنذكرها فى موضعها إلى أن قال:



"والعالى على أربعة وعشرين مقولة عد ذكرت، هو الخامس والعشرون ويقال له وشنوا أو المطهر فوشنو هذا عند تجرده من الصفات ليس بمقولة وقد دعاه العرفاء بالمقولة لسريانه فى المقولات كلها..... وهذا الخامس والعشرون وهو الذى يقال له وشنو غير مصور فلا يقال عنه أنه برأس العالم..... أما الأول الغير الفانى و إن هو فى جوهره عار من الصفات خال من الصور يقبل الصور باتحاده بفراكتى أو المادة التى هى الموصوفة بأوصاف المولد والموت فيقبل المولد والموت. وللاتحاد نفسه يصير موضوعا للادراك و إن هو عار عن الأوصاف كلها ويتصف بها".

وفىها أن أصل الكون وعلته الأولى أمر شخصى موجود أزلا و أبدا من غير تغير وتقلب وهو الذى يحيى ويميت، ومجهول الكنه، مستور الحقيقة، كامن فى جوف أعماق الوجود، مشرق فى ظلمات العدم، عال على الكون، متعال عن الشعور، وهو الذى قد خلق المهت (Mahat) أو الكبير وكأنها قد أرادت بالكبير هرنيا جربها أو البيضة الذهبية الكبيرة المذكورة فى الويدات، وقد تقدم ذكرها منا. وخلق من المهت الشعور أو الذات الشاعرة وكاد أن يكون برهما، وأخرجه من الزهر الإلهى كنولا (Kanwala) أو النيلوفر الأحمر وبرهما هو الذى خلق الخلق يقول بهيشما نقلما عما قاله بهيروغى (Bherugi) لبهاردواجا (Bhardwaja):

"وهنا وجود أول يعرفه كبار العرفاء باسم منوشا (Manusha) أى الشخص أو النفس وهذا الوجود الأول أبدي من غير ابتداء ازلى من غير انتهاء تنبو عليه الأسلحة لا يفنى و لا يزال ويقال عن الغير الظاهر وهو دائم لا يتغير ولا يفنى

يبدع الخلق ويفنيه. قد خلق بادى بدا الوجود الإلهى: مهت  
وخلق المهت الشعور. قد خلق منوشا المبدع بنفسه الزهر  
الإلهى المسمى بكنولا وكان حاملا للقوة فخرج منه براهمنا:  
بحر العلوم والقوة. ويقول الشروطى أو الكتاب المقدس إن هذا  
الوجود الإلهى ماخرج إلا أن قال "أنا هو" فدعى الشعور وقد  
خلق الأشياء كلها جسدا له .... لا يدرك كنهه (أى كنه الوجود  
الأول) ولا يتصور جوهرة"

وقد يوجه الكون أصلين قديمين يقال كل منهما الآخر ليست بداية ولا  
نهاية لا يماثلهما شىء ولا يجانسهما أحد. الأصل الأول يسمونه فروشا  
(Prusha) أو النفس أو الروح والآخر يعبرونه بفراكرتى (Parakarti) أو  
المادة وقد غلب التوجيه على سائر التوجيهات فكاد أن يكون هو مذهب مهابهارتا  
فى تحليل الكون. وذكر فى شانتى فروا:

"فروشا وفراكرتى ليست لهما بدايه ولا نهاية ولا يجانسهما  
شىء فيعلمان به وهما لا يفنيان وكل منهما أكبر من كل كبير".

وفصل التوجيه مرة بأن الخلق والإبداع من خصائص فواكرتى وأما  
فروشا فهو الناصر ليس إلا... و أخرى بأن فروشا إنما يحرك العناصر ويعدها  
للفعل والانفعال فتفاعل فيتكون الكون ثم شرحت بأن الفاعل إنما هو فراكرتى أما  
فروشا فلا يقبل شيئا وربما يخال أنه هو الفاعل وما هو إلا اغترار. وقد يعتقد أن  
الإبداع و الإفناء وإن كانا فعلين لفراكرتى بالمباشرة ولكنهما ينبعثان من فروشا  
وهو الذى يقدر نفسه فيه من حين إلى حين فكأنه السبب الغير المباشر لجميع  
تقلباته وتحولاته.

والمشهور من مذهب مهابهارتا أن فروشا عزل منزه عن الفعل والعمل  
فلا يكسب شرا ولا يعمل خيرا فلا يثاب ولا يعاقب ولا يتقلب ولا يتغير، والفعل

من فراكرتى هو الذى يتغير ويتقلب وهو يقولون إن لفراكرتى ثلاث خصائص جوهرية أو غنات (Gunas) وهى ستوا (Satua) أو النور والخير والصفو، ورجس (Rajus) أو الكدره والعاطفة والحركة وتمس (Tamas) أو الظلمة والجهل والتقل وهذه الخصائص الثلاث إنما هى أجزاء جوهرية للكون عندهم وهى الباعثة حقيقة للتقلب والتحول الناشئان فى فراكرتى فاذا تعادلت وتحركت باعتنافه فروشا يكون الكون. أما فراكرتى فى محوضته من دون اعتبار هذه الخصائص فلا يتعلق به أمر التكوين والتحويل وكأنه بمحوضته وصرافته مادة قابلة، والعلة الفاعلة إنما هى هذه الخصائص "فراكرتى بخصائصه الثلاث مشغول بأمر الخلق والتكوين.... وأما فروشا فهو ناظر محض للتغيرات الناشئة فى فراكرتى. وفروشا نفسه متعال عن الخصائص كلها."

ويقدرّون للخصائص أو الغنات قيمتين كونية وأخلاقية فظواهرها الكونية هى الكائنات وتحولاتها الطبيعية، وظواهرها الأخلاقية هى الأعمال الشخصية والميول النفسية. ويقولون إن الأعصر الأربعة من كريتيا وتريتيا ودوافر وكالى والعوالم الثلاثة من الأعلى والأوسط والأسفل إنما هى من آثار سيطرة بعض هذه الخصائص على البعض فستوا يمثل عن الخير وتمس عن الشر وأما راجس فكانه وسط بينهما.

## المقولات العالية:

قد بحثت مهابهارتا عن المقولات العالية أو التتوات للكون وقلدت السانخية فى عد العناصر والملكات الحسية منها وتوزيع الآلات للعلم والعمل. أما المقولات الابتدائية فهى مضطربة فى تحديدها وتسميتها وتعدادها وكادت أن تكون سانخية بجوهرها ومدلولها. ويرجع الاختلاف إلى التوفيق والتطبيق بين المذاهب، والتاويل يسير. وقد زالت تصور الإله. وفصلت فى شانتى فروا وكادت أن تكون خمسا وعشرين والإله هو السادس والعشرون وهو غير داخل فى المقولات عال عليها خالق لها.

شمبها أو ايشانا هو الروح الغير المصور ذو القوة المتعالى عن الانحطاط والتغير، الموجود في كل مكان السميع، البصير، العليم، النور الصرف وهو الذي لايزال يبدأ الخلق حين يستيقظ ثم يقبضه حين ينام قد بدأ الخفق بانشاء هرنيا جربها وقد ذكرنا أوصافه ويعبر عنه بالعلم أو بدهي (Buddhi) والكبير أو مهت والنفس أو براهما. ومهابهارتا قد اطلقت عليه فرجافتي (Prajapati) أو مالك الخلق أيضا وكأنه مرتبة العين والتشخص قد تنزل من أصل كوني هو في محوضة الاطلاق وصرافة الإبهام يسمونه باويكتا (Auyakta) أو المجهول وبراهمنا أو النفس واكشرا (Akshara) أو لحرف وإنما المقولة الأولى عندهم هو هذا وكأنه اعتبار عقلي قد جردوه من هرنيا جربها، وأما هرنيا جربها فهو مقولة ثانية ترتيباً قد تنزلت من الأولى بالتعين والتقرر وقد جعلته مهابهارتا أول الموجودات وأقدمها وإن كان بالحقيقة في المحل المتأخر من أويكتا أو المجهول ولعل الوجه أن اويكتا لإبهامه وكمونه وإطلاقه وغموضه مستور غير ظاهر فما لم يتعين بذاته ويتميز بنفسه ويتقرر بجوهره ليتعلق به العلم والإدراك لا يصح اتصافه بالخلق أو الوجود ولا يصح مادة للكون. تقول مهابهارتا"

"ويخلق (أي هرنيا جربها أو مهت) مخلوق من عدم الظهور  
(أو اويكتا أو المجهول) والعرفاء يطلقون على هذا الخلق خلق  
العلم"

والمقولة الثالثة هي انكار (Ahankara) أو المعروض الشاعر أو أنا الكوني وقد برز من هرنيا جربها بقبوله أوصافا ليست لها حقيقة وتلقبه بألقاب هو برىء عنها فيذعن هو نفسه أنه يفعل وهو لا يفعل حقيقة، والكل اغترار والتباس قد أنشأهما الجهل وقد اطلقت عليه ماهان (Mahan) أو العظيم أيضاً (خلق ماهان أو الشعور الكوني أو انكارا من هرنيا جربها وهو خلق الجهل. انتساب الأوصاف وانتزاعها، يقال لهما من العرفاء في تفسير شروطي أو الكتب

المقدسة مرتباً، الجهل والعلم) من انكارا تتبعث العناصر اللطيفة أو تن ماترا (Tan matra) وهى خمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، ويريدون بها الكيفيات المحسوسة بالحواس الخمس من الصوت واللون أو الشكل والرائحة والطعم والحرارة والبرودة الموجودة فى الموضوعات الحسية عندهم وهى جواهر لطيفة مادية عندهم وكل منهما مقولة بالاستقلال فيبلغ عدد المقولات إلى الثمانية وهى أنواع لفراكتى، والمقولات الباقية سوى مقولة فروشا إنما هى تغيرات وتحولت لها "اعلم أيها الملك: أن خلق العناصر الكبيرة (اللطيفة) من انكارا وهو الثالث فى أقسام الشعور أو أنكارا" وتتبعها المقولات الخمس للعناصر الكبيرة أو مهابوتا (Mahabhuta) من الهواء والنور (وفى ونا فروا النار بدل النور والأمر سهل) والخلاء والماء والأرض بخصائصها من الصوت والكيفيات الملموسة والشكل والطعم والرائحة. تقول مهابارتا:

"وجميع هذه العشرة قد بدأت فى وقت واحد من دون شك"

وفى ونا فروا:

"الصوت والملموسية والشكل والرائحة والطعم هذه الخصائص الخمس مختصة بالأرض. والصوت والملموسية والشكل والطعم قد ذكر لك أيها البرهمى! الجافى كونها خصائص للماء والصوت والملموسية والشكل هى الخصائص الثلاث للنار. وللهواء الخصيصتان الصوت والملموسية. والصوت إنما هى خصيصة للخلاء. هذه خمس عشر خصيصة حالة فى العناصر الخمسة. أيها البرهمى! وهى قد توجد فى جميع المواد التى يتركب منها هذا الكون. ولا تضاد بينهما بل هى، أيها البرهمى! إنما توجد بالتركيب المتناسب"

وتنشأ من العناصر بالتركيب والترتيب المتناسبين أعضاء العلم أو بذى اندريا (Buddhi Indrya) أعضاء العمل أو كرما اندريا (Karma Indrya) وكل منهما خمسة. الأذنان والعينان واللسان والأنف والجلد أعضاء العلم. واليدين والرجلان والفم والمبرز وآلات التناسل أعضاء العمل وكل من هذه العشرة مقولة عالية عندهم والذهن أو منا (Mana) الذى هو كالرئيس للنظام العلمى والعملية مقولة برأسه وتمت عليه أربع وعشرون مقولات لفراكرتى "والخلق الخامس أيها الملك! هو الذى قد نشأ من تركيب العناصر الأولى ويشتمل على الأذنين والجلد والعينين واللسان- والأنف يخصصها- وعلى الفم واليدين والرجلين والمبرز وآلات التناسل. الخمس الأول أعضاء العلم ولآخر أعضاء العمل. جميع هذه مع الذهر قد نشأ فى وقت واحد وهذه أربع وعشرون مقولات موجودة فى جميع المخلوقات الحية" المقولة الخامسة والعشرون هى وشنو وكأنها أرادت بوشنوا فروشا السانخى فقد وصفته بأوصاف تصف السانخية فروشاها جعلته عاريا عن الصفات خاليا عن الصور ساريا فى جميع المقولات قالت:

"إنه يغشاه الجهل فيشعر بالنفس ويعتقد أنه نفسه فراكرتى أو الأصل المتقلب المتغير المتولد والممات وهو الذى تلعب به الخصائص الثلاث من ستوا ورجس وتمس والكل بهتان عليه."

قد فصل مراتب المخلوقات الأولى وأسمائها العارف البرهمى بهيروغى للملك بهاردواج فى شانتى فروا واستعار للوجود الأول الكامل فى سرادق ذاته الدائم من غير تغير وتبدل إسم منوشا وقال بانه قد خلق أولا الزهر الإلهى كنولا وكأنه أراد بالزهر هرنيا جربها فى مرتبة او يكتا وخرج منها براهمنا وكاد أن يكون براهمنا هذا هو المهت أو هرنيا جربها المتعين بتعيينه العلمى أو بذى وقد انبعث فيه الشعور النفسى أو انكارا فعلق العناصر الكبيرة. قد خلق الخلاء ونشأ

من الخلاء الماء وبدأ من الماء النار والهواء وتركبت منهما الأرض. فقد ترك من أنواع فراكتى العناصر اللطيفة وعوض عنها من تحولاته العناصر الكثيفة. وقد ذكر ماركنديا البرهمى المعمر ليدشترا ما قاله العارف الصياد فى شرح الفلسفة الإلهية فى ونافروا:

"جميع الكون الغير المفتوح بكل مكان الوافر بعناصره الكبيرة هو برهما وليس شىء أكبر منه والأرض والهواء والماء والخلاء هى العناصر الكبيرة والشكل والرائحة والصوت والملموسية والطعم هى خصائصها المختصة. ولها خصائص أيضا يلزم كل منهما الآخر وهى مختصة بالخصائص الثلاث بواحد. واحد منها حسب مكانتها فى التقدم والخصيصة السادسة هى الشعور الذى يقال له الذهن والسابعة العقل ويتبعه "أنا" ثم الأعضاء الخمس ثم النفس ثم الخصائص الأخلاقية المدعوة بستوا ورجس وتمس. وهذه السبع عشر يقال لها الخصائص المجهولة أو الغير المتصورة".

قد ابتداء ببرهما ثم عد العناصر الخمس الكبيرة وترك اللطيفة من حيث العناصر الأصلية المتقدمة على الكبيرة وقصرها على كونها خصائص للكبيرة وسدس الخصائص بالشعور ودعاه بمنا أو الذهن وهو عضو عندهم وزاد العقل ورتب عليه "أنا" أو اهنكارا واتبعه أعضاء الحس وأضاف النفس أو الروح وكأنه أراد به النفس الشخصى وختم الحقائق الكونية بالخصائص الثلاث أو ترى غنيا (Triguniya) عوامل أخلاقية وقال عن فروشا:

"أنه هو الذى يفعل بمباشرة الجسد..... وهو من اسنى مقبوضات الخلق وجوهره من الروح الأعلى ونعظمه وهو



أصل حيوى فى الخلق كله وهو دائم كبير وهو العقل هو "أنا"  
وهو المحل النفسى لانواع الخصائص للعناصر كلها".

وقال:

"اعلم أن ستوا ورجس وتمس هى أوصاف الحياة والحياة  
وصف للروح وهى أيضا وصف للروح الأعلى. المادة الجامدة  
العارية عن الشعور هى المحل للأصل الحيوى وهو الفاعل فى  
جوهره والمهيج للفعل فى غيره. وأصحاب البصيرة "الأعلى".  
الروح الأزلى لا يبدى نفسه فى هذه العناصر بل يشعره الذين  
قد تخصصوا بعلم الروح بقولهم العالية الحديدة".

وقد ربط صلة فروشا بالأهوية بل الغازات الخمسة المعروفة بيسر

السانخين فقال:

"استناده فى جميع روابطه الداخلية والخارجية إلى هواء سماوى  
مدعو بفرنا (Prana) أو النفس الحيوى ثم يفعل هواء آخر  
مدعوا بسامانا (Samana) والهواء الهاضم و به يأخذ كل  
شئ سبيله وقد ينقلب هذا الهواء بنفسه إلى هواء آخر افانا  
(Apana) المستقر بأعلى المعدة يحمل فضول البدن من البول  
والبراز الى الكبد والمعى المستقيم وهو الذى يبعث العناصر  
الثلاث من السعى والجهد والقوة وحينئذ يسميه العرفاء اودانا  
(Udana) والهواء نفسه مستقرا باوصال الهيكل الإنسانى  
يدعى بويانا (Vyana) وكادت أن تكون هذه الأهوية الخمسة  
قوى جسمانية يهيجها فروشا لصنوف الوظائف الواجبة للبقاء  
الشخصى".

## الإله المما بهارتى:

قدمت مهابهارتا على رغم السانخية المتأخرة ستة وعشرين أصولا كونية خمسة وعشرين منها مبدعة و واحد منها غير مبدع وهو الذى قد أبدع الكل وكادت السانخية أن تكون قائمة فى عهدنا الأول بالمبدع ثم رفضته كما أسلفنا وتطرفت العقيدة فى مهابهارتا فشرحتها أصلا جامعا كونيا وفقت به بين المذاهب المتخالفة المنبثة بأقطار الهند وطبقت به بين أفكار متباعدة لبيئات متميزة وثقافات متنازعة وربطت به بين فرق متزاحمة ونحل متعارضة ووضعت الأصل فى محوضة إبهامه وصرافة إطلاقه فتكثرت وجهاته وتوفرت تعييناته وأدمج بصنوف وجهاته وأنواع تعييناته التصورات الإلهية للويدات والابنيسدات وأدرج الأفكار الكونية البرهمية وأدخل الأوهام الخرافية للنحل القديمة ويرجع جل ما قالته فى شرحه إلى اتحاد الكائنات بالكون وتوحيد الوجود بين المقولات المتباينة وإنما التميز بالاعتبارات والتعبيرات وللتصور وراء جلالته الفكرية قيمة ثقافية فى تصوير الشعوب شعبا واحدا وجعلها مجتمعا هندوسيا وحدانيا.

قد استقصى ماركنديا البرهمى من شئون الإله المهابهارتى وتنزلاته فى خطاب بسيط ألقاه على بذشترا من ونافروا فقال ماتلخيصه:

"إنه لما اقتربت الساعة واطلقت أعمار الناس تنقص وبدأت قواهم تنحط وصاروا يهلكون بالمجاعة أفواجا وأفذاذا وبدت فى السماء سبع شسوس قد ذهبت بفيح حرها جميع ما فى الأرض، بحارها وأنهارها آبارها وعيونها، فاجدبت الأرض ثم ظهرت نار عظيمة قد غشيت الكون فاحرقت كل شىء ثم تراكمت السحب واحلوك السماء مطر وتتابع الماء هطلا مدرارا لعشرين سنة كاملة فأخمد النار وقد ملئت الأرض ماء فغمر أغوارها ونجودها وأوديتها وجبالها وتلاشى الجن والإنس وهلك

الآلهة والشياطين وفنى النجوم والأشجار وقضى الأمر وتمت  
الكلمة (١).

(١) مهابهارتا مضطربة فى توجيه انتهاء اليفات بهلاك الخلق وعوده مرة أخرى فقد سبقت فى الكتاب نفسه من ماركنديا هذا رواية مسماة "باسطورة السمكة" وذكر فيها أنه قد كان عارف كبير مسمى بمنو (Manu) وكان مثل برهما قوة وكرامة لرياضاته الشاقة الصعبة، وكان فى بعض الأيام على شاطئ نهر شيرينى (Chirini) مشتغلا برياضاته فاذا بسمكة صغيرة قد أخرجت رأسها من الماء وخاطبته قائلة إنى مخذولة لا ناصر لى وأخاف أن تأكلنى أسماك كبيرة فأعنى وأجرنى فرحمها و أخرجها بيده وأواها فى إناء من طين فصارت تتكبر يوما فيوما فما وسعها الإناء وطلبت مكانا أوسع فاجابها وألقاها فى غدير واستمرت تتضخم حتى ضاق عنها الغدير فسنلته مكانا أوسع وأشارت إلى نهر جنجا (Ganga) فحملها إليه واسكنها فيه و مازالت تتعظم حتى ضاق عنها النهر والتمست مكانا أوسع و أشارت إلى البحر فقضى ملتمسها وألقاها فيه فلما حلت به وأطمئن بها المنزل قالت له ضاحكة مستبشرة أيها العارف إنك تفضلت على وأكرمت مثنواى فاستمع ما أقول إن الكون قد قرب حينه و جاء أجله المتاح له و حان موعد كل شىء من الجماد والنبات والحيوان وقد أوشك أن ياخذهم الروح الاكبر فاصنع سفينة ضخمة محكمة وأعد لها حبالا طويلا و اركب فيها أنت والعرفاء السبعة واحمل فيها حبوبا قد عدها سادة البراهمة منذ قديم الأيام وضعها مفترقة بتنبه كامل وانتظرنى فسوف أتيك وعلى رأسى قرنان فاعرفنى بهما وهذا فراق بينى وبينك و افعل كما أمرتك فانك لا تعصم نفسك من ذلك الطوفان العظيم الابعونى قال منو يا أيها الكبير ! صدقت و لا ارتاب فيما قلت وافعل كما أمرت فافترقا هاديا مهديا. وجمع منو الحبوب وركب السفينة وقد غطى الماء وتأمل فى أمر السمكة فاستشعرت ما فى قلبه وطلعت عليه وعلى رأسه قرنان ورأها كأنها جبل يشق الماء شقا فاسرع يخفض حبال السفينة وربطها برأسها فظلت تقودها وقد غشى الماء كل نجد و غور و اغرق كل شىء ولا يرى فيه إلا منو والعرفاء السبعة والسمكة واستمرت تقودها سنوات حتى أقلتها على أرفع قلل الجبل هيئات

فاذا بشجرة من موز يطفو على الماء عليه عرش إلهي عليه  
 غلام جميل الوجه فدهشت وقد أخذتني الهيبة فقال لي الغلام  
 إنى أراك عيا قد فقدت القرار والراحة فادخل في تجدهما وفتح  
 فاه فدخلت فيه فاذا جميع الكون فيه، أرضه وسمائه وجباله  
 ومياهه ونباته وحيوانه وآلهته وشياطينه من الجنة والناس كل  
 يعمل على شاكلته وظلت أجول فيه وقد أرى كل شيء متحيراً  
 دهشان ومضت القرون وإذا قد دفعتني هبة من ريح فخرجت  
 من فيه وأنا قائم بين يديه تعباً فزعان فخاطبني بخطاب قد  
 اذهب عني ماكنت أجد من التعب والفرع ورجعت سكينتي  
 وعادت طمانينتي وعلمت ما كنت لا أعلم وإنشرح لي صدري  
 وانكشف عني اغتراري فأثيت عليه وشكرت له وسئلته عنه  
 وعما رأيت فأكرمني بالإجابة وقال في العصور السالفة قد  
 سميت المياه باسم نارا (Nara) وكان الماء موطنى أو إيانا  
 (Ayana) فسميت نارائنا. ياخير الأشراف أنا نارائنا متبع  
 الأشياء كلها، دائم غير متغير أنا الذى قد خلق كل شيء وأنا  
 مغنيه أنا وشنوا (Vishnva) أنا براهما أنا شكرا (Cakra)

(Himanat) وأمرت ركبائها بربطها بالقلعة فربطوها بها وتعرف إلى الآن بناوا بندنا  
 (Naubandhana) أو مربط السفينة ولما اطمئن بهم المرسى قالت لهم إنى أنا  
 برهما ! مالك الخلق كله. ليس شيء أكبر منى وقد أنجيتكم من هذا البلاء العظيم فى  
 صورة السمكة ومنو هذا يعيد الخلق بأجمعه من الآلهة والشياطين والناس بصنوف  
 طبقاتهم ومن الحيوان والجماد و ينال القوة بالرياضات الشاقة والاغترار لا يأتيه  
 بتوفيقى. ثم غابت السمكة.

ومنو قد وجد من نفسه انبعاثاً للخلق فاخذه الاغترار فاشتغل بالرياضات  
 الصعبة لينال القوة ويقهر الاغترار ثم خلق الخلق وأعاد الكل بترتيب ملائم و نظم قيم.

رئيس الآلهة وأنا الملك ويشراونا (Vaicravana) وأنا ياما  
 (Yama) مالك الأرواح المقبوضة وأنا شيوا وأنا سوما  
 (Soma) وأنا كيشافا (Kacyapa) مالك الخلق - وياخير  
 الأشراف إنى أنا الذى يقال له دهاترى (Dhatri) وأنا الذى يقال  
 له ويدهاترى (Vidhatri) والقربان المتجسد أنار النار فمى  
 والأرض قدمائى والشمس والقمر عينائى والجنة إكليل رأسى  
 والسماء والجهات الأربع أذنائى والبحار من عرقى والخلاء  
 بجهاتها الأربع جسدى والهواء فى صدرى. وقد قدمت مات من  
 قرابين مسرفة. أنا الذى يشهد قرابين الآلهة من غير فترة.  
 والذين يعلمون الويدات ويتولون أمرها إنما يعرضون تقديماتهم  
 لى..... وأنا الذى يحمل هذه الأرض المحدودة بالبحار الأربع  
 والمحلاة بميرو (Meru) ومندرا (Mandara) الجبلين فى  
 صورة شيشا (Shesha) أو الحية ذات ألف رأس. أيها النبيل!  
 أنا الذى فى صورة الخنزير قد أخرج الأرض المنخسفة فى  
 الماء فى سالف الزمان. يا خير البراهما! أنا الذى يشرب البحار  
 فى صورة نار البركان ثم يعيدها مرة أخرى. وبقوتى تخرج  
 البراهمة من فمى والكشترية من ذراعى والويشية من فخذى  
 والشوردة من قدمى. ومنى قد خرج ريغ ويدا ويجرويدا وأثروا  
 ويدا و إذا جاء الأجل تدخن فى ..... و أنا اللهيب المدعو  
 بسموارتكا (Samuartaka) وأنا المدعو باسم الريح وأنا  
 المراد باسم الشمس وأنا الملقب بالنار..... يا خير الناس ! إن  
 الشهوة والغضب والسرور والخوف هى الصور المختلفة  
 لى..... ومايناله الناس بالصدق والصدقة والرياضة.....  
 فلحكمى. وبقضائى يجول الناس فى. مشاعرهم مغشية بى وأنا  
 الذى يحركهم ولا يتحركون..... يا خير الناس كلما يضعف

سلطان الخير والصلاح ويزداد الشر والفساد فأتى فى صورة  
متجددة. أيها العارف! حين ما تبدر الشياطين والجنة الجافيتان  
الطاغيتان فلا يتمكن أقوى الآلهة على أن يقتلهم فاترى بزى  
بشرى وأتولد فى خير العائلات فأرجع السلم والسكينة وأقلع  
الشر من شافته. وأخلق الآلهة والناس والملائكة والشياطين  
والجماد بانبعث من نفسى أو مايا (Maya) ثم افنيهم أجمعين.  
وإنما أترى زى البشرية لصيانة العدل والصلاح وإذا جاءت  
ساعة العمل أتلقى بصور لا تتصور..... وتنتهى اليغات  
فاتحول موتا جافيا فأهلك العوالم الثلاثة وحدى بحيوانها  
وجمادها وأغشى الكون كله بثلاث أقدامى، أنا نفس الكون وأنا  
منبع السرور وأنا مذل القوة. أنا أزلى موجود فى كل مكان أنا  
الذى لا يحد. الحواس كلها مملوكى، إن بطشى شديد أنا الذى  
يدير دولاب الزمن أنا من غير شكل..... وجهود خلقى بى.  
ياخير العرفاء نفسى سارية فى خلقى ولكن يا مقدم الأشراف لا  
يعلمنى أحد..... ورب الخلق شطر جسدى..... أيها العارف  
النبيل! أظلم أنا. وأنا النفس الكونى. لأربع يغات ألف مرة  
قابضا حواس العالمين محيطا بهم. وياخير العرفاء النبلاء! لا  
أزال احتل معها غلاما وأنا كبير حتى ياتى برهما..... وبرهما  
هو أنا قد أتيتك مرارا فضلا منى ولا تكون ههنا بسرور وثقة  
حتى يستيقظ المرتاض الكبير: برهما المقدس وحين يستيقظ  
الرب الأعلى فياخير البراهمة أنا وحدى أخلق الخلق المتزى  
بالأجساد: السماء والأرض والنور والخلاء والماء وغيرها من  
جميع الحيوانات والجمادات".

فقد استوعب ماركنديا صفات الإله المهابهارتى وسماته وتنزلاته وجعله  
عين الآلهة، صغرائهم وكبرائهم من الآلهة الويدية القديمة والآلهة الحديثة

لصنوف الطبقات والشعوب الدخيلة والأصلية تلمح فيه صبغة ابنيشدية من توحيد  
آتمن وبرهمن وطابعة سانخية وأثر يوغى. وصيره عين الظواهر الطبيعية النفسية  
سماه بنفس الأعمال والقوى. وأثنى يذشترا على الشمس بنحو هذه الصفات من  
كونه عين الآلهة ورب الظواهر وفى سبها فروا عد كبراء عائلة بهرتا من بهيشما  
ويذشترا وأرجنا وغيرهم أوصاف كرشنا من العينية بالآلهة كلهم والاتحاد بالعلة  
الأخيرة الفاعلة والمادية للكون والاتصاف بأوصاف الإطلاق والتعين والتجسد  
بالأجساد الملكوتية والبشرية والحيوانية فى موالده العديدة. والوشنوية والنارائنية  
والبهاغوتية لائحة أى الوصف.

والتصور يمثل الوحدة والتكثر أحسن تمثيل. الإله واحد بذاته، متكثر  
بوجهاته، قديم بكنهه الكامن، حادث بتعيناته البارزة، هو الكائن البارز المكون  
الكامن. ومها بهارتا لا تحل جميع التعينات والتنزلات محل التجلة والكرامة.  
الكون محتو على الأخيار والأشرار الشياطين والآلهة الجنة والناس و كادت  
الشياطين أن تكون صنفا لاحظ لهم من هذه التنزلات الإلهية اللهم إلا أن يكون فى  
ضمن الكون.

ورغم هذا التوحيد الوجودى الاثنينية الحقيقة بين الإله والمالوه تحتل  
مكانا بارزا من فكر مهابهارتا. كثير من الخطب والوصايات والأناشيد والروايات  
اللاتى تنص على وحدة الوجود تدل على الاثنينية أيضا من دون خطور بالتناقض  
والتضاد بين التصورين. وتسانر الراى العام فى اعتقادهم بالإله الشخص  
المتعين المتميز بشعور خاص وميول شخصية وعواطف قرديّة وتجعله موضوعا  
للولع والعبادة وتعظم تجسدهاته وتكرم مظاهره وهذا الإله الشخصى وهو الذى  
الذى يقال له ايشورا (Ishwara) أو المولى وهو غير الكون عال عنه متصرف  
فيه مسيطر عليه. الثالوث الهندوسى من وشنوا وشيوا وبرهما أكبر آلهة  
مهابهارتا وأبرزها، لهم أعمال خاصة وتجسّدات عديدة على الأخص لوشنو.  
كرشنا و واسديوا و نارائنا وبهاغوتا عند مها بهارتا أسماء لوشنوا. وما عداهم



من الآلهة الكثيرة أصغر أعضاء التشكيل الألوهي ومها بهارتا تحض على إرضاء الكل وتندر من سخط الجميع من غير فرق.

## الإنسان:

كاد أن يكون الكون هو الإنسان وحده سوى الخالق وعناصر خلقه وما أعد له من المثوى والمثاب والأجساد والإجرام والآلهة والشياطين كله منازل حله وترحاله ينتقل إليها ويتقلب فيها. وأكثر نصوص الكتاب تدل على أن الجزء العمدة منه هو الروح وهي جوهر أزلي أبدي لا تزال تنتقل من جسد إلى جسد، جزء آخر منه غير عمدة وهو جوهر جامد يتولد ويفنى وهو آلة للعمل ووسيلة لإكتساب ثمراته.

الرواية القديمة أن الروح أزلية أبدية أما الأجساد تحت سلطان الفناء وسيطرة الهلاك حينما عدمت الحياة يفنى الجسد لا غير والروح وازرة وزر أعمالها يرتجل من مقر إلى مقر آخر..... و لا تموت الروح بل تنتقل من مستقر لها إلى مستقر آخر والموت هو هذا لا غير. وتقول أيضا المادة الجامدة الغير الشاعرة مقر للأصل الحي وهو الفاعل بنفسه والخالق للفعالية في غيره. والجوهر الروحي في أصل حقيقته وسنخ ذاته مطهر من التغير مقدس عن التبديل لا يدنسه جسد ولا يفسده وسخ والتغيرات الطبيعية التي تتطرق إليها من جهة الأجساد و المواد المحيطة به تغيرات صورية.

اعلم أن للروح في زيته المادى أحد عشر تغيرات طبيعية و إن هو أزلى ولكن حاله الطبيعي يتأثر بصواحيبه تأثرا صوريا كمنار قد انكبت في إناء خاص ويتعوج سبيله بسبب ما يحيطه. والشئ المقدس المتعلق بالجسد نسبته إلى الجسد كقطرة ماء على ورقة زهر كنولا فتندرج عنها.

الفهم والتعقل من خصائص الروح حقيقة وإنما يدرك ويمس من غير مباشرة والذهن علة مباشرة لهما أما الحواس الخمس فهي آلات للذهن تؤدي مدركاتهما ومحسوساتها إليه، والتعقل خادم للروح في مدركاته ومحسوساته

وأعماله وأخلاقه وموآئده. قال الملك نهوشا (Nahusha) وهو كان فى

صورة ثعبان مجيبا ليدشترأ:

"يا ملك آل بهرتا! اعلم أن الحواس والذهن والتعقل المساعدة للروح فى إدراكه الأشياء تسمى كرانا (Karanas) أو الباعثة. يا ولدى الروح الأزلى النازل من مكانه يشعر بالمحسوسات منفردة متعاقبة بمساعدة الذهن والحواس الشاعرة بجميع المحسوسات تساعد الذهن. يا أشجع الناس!

ذهن الحى علة للادراك الحسى ولا يشعر فى وقت واحد إلا شيئا واحدا..... و يغتر الروح ويرى نفسه خادما للتعقل على رغم أن التعقل خادم له بالفعل ثم يصير رقبيا عليه فتأخذ الحواس تلعب به والذهن وجود جوهرى وهو علة للاحساس لا للتعقل وهذا هو الفرق بين الذهن والتعقل".

وكان التعقل عمل نفسى فيما تصل إلى النفس من المدركات والمحسوسات فيختار منها ويرفض منها ويستخرج منها أصولا وقوانين تلائم مصالحه وتوافق مناحيه.

## الأعمال:

مهابهارتا سايرت المذاهب الهندية فى أمر الأعمال وجاريت المعتقد الشعبى فى تأثيرها وبقائها فتزعم أن للأعمال وجودا جوهريا لا تنفذ بنفاد الجسد وتبقى محيطة بالروح منتقلة بانتقاله وكأنها تريد بالأعمال الباقية المحيطة آثارها التى تفعلها فى الروح. وترى أن الأعمال هى التى تدير عجلة الحياة والممات لولاها لنفدت الحياة وعقمت المواد وأقفر الكون. ما من عمل الإله تبعة معهودة تصيب صاحبه والروح تصادف تبعات أعماله بعد مضيئه من الحياة الحاضرة.

الأعمال فى هذه الحياة تعده الروح للحياة التالية والموت باب إليها يفتح مجالاً آخر لها تجول فيه مجتية ثمار أعمالها المتقدمة مبذرة بذور الحياة اللاحقة. الحياة تقدر الحياة، أعمالها وأوضاعها وظروفها ومناحيها وأهدافها. المتقدمة تسوى سبيل المتأخرة لولا الأولى لما كانت الثانية وتعتقد أن منشأ إنقسام الخلق بين الصنوف المتباينة واصطفافها بين الصفوف المتقابلة من الجمادات والنباتات والحيوانات والناس، والآلهة هو تباين الأعمال المكتسبة فى الحياة المتقدمة واختلاف ثمارها فلو عدت الأعمال عدم الكون بأصنافه وطبقاته ومهنة ومساغيه ومناحيه. تقول دروفدى (Drupadi) مخاطبة ليدشترا فى ونافروا:

"يا يذشترا ويرى أن الخلق ينال طابع حياته الحاضرة من أعماله المكتسبة فى حياته الماضية ويفترق الإنسان من بين الحيوانات الأخرى أنه يجد من نفسه نزعة لأن يعالج منهجه من حياته الحاضرة والآتية بأعماله. والخلق حافزة من حياتها السالفة مجبولة لأن تقتطف فى هذه الدنيا ثمار أعمالها. وبالحق الكون كله حتى الخالق والمقدر نفسه يعيش وفق نزعاته من حياته المتقدمة كلهم يعيش فى الماء. وإن لم يعمل الخلق لا نسد سبيله من الحياة..... لو لم يكن العمل لا نقطع الخلق ولو لم تأت الأعمال ثمارها لما زاد فى الخلق. ويرى أنه ربما يصدر من الخلق أعمال لا تأتى بثمارها ولكنه يستحيل أن تسيل الحياة بغير العمل".

ويعتقد مفكرو مهابهارتا أن الحياة الحاضرة مسعاها ومتوخاها قد قضيت عليها فى الحياة السابقة فتسيل على مسيل سوته الأعمال المكتسبة فى الموالد الماضية. وما هذا الجسد إلا جارحة فى يد خالقه ليعمل ما أتيح له من الخير والشر جزاء بما جرح كيلا بكيل.

والإله المقدر يقدر حظهم من هذه الحياة وفق ماجرحوا في سوائف حياتهم. إعلم أن مايفعل رجل من خير وشر فيما قضى الله له جزاء أعماله في مواده المتقدمة وما هذا الجسد إلا جارحة في يد الإله قد خلقه ليحضر ما قدمت يداه وهو نفسه جماد يفعل كما يؤمر.

## القسمة:

وتتكر مهابهارتا القسمة أو الصدفة بل لكل تالية سابقة تقتضيها اقتضاء باتاً و إن هي إلا دولاب الأعمال تدور مرور الزمن. الخيبة والفلاح ليستا من منتجات السعى والجهد. في أعناقنا طائرة أعمالنا من حياتنا المتقدمة وهي التي تأتي بالخيبة أو النجاح.

أما الدين يرون في القسمة والذين يرون في الصدفة فهم أشر الناس إنما الأخيار هم الذين يرون في العمل..... وما ينال الرجل صدفة أو قسمة أو ثمرة لمجهوده فتبعه أعماله في حياته المتقدمة..... يا ابن كنتى (Kunti) رب الكل الأعلى هو الذى يبعث الخلق للعمل فيعمل والخلق من نفسه جماد.

القسمة التي تعتقد بها مهابهارتا هي نصيبه من الحياة اللاحقة التي يستحقها الرجل بأعماله من غير بخت ولا صدقة بل باقتضاء بات (قسمة كل شيء تقدر بأعماله في هذا العالم) يكتنز الناس من خير أو شر طالما يحيون هذه الحياة وإذا جاء الحين يموتون حاملين أعباء هذه الحياة مما كسبوا من الخير والشر فينطلقون في مرحلة جديدة من الحياة المتاحة لهم بانسة تعسة أو ناعمة طيبة اقتضاء لأعمالهم قسمة لهم من غير فوت ولا تسامح.

الرجل بجسده المادى الطبيعي المخلوق لله يحوز كنزا ضخما من الخير والشر فاذا مات يخلع الجسد المادى ويتولد من دون تراخ في صنف آخر من الخلق ولا يفنى للمحة. أما أعماله فتتبعه كأنها ظله وتقدر له قسمته أما ناعمة أو بانسة. والعقلاء يعرفون ببصائر قلوبهم أن الخلق كله مربوطة من المفنى بقسمة لا تبديل لها ولا يستطيعون أن يامنوا من تبعات أعمالهم.

وكان الأعمال المتقدمة تكون شخصية مطبوعة بطابع خاص تغشى على ميول الشخص وعواطفه ومطامحه ومراميه وجهوده ومساعيه حتى نجاحه وخيبته وتصدر منه أعمال معينة. وما يجد من الاختيار والارادة فتوهم أو اغترار نشنتا من أعماق الفطرة ليس ههنا حرية العمل ولا مطلقيه التعليل يعمل الرجل عملا لأن عليه أن يعمل هذا العمل وتتبعه عاقبة معينة لارتباطه بهذه العاقبة ارتباطا جزائيا لا ارتباطا تعليليا. ووجهت مهابرتا بمثل هذا الارتباط بين جهود الناس وبين نجاحهم وخيبتهم وعلت فوزهم فى الحياة ظالمين متبترين مسيئين وخسرانهم فيها مظلومين خاشعين صالحين. يقول العارف الشهير الصياد:

"يا خير الصلحاء! أعمال الرجل إما خير و إما شر وهو نائل ثمارها بلا مرية. الجاهل البائس بسبب الآلهة ولا يعلم أن بوسائه ثمرة لسوء عمله..... ولا ينقد الناس منه شىء، لا علمهم و لا خلقهم ولا جهودهم ولو لم تتوقف ثمار جهودنا على شىء غير الجهود لينال الناس مشتاهم بها ومن المشاهد أن العقلاء الجاهدين يخيب سعيهم ولا يحتظون بثمار جهودهم وعلى الرغم منهم الظالمون الخادعون تمضى حياتهم فى الخصب والرخاء..... الامراض التى تقاسى بها الناس إنما هى ثمار أعمالهم..... ونو كانت فى هذه الحياة حرية العمل مطلقا لا يموت أحد ولا يكون رجل تحت سيطرة الفناء أو منتظرا وبال أعماله وكل ينال مشتاهه..... يا أيها البرهمنى الصالح! لا يملك أحد نصيبه. الأعمال المكتسبة فى الحياة السالفة تبدو مثمرة فى حياتنا الحاضرة".

ويقول أيضا:

"لقد مسيطر والتحرز عن عواقب أعمالنا المتقدمة صعب  
..... الفاعل إنما يفعل كالواسطة الأخيرة ويا أيها البرهمي نحن  
آلات للأعمال .... العمل لا يخذل خلقا. وهذا القانون ما  
صرف الخالق عنه النظر في تقدير العواقب المتنوعة لأعمال  
الرجل"

ورغم الجبرية الناشئة من الأعمال المكتسبة في سالفات الحياة وضد  
توجيه جميع الميول والعواطف والجهود والمساعي والفلاح والخسران بنفخة  
الحياة المتقدمة مهابهارتا تهدي إلى كفارات وقرابين وزيارات وأعمال تنفذ الناس  
من تبعات أعمالهم الماضية فقد ذكر فلستيا (Pulastya) في باب الزيارات أو  
تيرثا ياترا (Tirath yatra) من ونافروا فضائل زيارات البقاع المقدسة. وكفارة  
الذنوب فضيلة تشترك فيها جل الزيارات بل كلها. ويقول العارف الصياد المتقدم  
ذكره:

'من واجب كل رجل مضغوط تحت أفعال الأعمال السيئة أن  
يتأمل في كفارة ذنوبه وانقاذ نفسه من سوء النكال. والكفارات  
صنوف، فيا أيها البرهمي الصالح! أنا متصدق صادق محافظ  
على حفاوة أكابري مجل للسادة البراهمة ولع بالخيرات برىء  
عن الفخر وهذر الكلام".

## الجهد والسعي:

وميزة مهابهارتا أنها تهتم بأمر الحياة تحرض الناس على العمل لها  
وتحثهم على الجهد والسعي من دون مبالاة بالعواقب و من غير اكتراث بالنجاح  
والخيبة فان الأعمال هي التي تنجح والجهد هو الذي يفوز إن لم تسع لغاية أو

يجهد لهدف فكيف النجاح. النجاح يعقب العمل والفوز يتلو الجهد. على الناس أن يعملوا إن نجحوا فذلك وإلا فالعواقب لا يضمنها أحد ولا يئسوا ولا يقنطوا وليستأنفوا السعى وليستدركوا الجهد فحسوا أن يفوزوا. إن للنجاح أسبابا أبلغها العمل فإذا اجتمعت توجب الغاية المتوخاة وإن فات واحد منها يخيب المسعى. ومن ذا الذي يعلم هل اجتمعت فيوجه جهوده فتفوز أم لم تجتمع فيمتنع وإنما سبيل العلم بهما نيل المتوخاة وتأتى عقيب توجيه الجهود تقول دروفدى مخاطبة ليدشترأ فى ونافروا:

"من المعلوم أن جهود الناس موصولة بالنجاح فالغالب أن تتجح جهودنا وكيف تعلم عاقبة الجهود من قبل إن تاتى- بعد الجهد تعلم ما يعقب الجهد- الفلاح يحرث الأرض بالمحراث ويزرع فيها ثم يعقد مطمئنا. إن السحاب سبب يساعد البذور فى نموها نباتا فان لم تساعده السحب فلا لوم عليه ويقول فى نفسه قد فعلت ما يفعله الناس فان صادفت الخيبة وقد اجتهدت جهدى فلا ذنب لى يقول هكذا ويصطبر ولا يلوم نفسه. يابهرتا لا يئس أحد قائلا يا ويلتا! اعمل ولا نجاح لى. إن للنجاح علتين أخريين وراء الجهد. تتجح الجهود وتخييب أما القنوط فلا. إن نجاح الأعمال يتوقف على اجتماع أحوال إن فات منها شىء هام لا يتعادل بالجهود أو لا يأتى ولكن عند عدم الجهد فلا نجاح أبدا ولا شىء للابتهاج إذا لم توجه الجهود. الأذكىء باستعانة ذكائهم وبمساعدة جميع قواهم يختارون المكان والزمان وبمساعدة جميع قواهم يختارون المكان والزمان والوسائل والطقوس المساعدة لينالوا الرفاهية. وليقم الرجل للعمل بالجد والمبالاة وليكن هاديه الهام جرأته. الجرأة هى العامل الهام فى العوامل الواجبة"



وحتت دروفدى يذشترا على الجهد والعمل باستقصائها أسباب النجاح فى نفس الخطبة و رددتها بين أسباب أربعة: القسمة والصدفة والأعمال المتقدمة فى الحياة السالفة والجهد. ولا يعلم نفس ما هو السبب الخاص للنجاح الخاص فمن واجب الرجل أن يجتهد و من ذا الذى يعلم أن لنجاحه سببا وراء جهده فيمتنع عن الجهد وينظر إلى القسمة أو الصدفة أو إلى تبعات أعماله المتقدمة.

والمطامح تتحقق بعضها بالقسمة وبعضها بالصدفة والبعض الآخر يتوصل إليه بالجهد وليس لتحقق أهداف الرجل من سبب رابع كذلك يقول الذين لهم إمام بالحق ورسوخ فى العلم. فان لم يكن الله نفسه ما نحا للثمار الطيبة والخبيثة ما كان فى الخلق بائس. وإن كان تأثير الأعمال المتقدمة أسطورة كان كل هدف يسعى له الرجل متحققا. إن الذين يرون الثلاثة فقط أبوابا لكل نجاح وخيبة فى الدنيا فهم أغبياء جامدون كنفس الأجساد. ويجدر بالرجل أن يسعى جهده لكل منها وهذا هو مفكر منو (Manu) نفسه لينهز من الذى لا يعمل. يا يذشترا! رجل الجهد ربما يصادف النجاح فى هذه الدنيا. الكسالى لن يصادفوا النجاح و إن تعذر النجاح فيجدر بالرجل أن يسعى لتسوية العقبات التى تقف فى طريق النجاح. ويا أيها الملك! إنما يتأدى قرص (الآلهة) بالجهد.

وبالجملة أن مها بهارتا رغما من المذاهب الإشرافية النافقة وضداً للمسالك الفلسفية الرائجة فى إتباع الرهبان المرتاضين تهتم بأمر الحياة وتتفقد فيها الخير والسعادة وتغرى الناس بالتكاليف والمهن العائلية والطبقائية والشعبية وتحرضهم بإحراز الخيرات والتحرز عن الشرور فطابعتها الرجاء والأمل وسمتها الاجتهاد فى مجال الحياة ونيل قصب السبق فى ميادينها فتقبلها الناس عامتهم وخاصتهم بقبول حسن وأكبوا عليها و اجتمعوا حولها. يقول ماركنديا:

"الحياة الساقطة على أربعة أنحاء ..... حياة رجل ليس له ابن ساقطة وكذلك حياة من هو خارج عن حظيرة الخيرات وحياة من يعيش على طعام الناس وحياة من يطبخ خالصة لنفسه من

غير أن يمنع من طعامه أبائه أو آلهته وضيوفه أو يأكل منه قبل  
أكلهم".

ويقول العارف الشهير الصياد وكان جزارا وقد اعترض على مهنته.

"المهنة مهنة عائلتي قد ورثتها من أبائي وآباء آبائي. يا أيها  
النبيل! لا تحزن على لملازمتي على واجبات قد علفت بي  
لمولدى ..... قد قضيت الخدمة للشودرة والزراعة للويشيين  
والمحاربة للكشترية وحلف العفة والإشراق وإنشاد المحامد  
والمواظبة على الحق للبراهمة"

## الصالحات والسيئات:

تبالغ مهابهارتا في حث الناس على الصالحات وبعثهم على الخيرات  
وتشدد في ردعهم عن السيئات ومنعهم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن  
وتذكرهم واجباتهم الشعبية وفرائضهم الطبقاتية و وظائفهم العائلية وتكاليفهم  
الشخصية وتبشرهم بالموالد الراقية وتعددهم بالجنة وتذرهم من الموالد الدينية  
وتوعددهم جهنم وساءت مصيرا يقول العارف الصياد:

"يا أيها البرهمي الصالح! إنما ينال الروح زى الآلهة بفعل  
الخيرات الصرفة، والخيرات المشوبة بالسيئات ينال بها زى  
الناس ويولد في زى الحيوانات النازلة بالانغماس في الملذات  
الحسية وكذلك بالتخلق بالخلائق الدنية، وإنما ينزل في الدركات  
السفلى بكسبه الأعمال السيئة. وقد كتب للرجل الملم به بوسات  
المولد والممات والمخرقة أن يفسد ههنا في الدنيا نكالا لأعماله  
السيئة و لا تزال تهيم أرواحنا مجتازة في ألوف من الموالد  
وتحتوى على موالد خسيئة أيضا مقيدة بقيود أعمالها. تشقى

الكائنات الحية في الآخرة لأعمالها التي اكتسبت بنفسها. وبتأثير ذلك الشقاء تمضي في الموالد الخسيسة فتكثُر أعمالا جديدة فتصير تقاسى ويلات جديدة كمرضى قد أكلوا طعاما وخيما. وعلى رغم شقاء هم يحسبون أنهم فرحون أمنون فلا تتحطم قيودهم وتحيط بهم الأعمال مرة بعد أخرى فيدورون في هذه الدنيا كالعجلة مقاسين ويلات متخالفة. ياخير البراهمة! إنما ينالون الجنة بأعمال عديدة. وباطلاق قيودهم وتطهير أنفسهم من أعمالهم وبرياضاتهم وتأملاتهم ينال الناس مساكن مباركة لا يعلم نازلوها ويلا ولا شقاء. الرجل المذنب الذي قد تعود السيئات لن ينته غاية سبيله من الظلم فمن الواجب علينا أن نجتهد للصالحات ونجتنب عن السيئات و من يجهد للحسنات وهو فارغ عن البغضاء وقلبه ملآن بالشكر يحرز المال والخير والسرور والجنة. المطهرون من الذنوب العاقلون الصابرون المواظبون على الخيرات المتقون ينالون سرورا سرمديا في الدنيا والآخرة"

وتهديهم إلى تقديم القرابين والتدبير في الويدات وعرض الهدايا على البراهمة وأداء الكفارات مكافاة للخطيئات و الاعتصام بالصدق في القول والعمل والعفو عن زلات الناس والعزوف عن الترف الحسية والتجنب عن مجازى الشهوة والهوى و جعلها أسأ للخيرات. بقول سونكا (Saunaka) البرهمي

"الاهتمام بالقرابين، انظر في الويدات، الهدايا، الكفارات، الصدق، العفو، إخضاع الحواس والعزوف عن الشهوة قد نصت باسم الفرائض الثماني مكونة للصراط المستقيم"

وتتمتاز القرابين بمزايا خاصة في إنجاح الحاجات وتحقيق الآمال فقد  
عدت دروفدى (Draupdi) في وناقروا عدة قرابين بميزاتها وما تجلبها من  
الثمار عند تعديدها مآثر بيت يدشترا. وللقرابين النارية مكانة سامية في الأعمال  
الخيرية تطهيرا وتقديسا تقول سرسوتى (Saraswati) لتاركشيا (Tarkshya)  
البرهمى:

"من يواظب على تقديم النذور للنار المقدس لسبعة أعوام إنما  
يقدم سبعة من أسلافه وسبعة من أخلافه".

وتدعو الناس إلى الحسنات، للحسنات نفسها من غير طمع في ثمارها  
المعهودة. يقول يدشترا:

"من يبتغ ثمار حسناته فيتجر الحسنات وطباعه طباع سوء  
ودنائة لن يعد في الصالحين و لا ينال من ثمار حسناته"

وتشتد مهابهارتا في تبجيل البراهمة وكأنه رأس الحسنات عندها وهم  
قطب رحى الكون فرضائهم ملاك الخيرات وسخطهم أم السيئات وكادت أن  
تكون هذه الدعاية عمودا للتعليم المهابهارتى. يقول ماركنديا:

"إنما يرضى الآلهة أنفسهم عن رجل يرضى البراهمة. إلا أن  
رجلا لينال الجنة بأمر من برهمى. فمن يحب خيرا أو جنة  
فليبجل البراهمة".

وقد ذكرت مهابهارتا أن الآلهة وفيهم اندرا قد نزلوا على الأرض  
لما رأوا قتل براهمة وقد عميت عليه المبادئ والمناحي وما وجدوا إلى الفتاك  
سبيلا فدعوا نارثنا، الإله الكبير بقولهم "إن أضيعت البراهمة فتلقى الأرض

نفسها بالضياح والفتاء فاذا بلغت فتلقى الأرض نهايتها فينطوى الوجود عن السماء" فهم أساس الوجود لهذا العالم المشاهد، بقائهم بقاء العالم وفنائهم فنانه. ومهابهارتا تهتم بأمر الزيارات وتبالغ في حث الناس عليها تعد البقاع المقدسة وكراماتها الخاصة ومزاياها المقررة وتشخص أوقات زيارتها وتضع الشرائط والأركان لها وتقدر الأجور. يقول فولستيا (Pulastya) لبهيشما (Bhishma):

"من يكده يده ورجلاه وقلبه وعرفانه ورياضاته وأعماله تحت الرقابة الكاملة يتمتع بثمار الزيارات ومن ينهى نفسه عن قبول الهدايا ومن هو قانع بماله ومن يحرز نفسه عن التفاخر يتمتع بثمار الزيارات ومن هو طاهر من الذنوب ومن يعمل من غير منفعة يطلبها ومن يأكل قليلا ومن لا يزال يراقب حواسه ومن هو بمعزل عن الذنوب يتمتع بثمار الزيارات (إلى آخر الشرائط) ..... حتى يقول: وقد صرح العرفاء حقا عن الويدات بالقرابين وثمارها في الدنيا والآخرة بالترتيب الملائم لها ولكن يا مالك الملك! تلك القرابين لا يمكن تقديمها ممن هو مقتر فانها تستدعى أنواع الأدوات وصنوف الأشياء بقدر غير يسير فتعرض من الملوك أو من المثرين وأولى المال غبا والآن يا خير المحاربين! أدلك على طقس يقوى عليه الناس من غير ثراء ولا أنصار منفردين من غير زوج ولا أولاد ومن دون وسيلة، وثمرته تساوى ثمارها المقدسة. يا خير آل بهرتا! المكث بالبقاع المقدسة التي هي مكرمة و هي التي تكون سرا من الأسرار السامية للعرفاء، افضل من نفس القرابين. ومن سار للزيارة ولم يصم لثلاث ليال ولا أنفق من الذهب ولا وزع البقرات فهو الفقير. ومن يقدم اغنشطوما (Agnishtoma) أو

القربان النارى والقرايين الأخرى الموفورة بالكرامات الهامة  
لاينال كرامة ينالها رجل بالمكث فى البقاع المقدسة .....  
إلى آخر ما عد من البقاع المقدسة للزيارات وميزاتها  
وكراماتها".

ومهابهارتا تنقب عن الحياة النفسية للأفراد وتلفتهم إلى مآظير من  
المساوى و الرذائل وتبرز لهم ما بطن منها فتردعهم منها وترشدهم إلى مباد  
أخلاقية سامية فتهددهم إلى حياة طيبة آمنة ليكونوا عناصر صالحة لمجتمع أمن  
راق. يقول العارف الصياد:

"وليتق الرجل من الكذب فى القول وليمنح بغير إلحاح ولا يدع  
الخير من طمع أو غضب أو حقد ولا يفخر بالنعمة ولا يجزع  
من البؤس ولا يحزن من الفقر ولا يترك سبيل الخير من طمع  
إذا صادفه. وإن كان قد أساء مرة فعليه أن لا يعود. ولا يزل  
الرجل يحرض نفسه على عمل يظنه نافعاً. ولا يجز السيئة  
بالسيئة وعليه أن يحسن إلى من أساء إليه".

ء

ويقول أيضاً:

"يا خير البراهمة! الخمس المقدس : القربان والنذر والرياضة  
والوحدات والصدق من واجبات الحياة الطيبة. إن الذين يجدون  
اللذة فى الخيرات للخيرات نفسها لاغير وقد قهروا الشهوة  
والغضب والكبر و الطمع والاعوجاج فهم الذين يقال إنهم أخيار  
وهم الأحقاء بثناء الأخيار ..... الأخيار المتمسكون باحلافهم  
المولعون بالكتب المقدسة المجتنبون عن ملذات الدنيا السالكون  
سبيل الخير المتبعون دين الحق الصابرون المتقون أولئك الذين

يقال عنهم إنهم يحيون حياة طيبة ..... الأخيار يرحمون  
الخلق كله ..... ولا يظلمون شيئاً ولا يغلظون فى القول".

وتبالغ فى أمر العزوف عن الترف يقول ذلك العارف:

"خلاصة الويدات الصدق وجوهر الصدق ضبط النفس وأصل  
الضبط هو الاجتناب عن ملذات الدنيا".

وتبحث عن مبدء الذنوب فتجعل الشهوة أم الخبائث فتحذر عنها:

"يا خير البراهمة ! الشهوة هى التى تعدّ أصلاً للذنوب والجهال  
إنما يكسبون السيئة مقهورين بالشهوات".

وقد أوضح صلة الشهوة بالرزائل النفسية المفضية إلى اعتماء السراج  
القلبي المميز بين الحق والباطل ثم إلى البغى والعدوان. يقول:

"يشتغل الناس فى اكتساب العلم فلما أخذوا نصيبهم منه يا أيها  
البرهمنى الصالح! يتبعون أهوائهم ويقتدون شهواتهم ويسعون  
لهذه المبادئ ويحملون فى سبيلها ثقال الأمور وصعابها لينالوا  
حظهم من لذّ الملذات عندهم من الجمال والمطعم وغيرهما  
فيتبعها الولع فالحسد ثم الشره فينطفئ النور الروحى فانه إذا  
قضى الشره على الناس واستولى عليهم الحسد والولع انقطعت  
عقولهم أن تهتدى بالاستقامة وأخذوا يعملون الخير الغير  
الحقيقى. فالصالحات تعمل رياءً وسمعةً ويقصرون أنفسهم على  
حيازة الثراء بمكاسب سيئة وبالثراء المكتسبة بمثل هذه الوسائل  
يلقى الجوهر العاقل فيهم المجارى السيئة فتتوفر فيهم الشهوة  
لاقتراف السيئات".



ومهابهارتا مع مبالغتها في الحث على الصالحات والردع عن السيئات  
وتشديدها في المواظبة على الطقوس الدينية لا تكثرث بالظواهر الرسمية للدين  
ولا تقيم للصالحات الضحيلة قيمة إنما العبرة بالباطن والطهارة هي طهارة القلب.  
يقول ماركنديا:

"الأخذ بالعكازات المثلثة الملتوية والحلف بالسكون وتلييد الشعر  
على الرأس وحلق الخصلة و الاشمال بقشور الأشجار وجلود  
الظبا واتخاذ العهود والغسل المقدس وعبادة النار والانقطاع إلى  
الاجمات وإذبال الأجساد كلها لا طائل تحتها طيلة لا يكون  
القلب طاهرا"

ورغم اهتمام مهابهارتا بالخيرات لأنفسها لا تغض البصر من الأوضاع  
والظروف. فرب صالحه تعقب مفسدة في ظرف خاص ورب سيئة تكون باعثة  
للحسنة عند وضع معين فبعض النصوص تدل على أن وجهتها إلى الخير  
وجهة إفادية حسب صالح الاجتماع أو الأسرة أو العائلة أو البيت. يقول العارف  
الصياد:

ء  
"إذا خاف الرجل على نفسه او كان الأمر أمر الزواج فالكذب  
أجدر أن الكذب قد يهدى إلى إعلاء الصدق إذا كان مطروحا  
في طريق الكذب وإنما الصدق هو الذى يهدف إلى صالح  
الخلق".

وتقول دورفدى عن بعض العرفاء أنهم قالوا:

"أيها الملك أن الخير الذى يوذى الرجل وأصحابه ليس بخير"

وتهتم بصالح العائلة فتامر الأباء بالترقب على تربية الأولاد وتنقيفهم  
لستعدوا للجهد والعمل ويصيروا أتقياء صلحاء وتحت الأولاد على تحقيق أمانى  
أبائهم وخفض الجناح لهم وتذكر لهم مشاق ابائهم ومتاعبهم فى سبيلهم وسبيل  
تنقيفهم وتحضيرهم يقول ماركنديا:

"بعضهم يفضل الأمهات (على الأباء) وبعضهم الأباء (على  
الأمهات). إن الأم التى تلد و ترشح ما فى بطنها تأتى بأصعب  
الأعمال وأما الأباء فيؤدون لو أن لهم ولدانا، فيلتمسونها  
بالرياضات المتنوعة والعبادات المختلفة للآلهة والنذور المتعددة  
لهم و يتحملهم شدائد الحر والبرد و بالكفارات وبوسائل كثيرة  
أخرى. وأيها البطل وبعد ظفرهم بها بمثل هذه الأعمال الشاقة،  
وكان صعباً حصولها، لا يزالون يقلقون فى مستقبل أبنائهم.  
وأيها البهرتى ! الأم و الأب كلاهما يطمحان لأبنائهما الشهرة  
وعظام الأعمال والفلاح والظفر بالولدان والخير. فالإبن الصالح  
هو الذى يحقق هذه الأمال لأبويه. ويا أيها الملك الكبير ! ابن قد  
رضى عنها أمه وأبوه لينال شهرة سرمدية وسعادة أبدية فى  
الدنيا والآخرة"

وتحض الأزواج دعائم الحياة العائلية على الانقياد المطلق بل العبادة  
المخلصة لبعولتهن وهم أعمدة الحياة العائلية الهندية من قديم الزمان يقول  
ماركنديا:

"أما الأزواج فلا تنفعها قربان ولا شرادا (Sheradha) أو  
الصدقة من الأموات ولا صوم وينلن الجنة بقيام واجبات  
بعولتهن".

وتوصى بحسن المعاشرة فيما بين الناس وتتهى عن الفظاظة والجفاء  
وقساوة القلب وتدعوهم إلى الرحمة والعطوفة. يقول ماركنديا:

"من ليس فيه عاطفة الرحمة لعشيرته لا يتطهر من الذنوب وإن  
كان طاهر البدن. قسارة القلب عدو للاشراقية. ليست الاشراقية  
التزهد عن ترف الدنيا فقط، بل المداومة على الطهارة المتحلى  
بالحسنة المواظب على الرحمة و هو طاهر من الذنوب هو  
العارف ولو كان متأهلاً".

وتشجع الناس على الاحتفاء بالضيوف والترحيب بهم و الإكرام بثوانهم.  
يقول ماركنديا:

"إذا رحب بالضيف تسر آلهة النار و إذا عرض له المجلس  
فكاد أن يسر إله مائة قرابين و إذا غسل رجلاه فيسر الآباء وإذا  
أطعم فيسر فرجافتي أو رب الناس نفسه".

ويقول أيضاً:

"ضيف يأتي بيت أحد للطعام فليس إلا اندرا نفسه فمن يكرم  
وفادته بالطعام فاندرا نفسه يتفضل عليه بالكرامة التي لاتنقطع".

ومجتمع مهابهارتا مجتمع فيه أغنياء وفقراء وطبقات وطوائف: فيها قد  
يسيون جواله يعظون ويعلمون وعازفون قد انزلوا بالأجمات والكهوف والبقاع  
المقدسة وشيوخ قد انقطعوا للقيام بأعباء التربية والتعليم وفتيان قد أخذوا طريق  
التزهد ولازموا الشيوخ والعرفاء، ومهابهارتا لا تغفل هذه الناحية من المجتمع  
فتتخذ خطوة ايجابية نحو كفايتهم المعاشية ليظلوا قائمين بوظائفهم وتكاليفهم  
الدينية أو الشعبية مطمئنين آمنين. فتصدر لكفالتهم نظاما تبرعيا للصدقات

والخيرات ولو فرديا بحسب الصورة ولكن شعبيا بحسب الفعل بتمكينها في قلوب  
الناس بمزاياها التي لا تبارى وفضائلها التي لا تعارض فصارت عاطفة شعبية  
واحتلت مكاناً بارزاً من ميولهم. وتتوع موضوعاتها وتكثر أنواعها وتؤجل أوقاتها  
وتخصص بقاعها وتفصل مصارفها وتقدر أجورها وتعد ثمارها ومرفقها يقول  
ماركنديا:

"يا يذشتر من يعرض الشراذا أو الصدقات من الموتى على  
الملتقى المعروف بغاجاصايا (Gajachaya) في موضع قد  
روح بأوراق شجرة أشواثا (Ashwaitha) يظل يتمتع بثمارها  
لمائة آلاف كلفا (Kalpa) يا أيها الملك: من يطعم الطعام جائعا  
يكاد يموت، من الجوع ومن يؤظف مراقبا يراقب كل من يرد  
على بيت صدقة قد أقامه فكل منهما ينال أجر من قدم القرابين  
كلها"

ويقول أيضاً:

"لا شيء أفضل من المطاعم فيرى خير ما يتصدق وأفضل ما  
يؤتى وقد قيل إن الطعام هو فرجافتي (Parjapati) أو رب  
الناس نفسه وفرجافتي هو الذي يدعى بالسنة أو العام والسنة  
هي القربان و كل شيء في جوف القربان فان القربان هو الذي  
منه كل الخلق الحي وغير الحي وهذا تأويل ما يسمع منا أن  
الطعام أسبق الأشياء. والحياض والآبار والمسكن والمطاعم  
والذين لهم قول معروف للناس أولئك الذين لا يسمعون لومة  
ياما (Yama) أو إله الموتى. ومطعم الطعام هو السابق ويصليه  
الصادق في القول والمتصدق على من لا يسئل وتنتهي الثلاثة  
إلى المنتهى (أى موطن باما) ... والمسافة بين موطن ياما وبين

موطن الناس ستة وثمانون ألفا من اليوجنات (اليوجن يساوى ثلاثة فراسخ تقريبا) والطريق إليه من فوق السماء ليس فيه من ماء والنظر إليه هو الفضع الأكبر طريق لا فيه من شجرة تظل عليه ولا من ماء ولا من منزل يستريح به الواردون لبرهة من الزمان عند ما تعبوا. ويورد الرجال والنساء و من فى الأرض من الحيوان جميعا على هذا الطريق كرها برُسل من ياما، خلق يطبع أمر الملك المهاب. يا أيها الملك! إن الذين قد أتوا البراهمة خيلا أو غيرها من المراكب الحسنة فسوف يمرون على تلك الخيل والعربات والذين أتوا المظلات يمرون هذا الطريق بمظلات تظلمهم من أشعة الشمس والذين تصدقوا بالطعام يمرونه من غير جوع أما الذين لم يتصدقوا به فسوف يمرونه جائعين والذين تصدقوا بالأعينة يمرون كساء و أما الذين لم يتصدقوا به فسوف يمرونه عراة. والمتصدقون بالذهب، يمرونه فرحين متحليين بالحلى والمتصدقون بالحقل يمرونه محرزين جميع متمنياتهم والذين قد منحوا الحبوب يمرون من غير أن يمسهم حاجة- والذين قد منحوا المساكين يمرون على العربات مبتهجين. والذين قد منحوا شربة سيمرون بقلوب مليئة فرحة وبهجة ولن يصيبهم عطش. والذين قد منحوا المصابيح يمرون مبتهجين والطريق مضىء أمامهم. والذين قد منحوا البقرات سيمرون الطريق مسرورين منقذين من جميع سواتهم..... والذين يوتون الماء فسوف يجدون به نهرا لهم تسمى بفسفودكا (Pushpodaka) والمتصدقون بالماء على الأرض يسقون من ماء بارد معطر من تلك العين. والذين قد عملوا السوء فسوف يشربون من صديد أمرا مقضيا".

والحياة الصالحة المهابهارتية حياة فعلية لمجتمع معتقد بأنواع المعتقدات متمسك بأنحاء الطقوس والعبادات ملتئم من صنوف الطبقات، الرئيسة والمرؤسة، الأمراء والعملة، الملوك والرعية، الخاصة والسوقة المشتغلة في مهنة العائلية وتكاليفهم الشعبية ووظائفهم البيئية الخير الذي تدعو إليه مهابهارتا غير مقصور على العازفين المنعزلين أو العرفاء المتبتلين بل يعم جميع الأصناف ويشمل كل الطبقات وأمرها التامح والهوادة لكل طريق تسلك عليه طوائف العامة من غير استهزاء ولا استهتار والتبجيل والإجلال بكل معتقد يتمسكه صنوف الشعب من غير تعريض و لا معارضة وتدعو بالصراحة:

"إن الذين يستهزؤون بالمعتقدات المتضاربة المسيطرة على صنوف الناس أولئك الذين قد اتبعوا المعتوهين المغترين وإنما يساقون إلى سبيل التهلكة لاتخاذهم السبيل السيء".

وتوجب على الناس الاشتغال بمهنتهم المقدرة لهم لطبقتهم أو أسرتهم بموادهم و تقس الطبقات الأربع على التكاليف المتاحة لهم لموادهم الطبقاتية. يقول العارف الصياد:

"ويرى أن إلغاء رجل مهنته إثم و الاستمساك بها بر من غير ريب"

ويذكر عن الملك جنكا (Janaka) المثل الأعلى في الحكم على المنهاج البرهمي:

"أيها العارف النبيل ما من رجل في مملكة جنكا إلا و هو متمسك بواجبات مولده يا خير البراهمة ! الطبقات الأربع ههنا

تستمسك بقوة ما أتاحت لخصوص طبقاتهم من الواجبات  
الموضوعية"

وتوصى الناس بالحياة الطيبة وتنهاهم عن العنف والقتل وتردعهم عن  
التحاسد والتباغض وتنذرهم من الطمع والحرص والعدوان ولا تمنع من اكتساب  
المال ولا تفشل للتزوج والتتعم. يقول الملك نهوشا (Nahusha) للملك يدشترا:

"إن الذين يبذلون ما استطاعت أجسادهم من جهود في أداء  
واجباتهم بعد ما اخضعوا شهواتهم والذين هم عن قتل الحيوان  
ممتنعون أولئك سوف ينالون نصيبهم من السرور في الآخرة لا  
في هذه الحياة. وأما الذين يحيون حياة طيبة ثم يقترفون المال  
في أوقات ملائمة وهم صالحون ثم يتزوجون ويقدمون القرابين  
هم الذين يحرزون البركة في الدنيا والآخرة".

ويقول أيضاً:

"ويرى أن الرجل ينتقل بأعماله إلى أحوال ثلاثة الكيان البشرى  
أو الحياة السماوية أو المولد الحيوانى الخسيس يا ولدى! قد قيل  
في هذه الصلة خاصة أن من استولى عليه الغضب والطمع  
ومن أخضع نفسه للحرص والحقد تنقطع صلته عن البشرية ثم  
يبدو في زى حيوانى خسيس. والحيوانات الخسيسة يرتقين إلى  
زيات بشرية أمرا مقضيا. وقد شوهد أن البقر والفرس وكذا  
الحيوانات الأخرى قد نلن زيات بشرية".

وللحوار مع الصلحاء الأخيار والذكر بأسماء القديسين من الآلهة  
والعرفاء تأثير بالغ في تنقيف الناس وتحضيرهم وتطهيرهم من أوزار الرذائل



ومهابهارتا تقيم لهما قيمة جليلة فتحلها محل الطقوس الدينية الهامة يقول  
ماركنديا:

"قد نص العلماء أن الغسل في المياه المقدسة والذكر بأسماء  
القديسين والحوار مع الصالحين الأبرار أعمال جديرة بالثناء".

العفو مع القدرة على النعمة من المثل العليا في الأخلاق الفردية  
مهابهارتا تدعو إليه الناس ولكن وجهتها إليه وجهة فعلية فرب عفو تتبعه مفسدة  
اجتماعية أو يكون باعثا لترشيح نفسية الجريمة ومهابهارتا لا تغض العين عن  
هذه الناحية من العفو فلا ترجع إحدى الكفتين على الأخرى ترجيحاً باتاً بل تعطى  
لكل منهما نصيبه من الفضل حسب الأوضاع والظروف يقول فرهاد  
(Prahlad) لابن ابنه بالي (Bali) وهو يعظه:

"أيقن على هاتين الحقيقتين ليست النعمة فضيلة دائما و لا العفو  
حسنة دائما".

ويقول دريودنا راويا عن ورشسفتي: (Vrishaspati)

"ليقتلن الأعداء الذين يصيبون بالتعسات والويلات خدعا أو بأسا  
بكل وسيلة".

ولأعمال الملوك تأثير في نهضة المجتمع وسقوطه: إذا كانوا خيارا  
عدولا ترقى رعاياهم وإن كانوا شرارا ظلوما تتحط فتهلك بأنواع العلل  
والبؤسات فترقب على أعمالهم لصالحهم وصالح المجتمع العام فتجعلهم ضامنين  
للعرايا على أشخاصها وأولادها وأموالها وحسناتها وسيئاتها. يقول العارف  
الصيد:

"إن الخير لا يزال ينتقص تبعة للأعمال السيئة للملوك. والشر يستمر يتوفر فلما يبلغ الأمر على المبلغ بدأ الشعب يسقط. يا أيها البرهمي! فظل النسناسون يتولدون وبدت القرحة والخدب والرؤس والعمى والصم وشُلّ الأبصار والعقام يولدون أن الرعية لتقاسى صنوف التعسات من سينات ملوكهم".

ومع أن مهابهارتا تقدر للحسنات أجورا وترى للصالحات ثمارا لا تشجع نزعة التجارة في أعمال الخير فتطلب الخير للخير نفسه وتفشل الطمع في ثماره والطموح إلى أجوره، والثمار تتبعه و الأجر تطفله بلا مرية ولكن من يعمل الصالحات ليتوخي أجورها ليس إلا .....، فما هو إلا تاجر يبيع سلعته بثمن موعود ومهابهارتا تصرح بخسارة الصفقة وتعد النزعة سوء السيرة ودنائة الخلق. يقول يدشترا وهو يخاطب السيد كرشنا:

"من يبتغي بحسناته ثمارها فيتجرها وطباعه طباع دنيء ولن يعد في الصالحين ولا ينال ثمار حسناته أبدا"

وبالجملة أن طبيبات مهابهارتا شاغلة أنماط الحسنات الفعلية والمثالية في جميع نواحي الحياة الفردية والاجتماعية أصولا وفروعا من غير تقصير ولا تقليل فتدعوا الناس إليها وتحضهم عليها ومملوءة بأشقات السيئات الداخلية والخارجية في كل المناحي بأسهاب وتكثير فتردع منها وتذر عليها وتقدر الأجر و تعد العواقب وتضرب لهم الأمثال وتمثل لهم الوقائع من الصالحين والطالحين تذكرة واعتباراً.

## النجاة:

كادت النجاة المهابهارتية أن تكون نجاة من تكرار الموالد و تواليها. أما حقيقتها فعلاً وسبيل إحرازها فتضطرب مها بهارتا فيهما. وكان الاضطراب تبعة

مباشرة لجمعها جل المذاهب النافقة في عهدا ومجاراتها ميول العامة ومسايرتها  
صنوف المعتقدات الغاشية في معظم الحلقات. إن النجاة مبنية على حقيقة الأعمال  
عندهم. قد علوا الحياة الشخصية بالأعمال مباشرة ولها وجود جوهري محيط  
بالنفوس الشخصية من أمد بعيد لم يتناه. ولم تزل تتحطم وتحدث وتتفد وتغشى  
وهي التي تقدر الموالد الناعمة أو البائسة متتابعة من الأزل إلى الأبد. ففي كل  
قالب من الحياة يتحرر المرء منها بعد ما استوفى حظه من تبعاتها مكتنزا طريفها  
يعد له قالبا آخر من الحياة وهكذا ما زالت و لا تزال تدور عجلة المولد والممات  
واستمرت عربة الحياة تتقدم للأمام وتستمر إلى أن تنقطع الأعمال وتتلاشى  
الآثار فتقف العجلة وتستقر العربة فينجو ويسكن. أما النهج المعبد لتحطيم أغلالها  
وتطهير أوضارها ولسبيل الممهد لفك قيودها وإعفاء آثارها هو التبرى من  
الميول والعواطف والتعفف من الرغبة والنفرة والتجمد عن السينات والعكوف  
على الصالحات من غير طمع في الثواب ولا رهب من العقاب لا في العاجل ولا  
في الآجل فالأعمال تتقلب لا أعمالا. لا تعقب آثار توجب مولدا آخر. وإنما  
يتأتى هذا الطور من الحياة الطاهرة من أرجاس الأعمال بالتمرينات الشاقة  
والرياضات المتعبة والتزهد عن الرغائب والتجنب عن المساوى. وأكثر نصوص  
مهابارتا يحتذى حذو هذا المعتقد العام في جل المذاهب الرئيسية في الهند في  
تخطيط سبيلها.

أما حقيقة النجاة المها بهارتية فعلا فنصوص مهابارتا متضاربة فيها  
ومعظم نصوصها يلمح إلى أن الروح الشخصى بعد النجاة يبقى متمسكا شخصها  
بفرديتها الخاصة ويحل مكانة سامية من مقر برهما.

الروح الأعلى الكون، النور الخالص والسرور الصرف والشعور  
المحض محرز أقسطه من ديمومته لا تنفذ نائلا نصيبه من سرور لا يفنى  
وظمانينة لا تبلى مستوفيا حظه من جلاله أبدية وبركة سرمدية. يقول العارف  
الصياد:

"ينبغي للناس أن يؤدوا واجباتهم الدينية باستعانة عقولهم قاصمين جميع الشهوات الدنيوية، أخذين عليهم الغفلة الصماء عنها ويستكن فيها الألم كله. العارف الذي يحب أن يحرز النجاة. وإحرازها من أصعب الأمور وأشقها. يجب أن يكون مواظبا على الرياضات صابرا ضابط النفس وأن ينزع نفسه عن غرام مولع يعلقه بترف الدنيا. ويدعون هذه باوصاف الروح الأعلى، الجنات (Gunas) أو الخصائص اللاتي نحن عالمون بها تتقلب فيه (في الروح الكوني الأعلى) إلى أجنات (Agunas) أو للخصائص فلا يتعلق بشيء و لا يشعر إلا بتوسيع بصيرتنا الروحية وتربيتها. فحالما انقشع اغترار الجهل نيل هذا الجمال الأعلى الصرف. إنما ينال الرجل وهما بالغناء عن أدوات السرور و الألم وبالشغل عن عواطف تعلقه بأمّعة الدنيا".

ويقول أيضاً في نفس هذا الحوار:

"ومن له بصيرة طاهرة يتمكن بتطهير قلبه على أن يفنى آثار أعماله حسنة كانت أو سيئة فينال الجمال السرمدى بنور روحه الباطن".

وأيضاً:

"أيها البرهمى الكبير! من له بصيرة نورانية لا يكتفى بنيل ثمار الخير ولا يرضى بها بل يصير بنور بصيرته الروحية التي هي فيه عازفاً عن السرور و الألم فسوات الدنيا لا تؤثر فيه ويظل فارغاً عن المساعي الدنيوية فلا يدع الخير ويجد متاع الدنيا كله قليلاً فيشمر ذيله للترهد في كل شيء ويجد في طلب

وسائل النجاة من دون أن يتكل على الصدقات فينتزع عن جميع  
مناحي الدنيا ويأتي السلوك في سبل السيئات ويعود صالحا برا  
فيحرز النجاة. البصيرة القلبية هي أول ما يحتاج إليه الرجل  
للنجاة. والترك والصبرهما أصلان لها وبهذه الوسيلة يقتنى  
الرجل كل ما يشتهي أما المأوى الأعلى لبرهما يا أيها البرهمي  
الصالح ! فانما ينال بإخضاع الحواس والصدق والصبر  
لاغير".

وبعض النصوص صريحة في أن سبيل النجاة هو عبادة الآباء والآلهة  
وتبجيل البراهمة من دون احتياج في التطهير من آثار الأعمال السالفة يقول  
ماركنديا:

"يا أيها الملك إنك لتصعدن من غير مرية إلى أقطار السعادة  
السرمدية جزاء بما تعبد الآباء والآلهة ومؤنة لما تبجل  
البراهمة"

وقد عد الملك نهوشا ليدشتر أعمالا توصل إلى النجاة فقال:

"الصدق و الصدقة و ضبط النفس والكف عن إيذاء الخلق  
والتثبت في الخير هي الوسائل الضامنة للنجاة من غير تخلف  
أما النسب أو الصلات العائلية فلا".

في مهابهارتا محاورات ومكالمات تردد صدى الأبنيشدات وتذكرنا  
بوحدة آتما أو الروح الشخصي وبرهما أو الروح الكلي للكون من دون اثينية و  
لو بالاعتبار. و الاثينية المحسوسة إنما هي التباس واغترار منشأها الجهل فاذا  
حقيقة النجاة ليست إلا انقشاع هذه الظلمة و زوال هذا الاغترار والسفور عن

الحقيقة الثابتة من العينية بين الإثنين. والسبيل إلى وصول هذه الحقيقة هو العلم و الإذعان بالوحدة. فطالما لا يحصل هذا العلم يستمر الرجل يتقلب في قوالب الحياة ويدور في دوائر الموالد والممات حسب أعماله من الحسنات والسيئات وحينما أذعن الحقيقة واستشعر أنه هو فقد أفلت عن الدائرة المشنومة ونال النجاة. يقول ذلك العارف الصياد:

"ولما يعكف الرجل على تدريبه الإختبار النفسى وقد أخضع حواسه التى لها أعمال موضوعية تختص بها فى الصوت والشكل وغيرهما فى أطوار وجودها الخارجى يجد نفس روجه غاشيا على العالم، والعالم منعكس فى نفس روجه. أما من هو وثيق بصلة أعماله السالفة وإن كان على أعلى مكانة من البصيرة الروحية فلا يشعر روجه إلا بوجوده الموضرى والذى روجه غير متأثر بالأطوار الموضوعية الخارجية المحيطة به لا يكون حاملا للسوات لاندماجه فى الروح الأسمى لبرهما. ومن قهر مملكة الالتباس فصالحاته النبيلة الشاملة جوهر البصيرة الروحية تتحول نورا روحياً ينور عقول الوجودات الحاسة ويسوى مثل هذا الشخص بالروح، العقل الصرف، الاقتدار الكلى على طراز من ليس له بداية ولا نهاية الموجود بنفسه الغير المتغير، الغير المتجسد، الغير المتجانس ..... بالضبط النفسى هذا لا يحرز إلا بإخضاع الحواس فحسب. الجنة والنار كلتاهما تتوقفان على الحواس. إن أخضعت تهدى إلى الجنة و إن اطلقت توصل إلى البوار. وهذا الإخضاع للحواس هى الوسيلة العليا لإحراز النور الروحى. حواسنا هى الأساس لرقينا الروحى كما هى الأساس لحطنا

الروحي. إنه ليعلق الرجل بالسيئات من غير ريب لإطلاقها  
ويحرز النجاة باخضاعها"

وقد جعل ماركنديا إفاضة مثل هذا العلم من خصائص الويدات  
وكراماتها من غير إيجاب التدريب والرياضة لإخضاع الحواس ومن دون تشديد  
في نفض آثار الأعمال السالفة فقال:

"والناس يحرزون النجاة بالعلم بالوحدة بالروح الأعلى. فبعضهم  
من حرفين (من الويدات) فقط والبعض الآخر من مئات أو  
ألف من مصاريعها. والعلم بالوحدة بالروح الأعلى هي  
العلامة اليقينية للنجاة"

وهذه النجاة مقصورة على العلم أما الجنة وسائر الملذات والنعمة فمما  
يمكن حصولها بوسائل آخر يقول ماركنديا:

"وإنما ينال الرجل الجنة بالرياضات ويفوز بالملذات لإيتانه  
الصدقات ويطهر ذنوبه بالغسل في البقاع المقدسة وأما الفوز  
بالتحرر الكامل فلا يتأتى إلا بالعلم"

هذا و التطبيق بين النصوص المتضاربة والتوفيق بين الآراء المتخالفة  
سهل بالتاويلات والتوجيهات.

## التلخيص:

موجز القول إن مهابهارتا ملحمة هندية، طويلة الأذيال بأشوات  
الأقاصيص و أخلاط الروايات للجنسيات المتباعدة و الأجيال المتنازعة الأصلية  
والدخيلة، جامعة لصنوف الطقوس والعبادات، حاوية على أنواع المعتقدات



والشعائر، الرائجة في العامة والخاصة، المتناقلة قرنا فقرنا، شاملة على أفكار حلقات متخالفة وأبحاث مدارس متضاربة، محيطة بشرائع متنافرة و أحكام متباينة، كلها بتطبيقات ضحيلة و توفيقات سطحية، فحولت الاختلاف اتفاقا، ووجهت الكثرة وحدة، و وحدت الأجيال، وجمعت الطبقات فبذرت بذرة المجتمع الهندي، وذرأت الدين الشعبي. ومهابهارتا نظام لهذا المجتمع العام وكتاب لهذا الدين الشعبي وأساس تقي لعمامة المواطنين بهذا القطر المتسع الأرجاء. وصبغتها صبغة ويديّة بل برهمية قد شيدت ما تضععت من دين البراهمة وأقامت ما ثلمت من سيطرتهم على الناس بالجمع والتعديل والتسامح والهوادة.

ولها قيمة جليّة من جهة التاريخ والجغرافيا والحضارة القديمة فتجلو عن أنساب القاطنين وأحسابهم ومآثرهم و مطالبهم وملوكهم و أمرائهم و بطولتهم و علمائهم و عرفانهم و تسفر عن الدولات و البلاد و القرى و الأنهار و الأدوية و الجبال و السهول و الاجمات و الصحارى و الحقلات و البساتين و تخبر عن القصور و الحصون و المنازل و الدور و تنبئ عن الصنائع و المتاجر و المهن و تبدى عن العواطف و العوائد و مستواهم الشعبية من الحضارة و الثقافة و جميع أدواتها و مراميتها و مناحيها.

ومهابهارتا تعرض فلسفة تركيبية، جل عناصرها مقتنصة من شوارد أفكار لحلقات عديدة ماضية ومعاصرة مع ما لها من آراء خاصة قدّمتها أثناء المكالمات و المحاورات في الكون و عله و مبدئه و منتهاه. و لا يكاد يوجد في جمهرة أفكارها أصل كلى تقتضب منها أو ترجع الكل إليها فهي آراء قد نظمت من غير سلك و وفقت من دون جامعة. أما بقاء الأعمال الشخصية وإحاطتها بالروح الشخصى و تأثيرها في الموالد الآتية و تكرار الموالد واستمرارها باستمرار الأعمال و إنقطاعها فالنجاة و التخلص بزوال آثارها، فمن المعتقدات الأساسية للفكر الهندوسى المجمع عليها ومهابهارتا تعاضدها و تناضل عنها.

دين مهابهارتا دين تكثيرى يؤول إلى التوحيد. فتعتقد في الآلهة والآلهات الكثيرة مختلفة الأعمال مستقلة في الأشغال ثم يتفلسف المعتقد فينتهى إلى

التوحيد. وقد طوت عن آلهة و أتت بأخرى وأبرزت بعضا وأخملت آخر  
وجمعت صنوف الآلهة لصنوف الأجيال من الأصلية والدخيلة وطبعت الكل  
بطابع آريائي وعرفت بالتالوث الهندي من برهما و وشنوا و شيوا واتحد الكل  
واندمجوا في ايشورا.

أما فلسفتها الأخلاقية فعست أن تكون وسطا بين التزهد والتلذذ فتجل  
التنسك والتبتل ولا تفشل التأهل والتتعم وتفرز الحياة الشخصية  
في المراحل الأربع الشهيرة وتحض على العمل بواجباتها  
الخاصة بكل منها وتوزع المجتمع في الطبقات الأربع المعروفة  
وتوجب لها العمل بالفرائض الطبقاتية وتشدد في تبجيل  
البراهمة وتجعلهم قطبا لدائرة الكون. وترى أداء الفرض لنفس  
الفرض من دون طمع و لا رهب رأس الفضائل و تأمر  
بالخيرات وتتهى عن السيئات وتشجع على العفو و الرحمة  
ولللاعنف والإحسان وتفشل عن النقمة والجفوة والعنف و  
الإساءة. وبالجملة فمها بهارتا ديوان الهند لا تغادر صغيرة ولا  
كبيرة و لها مكانة سامية في نفوس الشعب.

# صحيفة بها غود غيتا

## BHAGAVAD - GITA

حان موعدا في "فلسفة مهابارتا" بذكر بعض التفاصيل عن بهاغود غيتا (Bhagavad Gita) اي الاغنية اللاهوتية و كانت سرفاً للمذهب البهاغوتي قد فقد تفردده واستقلاله و جعل بعد التعديل بالنقص والزيادة جزءا لها بهارتا. فكتاب بهيشم (Bhishama) من مهابارتا يحتوى من فصل خمس و عشرين الى فصل اثنين و اربعين على ثمانية عشر ادياى (Adhiyaya) او ابواب من بهاغودغيتا. اما عدد مقطوعات او اشلوكات (Slokas) غيتا فسبع مائة منظومة، وفي شرح شنكرا ساريا للمنظومة مقطوعة زائدة.

اما السيد كرشنا فلم يكن من شخصيات المذهب البهاغوتي كما تقدم، بل هو من الشخصيات البارزة المهابارتية قد جعل سائقا للعربة الحربية لارجنا البطل والاله المتجسد، ونسب اليه هداية ارجنا كما استكره المجابهة والقتال بابناء عمه وشيوخه واصدقائه ووهن، فحضته على اداء واجبه العائلى من القتال والرماية مجرداً عن عاطفة الاستمتاع واصابة الضرر واداء للفرض من دون احساس المسرة بما يصيب ومن غير مرارات التألم بما يفوت بلا نظر الى ان يُقتل او يقتل.

### غيتا و ما حتما

ليست منظومة غيتا بنفس مادتها فلسفة بل هي هداية لصنوف الناس؛ افرادهم ومجتمعاتهم من جنسيات مختلفة و افكار شتى و معتقدات متماثلة

ومتحالفة متضادة ومتناقضة، لها منزلة عليا في المجتمع الهندوسي عند العامة والخاصة بدون نكير، يكبرونها غاية الاكبار ويعظمونها نهاية التعظيم. تشتمل اشتات المذاهب والمسالك و توحد شملهم وتقرب معتقداتهم و رياضاتهم وقرباتهم لتوخي النجاة والفوز بالوصول والسرور الدائم في احضان الكبير المتعال.

## منزلة غيتا

غيتا عند الهندوس ليست بشروطى (Smiriti) اى التعليم البشرى (من الاله المتجسد، او الانبياء او الاولياء) الذى يشرح الحقائق المنزلة ويفصلها باعماقها، و بالجملة المنظومة من اعرف الآداب الدينية للهندوس ولها اثر بالغ فى الحياة الروحانية والفكرية والسياسية والمدنية والاخلاقية لا فى القرون الماضية بحسب بل يستمر الى الحاضر وعسى ان يبقى فى المستقبل ايضا. ويدل على قبولها العام انه قد شرحها اصحاب المذاهب المختلفة المتخالفة والمتضاربة شروحا حسب افكارهم المتوافقة والمتضادة واقدم شروحا الباقية شرح شنكراساريه (Shankaracharya) القائل بوحدة الوجود وانتفاء العالم الحسى حقيقة، أما المرئي وجوده، فمنشأه الجهالة فاذا زال بقضه وقضيفه ولا يكون فى الكون الا الواحد المقدس عن شوائب الشركة والاثينية "و انت هو". وشرحها شرحا يوافق فكره واول ما يخالف الفكر. ومرت القرون وسلسلة الشروح والتعليقات والدراسات مستمرة حتى القرن الحاضر.

## مصادر غيتا

غيتا هى سفر المذهب البهاغوتى و قد جعلت جزءا لمهابهارتا كما قلنا ولا يمكن احصاء جميع مصادرها، فانها و ان عدت فى الآداب الدينية للأرييين ولكن الاغلب ان فيها بقايا من آراء الهنديين القدامى من غير الأرييين. قد قبلها الأرييون وصبغوها بصبغتهم ولا نعلم مصادرها القديمة، وغيتا لا تمثلها بل تمثل الدين الهندوسى بجل طوائفه و مدارسه الفكرية المالوفة حين ذاك. اما مصادرها

الهندوسية الآريانية ففحصها واحصائها عسير جدا. فانها لا تذكر ما اخذ منها بعينها بل بعد التعديلات بالنقص والزيادة و تاخذها كأنها تصورات مستقلة وتقطعها عن الصلة بماخذها و عما قصدت بها هناك. اما التصورات الويدية والابن شدية فمن مصادرها الهامة. والمدارس الست للفلسفة الهندية فمتأخرة عنها والاشتراك في بعض تصوراتها فصدفة غير مأخوذة منها.

وغيتا توحد التصورات المتضادة و تعد لها و تجمعها وتتسامح في انسجامها تيسيرا لسبيل النجاة زعما ان السبل كلها تهدي اليها وتنتهي الى الوصال بالمتعالى الكبير والانجذاب فيها المؤبد؛ السرور الدائم والبقاء المستمر بالالوهية الصرفة من غير عود الى عجلة الحياة والممات و تمحو الأعمال بتبعاتها. فغيتا جمهرة المعتقدات النافقة فى المجتمع الهندوسى وتصويب لجل الاعمال والخيرات والرياضات الرائجة فيه و تجمعها من غير توفيق بينها و دفع التضاد عنها. اما وحدة وجود الكبير المتعالى المقدسة عن شوائب شركة الوجود بالعالم كما ينسب اليها شنكراساريه فى شرحه لها بتاويلات باردة وتوجيهات بعيدة ويزعم ان وجود العالم المحسوس غير حقيقى، مجرد خلق الجهالة فليس من معتقدات غيتا بل هي قائله بتثويتها وجودا و واقعيتهما ذاتا.

ء

## دعوة غيتا الرئيسية

تدعو غيتا دعوة رئيسية الى العمل بالواجبات واقدمها الواجبات العائلية، والعمل الذي تدعو اليه غيتا هو العمل المجرد عن تمنى النفع وتخشى الضرر، الخالى عن رجاء الفوز والخوف من الخيبة، لا فرح بالفوز ولا حزن بالخيبة، الاستقامة من غير سرور بما حصل ولا حزن بما فات، انما الهدف هو اداء الفرض فحسب

مثل هذا العمل الغير الجانبى لا يتبعه الثمرات ولا يعقبه التبعات وينجى صاحبه من المساييرة بعجلة الحياة والممات واستمرار التقمص بالابدان تبعا للاعمال و يوصل الى السكون الدائم والسرود المؤبد بالانجذاب فى الكبير

المتعالى والاتحاد باللاهوت والخروج عن الناسوت وهذا هو الغاية المتوخاة  
والنهاية المبتغاة لغيتا.

## صلة غيتا بمهابهارتا

غيتا خطبات او اشلوكات (Slokas) للسيد كرشنا الاله المتجسد فى  
الذى البشرى، والتجسد لاقامة الدين والعدل وقد فساد. والخطبات تشجيع ارجنا  
وقد وهن واستكان و نبذ حذره من الاسلحة وافلت قوسه عن يده فى العربة لما  
نظر الى المتحاربين و ما وجد فيهم الا ابناء عمه و شيوخه وذوى القربى  
واصدقائه فكبر عليه القتال وامتنع فلقنه السيد كرشنا بواجبه العائلى؛ الدين  
الكشترى لاثريب عليه ولا تبعة لمثل هذا العمل والقتال، هو السبيل لنجاته، فقاتل  
وخذ حذرك من الاسلحة.

## شخصيات غيتا

اما شخصيات غيتا فاربع؛ ذريتراشتر (Dhuritarashtra) الاعمى وهو  
اول من تكلم وسئل سنجى بالعرض عليه ما يجرى بالصعيد الحربى، وسنجى  
وزيره وسائق عربته قد آتاه الويد و ياس فضيلة رؤية المجال الحربى وما يجرى  
بها بقضه و قضيضه و كرامة سماعه ما يتكلم الناس فيه ويهمسون، وهو الذى  
يروى لذريتراشتر ما جرى فى المجال من المحاربات والمكالمات وغيتا هى  
المكالمات. و ثالث الشخصيات ارجنا الذى يعرض للسيد كرشنا ما يوهنه عن  
القيام بالحرب وما يخطر بباله من الشكوك والشبهات ويسئله عنها. والرابع هو  
السيد كرشنا الذى يشجع ارجنا ويجيبه و يدفع شكوكه وشبهاته ويحضه على  
الحرب وكان غيتا كلها هى التعليم الكرشنى ولذا تسمى الاغنية اللاهوتية فانها  
كلام الاله المتجسد.

## تلخيص المحاربة

مهابهارتا محاربة عائلية بين ابناء العم من العشيرة الكشترية اخلاف الملك بهارتا؛ ابناء فاندو (Pandu) (الاصغر) و ابناء كورو (1) (Kaurava) (الاعمى)، واشتركت فيها جل الدول الهندية المعاصرة اما لنصر هذا او ذاك، ودامت الحرب لثمانية عشر يوما و انقطعت بهزيمة الكورويين. وكان باعث الحرب انه لما مات الملك فاندو، خلفه ذريتراشتر اخوه الكبير وكان لفاندو خمسة بنين و لآخيه ذريتراشتر مائة بنين اكبرهم دريوزنا (Duryodhana) فربى ذريتراشتر ابناء اخيه الخمسة وادبهم مع ابناءه المائة واحسن التربية والتاديب فشبوا. و ابناء فاندو كانوا خيارهم صلاحا وشجاعة و بطولة و معروفوا بحبهم الناس، وكان اكبرهم يوذسطرا فحسدهم دريوزنا واكتاد لا هلاكهم جميعا وبنى قصرا باقصى البلدان من مواد قابلة للاشتعال و دعا ابناء فاندو للاستقرار فيه و امر الخدم باحراق القصر حين استقرار الفاندويين فيه و احراقهم جميعا، لكن كنتى (Kunti) امهم تنبهت بالمكيدة واخبرتهم فخرجوا من القصر و فروا الى الاجمة واحرق القصر واستيقن دريوزنا حرقهم جميعا وهم بالاجمة متكرين فى ذى البراهمة محفوفين بانواع المخاوف والمتحاملين باصناف البلايا. وسمعوا يوما بأن ملكا بجوارهم يريد زواج ا - و عقد له مجلسا حضر فيه من الشبان كل من يريد الزواج بها واشترك فيه دريوزنا والفاندويون و فاز فى الامتحان المقرر للزواج ارجنا ثالث الفاندويين وحده فالقت دروفدى (Draupadi) بنت الملك عقد الزواج فى عنقه فذهبوا بها بمستقرهم بالاجمة و صاحوا بامهم: "اماه، قد أتينا بخزينة ثمينة معجبة" فقالت بغتة و لما ابصرت الخزينة ولاعلمت ما هى "بني! قسموها بينكم على السوية" فلما رأت الخزينة ندمت و صاحت "يالى! لقد صدرمنى ما صدر على غفلة و ما رثيت الخزينة و قد كان ما كان ولا منجأ الآن" فصارت زوجا للخمسة جميعا ايفاء بعهد امهم اليهم.



و حين ذاك عرف ذريتراشتر و ابنه دريوذنا ان ابنااء فاندو احياء  
وصارت مملكة عظيمة عوناهم بزواج ابنة ملكها. و اراد دريوذن ان يحاربهم  
لكن بهيشم (Bhishma) عم ذريتراشتر قد منعه عن القتال و اشار به بان يرسل  
الى ابنااء اخيه و ينصف الملك بين ابناائه و ابنااء اخيه و يدفع الفساد العائلى فقبل  
مشورة عمه، و قسم الملك باسوء قسمة فكان مقسوم الفاندويين قطاعا اكثرها اما  
جفاف او نهر جمنا فعمره و بنوا فيه بلدة بابنية شامخة رائقة معربة و سكنوا بها  
آمنين بالطمانينة الكاملة و جعلوا يوذسطر اكبرهم ملكا عليهم.

اما دريوذن فلم يتحمل سلطانهم و حسد امنهم و طمانينتهم متحابين فى  
مملكتهم و زاد بغضا و عداوة و احتال حيلة اخرى لتخريبهم. كان يوذسطر معتادا  
للقمار فدعاه دريوذن للمقامرة مع مقامر خدعة فغلب بالخدع و اخذ كل شيء، ماله  
و ملكه و نفسه و اخوانه حتى الزوج و صار الكل عبيدا لدريوذن و لكن حال بين  
الفائز و الخائب ذريتراشتر و اطلقهم و ممتلكاتهم جميعا.

و دريوذن ارضى اباه ان يأذن بالقمار مرة اخرى على ان يهجر  
المغلوب للغالب مملكته و يسكن بالاجمات و الغابات لاثنتي عشر سنة ثم يسكن  
بالبلد لسنة متتكررا لا يعرفه احد. و ان عرف فيذهب الى البادية مرة اخرى  
و يسكن بها فلعبوا و صار يوذسطر مغلوبا مرة اخرى فعادوا الى البادية، و اما  
انتهى الميعاد رجعوا الى موطنهم و استردوا مملكتهم عليهم عن دريوذن، ولم  
يجب ورفض عن الرد بشيء حتى عرض عليه يوذسترا انه يقنع بخمس قرى؛  
لكل واحد منهم قرية واحدة ليقتضوا فيها؛ فى موطنهم و مسقط راسهم بقية الايام  
بامن و عافية فلم يقبل دريوذن عرضهم و عارضه اكابر العائلة و شاوروه الى قبول  
عرضهم فما رعى و تدخل السيد كرشنا فى القضية و حض دريوذن باعطاء ما  
طلبوا ولكنه رد موعظته و أصر على الرفض و الانكار فلم يبق بد الا الحرب.  
الاهلية بين عائلة واحدة بل فى ابنااء الاعمام. وليت شعري كيف نصر دريوذن  
على الفاندويين و اعانه عليهم اكابر العائلة و أصاغرها و غيرهم من الملوك و ضم  
يعلمون ان الفاندويين مظلومون قد سلبوا وهم على الحق فى المحاربة ولو لم

ينصروه لوضعت الحرب اوزارها. اما السيد كرشنا فخير دريوزن وارجنا بين نفسه وحده بدون ان يرفع سلاحا ويحارب و بين عسكريه فاختر ارجنا السيد كرشنا وجعله سائق عربته الحربية واختر دريوزن عسكريه واستعدا للحرب وجمعا انصارهما و اشار السيد كرشنا على ارجنا انه يعبد الآلهة درغا (Durga) قبل ان يبدأ بالحرب و يستمدها و يستعينها للفتح على دريوزن فعبدتها واستعانها الى ان ظهرت في السماء و قبلت دعائه و بشرته بالغبلة على اعدائه والفتح عليهم ثم غابت و عاد ارجنا مستبشرا والتقى الجمعان بكروك شيترا (Kurukshetra) المقدس و ارجنا قائد الفاندويين والسيد كرشنا سائقه وقد قامت الصفوف واستعدت، و سنجي سائق ذريتراشتر الاعمى و وزيره جالس عنده (وتبدأ الاغنية اللاهوتية او بهاغودغيتا بسؤال ذريتراشتر عما يجرى بالصعيد الحربى).

(١) ..... قال ذريتراشتر

يا سنجي ! لما التقى اسرتى وابناء فاندو بصعيد الاستقامة؟ صعيد كوروس (Kauravas) متشوقين الى المحاربة فما فعلوا؟

قال سنجي

(٢٠) فقال ارجنا و على علمه (صورة) تاج هنومان (Hanuman) ناظرا الى ابناء ذريتراشتر و قد قامو فى الصفوف واخذت الرماية تبدأ وقد اخذ قوسه.

(٢١) ويا مالك الارض! و خاطب بهذا اللفظ، هرى سى كشا (كرشنا) اذهب بعربتى يا اسى يوتا (Acyuta) (كرشنا) وسط العسكريين.

(٢٢) لارى هذه الناس الواقفين متشوقة الى الحرب، من هم، لي أن اجابهم فى هذا الجدل الحربى.

(٢٣) اريد ان انظر الى الذين قد اجتمعوا هذا مستعدين للقتال، متشوقين الى نيل ما هو عزيز لآثم قلبه؛ ابن ذريتراشترا بالحرب.

(٢٤) هري شكيشا (كرشنا) الذي خاطبه غوداكيشا (Gudakes'a) (ارجنا) ساق اغلى العربات- يا بهارتا؛ (٢)

ذريتراشترا ! بين العسكريين

(٢٥) تجاه بهيشما (Bhishma) درونا (Drona) وجميع القواد قال انظر يا

فارثا (Partha) (ارجنا) قد اجتمع هؤلاء الكورويون (هناك)

(٢٦) ارجنا رأى هنالك الآباء والاجداد والاساتذة والاعمام والاخوان والابناء

وابناء الابناء والرفقاء ايضا قائمين (في صفوف الحرب)

(٢٧) والاصهار أيضا و الاصدقاء، بكلا العسكريين فلما وجد ابن كنتي (ارجنا)

جميعهم اقرباء قائمين مصطفىين.

(٢٨) اخذه حزن شديد و خرج من فيه للحزن هذا :

حين ارى رهطى لى، مصطفىين متشوقين الى القتال يا كرشنا.

(٢٩) اعضائى ترتعد، في يذبل، جثمانى يرتعج و شعرى يقشعر على المنابت

(٣٠) غانديوا (٣) كاد أن يزلق عن يدي، وجلدى كله يحترق ولا استطيع القيام

بالتمكن، ورأسى يدور.

(٣١) واني لأجد السمات المتشائمة يا كيساوا (Keshava) (كرشنا) ولا ارى

خيلا فى قتل اسرتى لى حربا.

(٣٢) يا كرشنا! لا أمنى الفتح ولا الملك و لا الالتذاذ، يا كرشنا! ما الخير لنا

فى الملك او الاحتفاظ حتى فى الحياة؟

(٣٣) إن الذين نتوخى لهم المملكة والاحتفاظ بها، والالتذاذ منها، هم مصطفىون

ههنا بالصعيد لبذل نفوسهم واموالهم.

(٣٥) مازو سودانا (Madhu sudana) (كرشنا) لا ارضى بقتل هؤلاء حتى

لمملكة العوالم الثلاث (٤) فضلا للارض و ان هم يقتلونى.

- (٣٦) كرشنا ! كيف يمكن الالتذاذ لنا وقد قتلنا ابناء ذريتنا اشترا. انما نكسب الاثم فقط اذا قتلنا هؤلاء المبغضين.
- كيف ننتفع بهذا القربان الدموي، ما هي الغاية التي نرجو ان تنتهي اليها فوق أجساد ميتة لجميع من هم اعز علينا.
- (٣٧) فقتلنا أقربائنا ابناء ذريتنا اشترا ليس بصواب و كيف نكون مبهجين بالحقيقة ماذوا ! (Madhava) وقد قتلنا رهطنا.
- (٣٨) وان لم يرالذين غلب على قلوبهم الطمع، خطيئة في اباده اسرتهم وجريمتهم في الغدر باصدقائهم.
- (٣٩) ألم يكن احرى بنا؛ بالذين يرون اباده الاسرة، خطيئة ان نتعقل ونضرب صفحا عن هذا العدوان، جنارنا! (Janardana) (كرشنا)
- (٤٠) بابادة العائلة تتعطل الضوابط القديمة و بتعطيلها تصير العائلة جميعها فوضى.
- (٤١) ولما تغشى الفوضوية عائلة تصير نساها فاحشات و حينما اصبحن فاحشات الطبقي بشيع الاختلاط (والفساد) وارشنيا (Varshneya) (كرشنا)
- (٤٢) وهذا الفساد يذهب بالاسرة انى جهنم كما تذهب بالذين هم ابادوها، لان ارواح اسلافهم تبقى غير محتظين بتقديمهم لهم الارز والماء.
- (٤٣) بسوء اعمال الذين ابادوا الاسرة و افسدوا الطبقاتية تذهب القوانين القديمة الطبقاتية والعائلية.
- (٤٤) وقد سمعنا ما يقال يا جنارنا ! ان الناس من عائلات قد تفقدت قوانينهم، ما لهم الا ان ياووا بجهنم
- (٤٥) يا اسفا! ما اكبر نوبا، قد عزمنا ارتكابه، جاهدين قتل رهط انفسنا لطمعنا الاستلذاذ بالملك.
- (٤٦) افضل ما يكون لى ان يقتلنى ابناء ذريتنا اشترا فى الحرب بالاسلحة فى ايديهم و انا اعزل غير مدافع.

(٤٧) بعد هذا الخطاب بصعيد الحرب سقط ارجنا في مقعده على العربة ورمى

قوسه وسهامه، و روحه مغطية بالحزن.

هنا قد تم الباب الاول من الاغنية اللاهوتية، وله قيمة جذرية في

الاغنية، ارجنا في عربته الحربية قائدا وقد استعد للحرب بعد حصول البركة

والبشارة بالفتح من الالهة درغا، واصطف العسكران اذراى من وسط الصعيد

عسكر ذريوننا وفيه اسرته التي يقاتلها. فساءه قتالهم و غشيه الحزن والكابة

وعزم على ترك القتال و عرض على السيد كرشنا معاذيره الجذرية. والابواب

الباقية السبعة عشر فتشجيع له من السيد كرشنا على الحرب وتذكير لواجبه

الطبقاتى و هداية الى النجاة من عجلة المولد والممات والوصول الى الكبير

المتعالى والاندماج فيه والفوز بالسرور الدائم و دفاع لشبهاته واجابة لاسئلته

المعروضة عليه حيننا فحيننا وكأنها هي فلسفة غيتا، ووجهة نظرنا عليها هي هذه.

## التصورات الاساسية

التصورات الاساسية التي تدور حولها تعاليمها تفوض جميع الاعمال

الى الله، و صرف النظر عن ثمراتها الخير والشر، واداء الفرائض والواجبات

الطبقاتية، ثم الويدية والاتحاد بالكبير المتعالى والنجاة عن تكرير الموالد وهي

دعوة غيتا. اما تأثير الاعمال في الحياة الشخصية وتجسدها واحاطتها بالجواهر

الانساني ثم تتالى الموالد و تواترها ملائما بالتمنيات بسالفة الاعمال ثم النجاة.

والطبقات الاربع من البراهمة والكشترية والويشيين والشودرة (Kshatriyas

) و Vaishyas & Shudras Brahmanas وفرائضها المختصة بكل طبقة فمما

يتفق فيها الهندوس و غيتا لاتخالفهم فيها بل تقربها كأنها معتقدات جنسية من غير

نكير.

## يوغا

يوغا (Yoga) الوصل، ويلزمه اللزوم والقطع، قد استعمل في غيتا لرياضات عديدة تهدي الى النجاة والى العمل بصرف النظر عن خيراته وسوآته بل لمجرد اداء الواجب. وتفويض عواقب الاعمال الى الاله والارتباط به فمن التصورات الاساسية ليوغا، اما ترك العمل فغيتا لا تدعو اليه بل دعوتها العمل لكن من غير نظر الى ثمراته وعواقبه و من دون رجاء الفوز و خشية الخيبة، ويوغا ليس بترك الفرائض والواجبات بل العمل عليها بلا كسل سواء كانتا جنسية او طبقاتية بخلاف قائلي يوغا المالوف، فعندهم يوغا ترك العمل ولها عندهم تمرينات ورياضات، وغيتا تثبت البعض و تنكر البعض بنفسها من غير اتباع احد. و بالجملة في غيتا ليس يوغا باصطلاح خاص متعين المعنى بل يحتوى جميع ما ذكرنا و كاد ان يكون العمل الغير الجانبي والاستقامة فيه من دون احساس المسرة ومرارات الحزن و من غير حب ولا بغض تحضان اليه، متلازما لجميع ما تسميه بيوغا. والقنوطية البوذية فغيتا غير مشوبة بها وهي مشحونة بالرجائية. ورجائية غيتا ليست رجاء الفوز بل طمانينة لا يلحقها ابتأس والتوسل بجميع ما يقتضيه الفوز لكن بدون مبالاة بالفوز والخبية وعسى ان تكون رجائيتها سلبية.

٤

اما هذه التفسيرات ليوغا فلاتسجم بتلقين كرشنا لارجنا بعبادة الآلهة درغا، واستدعائها للفتح في الحرب، وظهورها في السماء، واجابتها دعائه وبشارتها بالفتح والاصطفاف بالمجال الحربى بعدالبشارة، الا ان يقال ان مثل هذا التلقين مما تتعارفه عامة الناس عند الاقدام على الحرب وما رقى ارجنا بعد الى درجة يعلمه كرشنا العمل الغير الجانبي العاري عن رجاء الفوز و خشية الخيبة. وكان هذا حض له على العمل من غير نظر في هذا الموقف الى العمل الذى يهدى الى النجاة وانما يريد التدريج في هدايته الى العمل الخالى عن الغرض.

## سانخيا

(Sankhya) العلم او التعقل. ليس في غيتا سانخية بالمعنى الذي تريده المدرسة الفكرية السانخية بل تريد به سبيل العلم كما تريد بيوغا سبيل العمل. والسبيلان في غيتا قد يتميزان فيقول كرشنا، فارتا! (Partha) (ارجنا) الحكمة التي اوتيتها هي الحكمة السانخية فالآن اصغ الي الحكمة اليوغية (٢-٣٩) وهذا نص باثنتينهما وقد يشتركان. كرشنا يخاطب ارجنا "يزعم الجاهل سانخيا ويوعا مختلفين واما العاقل فلا، ومن يعمل باي منهما بجد، يجد ثمراتهما كليهما (٥-٤) من يرى السبيلين، سبيل الترك (سبيل سانخيا) وسبيل العمل (سبيل يوغا) واحد، يرى (الحق) (٥-٥) وتمايز معناهما لا يضر لا تحاد الغاية، غاية كلا السبيلين هي النجاة بالوصال بالكبير المتعالى.

وقد ذكرنا ان فكر غيتا ليس بفكر المدرسة السانخية بكليتها اما بعض اثراتها في غيتا فلا يغض النظر عنها واطهرها تصور فراكرتى (Prakirti) وفروشا (Purusha) و تعدان من افكارها الاساسية. فراكرتى او مهت برهم (Mahat Brahma) (الخالق) وهو كالأنثى يدخل فيها الاله الذى كالذكر بذرة فتبدو منها ستو (Satva) العفة و رج (Rajja) العاطفة —، وتم (Tamas) الظلمة؛ الكيفيات الثلاث التى تجسد اللافانى. والستو لخلوه عن الشوائب، نور بنفسه من غير اضطراب ولا ارتعاج ويحرك النفس الى العلم والراحة. وليس فى الارض حي ولا فى السماء اله الا وهو مشغول بهذه الكيفيات الثلاث او جنات (Junas) وهى مخلوقة من دخول بذرة الاله فى فراكرتى و مخلوقة له وهو متعال عنها. ستو يعطى النفس حب العلم والسرور، و رج المولود من الامانى يحته على العمل و يجعله شخصا يتأهل للعمل، و تم يغشى نور العلم ويلقى فى الخطيات وهو مولد من الجهل، يعمى الكل ويورث النوم والوهن والجبن وقلّة المبالاة بالمعاصى. وهذه الكيفيات تغلب بعضها بعضا، فاذا غلب الستو على الرج والتم يتنور القلب بجميع ابواب الحس، و اذا غلب الرج على الستو والتم يغلب



الجد والجهد والعمل والطمع والشهوة على النفس، وإذا غلب التمس على الباقين يغلب الكسل والجهل والخطاء والمكر والاعتقاد الباطل. يقول كرشنا "الحواس عظيمة والنفس اعظم منها والعقل اعظم منه والاعظم من العقل هو (٥) (لعل المراد بهو آتما اي الروح) النفس هو سلطان الحواس ويتمتع بها بالمحسوسات المقولات التي عده غيتا هل هي متولدة من فراكرتي ام لها وجود بنفسها لم تنص بشيء، و عند السانخية المالوفة هي مولدة من فراكرتي و غيتا تتصور العناصر الخمسة و آهنكارا (Ahankara) (اي زعم الانانية) والعقل وفراكرتي المثلثن للآله. و فراكرتي المثلثن هي فراكرتي الاله الادنى، والاعلى هو عالم الروح والحياة. والجنات مولدة من فراكرتي. اما المقولات فلم تذكر انها مولدة من فراكرتي. وقد ذكرت ان فراكرتي يولد كل متحرك وكل ساكن بواسطة الاله وبالجملة ليس في غيتا شيء قد اخذته من السانخية المالوفة. والظاهر ان السانخية متقدمة ومتأخرة و هي المالوفة و غيتا قد اخذت بعض تصوراتها من المتقدمة وجعلتها جزءاً من فلسفتها والسانخية المتأخرة نشئت وارتقت من الاولى ولا تعرف المتأخرة غيتا.

والربط الجامع لجميع الالذات والآلام والتنافر والارادة والشعور والحواس، والنفس والعناصر الخمسة والانانية او اهنكارا والعقل والتغيرات التي تلحقها، هو كشتير (Kashtar) (الميدان) وكان كشتير عند غيتا يطلق على الجسم والنفس الباطني بافعاله وقواه. ولعل هذا هو فروش (Purusha) البشر؛ الجوهر الساري اللطيف كالجو. الموجود في الكل ولا بشيء. يعلم من نصوص مختلفة ان الفروش هو الاساس للحياة في الاجسام كلها ومنها حقيقة جميع الاحياء، هو يفرح ويتألم، والجنات لا يؤثره ولا يمسه. وفي (١٢-١٣) ان فروش يصاحب فراكرتي و جناته ويتأثر بها ولذا تتكرر موالده وتنص ان في الاجساد فروش اعظم لا يفعل بل يدرك وهو القيوم والمولى الكبير، برماتما (Paramatma) الروح الاعظم. فالفروش اثنان الادنى والاعلى. والادنى مختلف بين الاشخاص يفرح ويتألم ويتولا ويموت والاعلى هو برماتما لا يتأثر ولا يمسه.

الجنات، حتى لا يتغير، والفروش الأدنى يجب عليه ان يسعى للعلو عن تأثيرات الجنات والربط بالاعلى. والادنى والاعلى لايزالان يتصادمان ويجب علينا تسليط الاعلى على الادنى ليسهل علينا النجاة. ولا تصادم بين الاعلى والادنى. الجنات هى التى تنزل الادنى الى الاسفل فالاسفل، اما الاعلى فيبقى مطمئناً من غير تغير ولا تأثر. اما علمنا بهذا الاعلى فقد يكون بالمراقبة وقد يكون بالعلم الفلسفى وربما باعمالنا التى تخلو عن شوائب النفع والضرر. والعلاقة بين الادنى والاعلى، وهل الادنى واحد ام كثير كثيرة الاشخاص فغيتا ساكتة ولكن فروش غيتا ليس بفروش السانخية المتأخرة.

'مايا' قد ذكرته غيتا فى اربعة مواضع لكن لم تردمعناه الشنكرا ساروى؛ الاشتباه والالتباس والزعم الباطل بل ارادت به الجهل والقوة والتصورات الباطلة الفاسدة المتولدة من التم.

اما جنات غيتا فلا يختص تحريكها لاعمال و ميلانات خاصة بل تعم تحريكها لجميع الاعمال الخارجية والداخلية حتى الاعمال الدينية. فالعبادة والرياضة والقرايين تؤدى بالستو والرج والتم، فالتحريك و من يتأثر بالتحريك اى النفس وما يتحرك اليها كلها تتصف بهذه الجنات مثلاً الاشخاص الستويون يتقربون بالقرايين الستوية والرجويون يعبدون عبادة رجوية والتمويون يرتاضون برياضات تموية، والاعمال النفسية كالعلم والتعقل فيكونان ستويين ورجويين وتمويين، والمساکن والمطاعم والمشارب والطعام والشراب تتصف بهذه الجنات ايضاً.

## برهم

برهم (Brahma) قد يراد به فراكرتى الذى يتولد منه الجنات وقد يراد به الويدات وقد يراد به الاله نفسه المشخص، وهو اصل الكون وقيمه الازلى والابدى القائم بذاته، لاهو موجود ولا غير موجود، يحيط الكون بأيديه وارجله، بابصاره واسماعه، بوجهه ورأسه، ليس له حواس يحس بها، وبه يتنور جميع

الحسيات، وهو الغني المتعالى عن الجنات والمتلذذ بها وهو الداخل في جميع الحيوانات والجمادات ساكنها ومتحركها والخارج عنها. وهو القريب والبعيد وهو الغيب المطلق، لا يدرك للطافته ولا يتخيل وإنما يدرك ببصيرة القلب أو الوجدان وهو الواحد الذي يرى كثيرا. هو الغالب المبقى والمميت وهو العالم والمعلوم، المتعالى من الظلمة، نور جميع الانوار. وتصورات برهم هذه كلها ماخوذة من الابنى شدات مباشرة من دون نظر الى التعارض بينها.

وتنص غيتا ان من يؤمن ان الخلق الحي كله واحد و مظهر لغيرهم يصير برهم بنفسه. والنظر العميق في منظومات غيتا يدل على ان الغيب غيبان الادنى والاعلى. اما الادنى فهو الذى اظهره بصورة العالم والكون اما الغيب الاعلى فهو فوقه وهو الاساس الابدى الغير المتغير لجميع الكون ولا يبعد ان يكون برهم هو الغيب الاعلى. وهذا وإن هو جوهر عال في الاله ولكنه والغيب الادنى والارواح كلها مجتمعة مدغمة قائمة بالاله المشخص المتعالى.

## يجيه

يجيه (Yagya) اى القران وهو من الطقوس الهامة الهندوسية. له تأثير سحرى في انجاح الامانى وتحصيل المرامى، ولعله كان في بادى بدء عبادة مالية تعرض للكبير المتعالى بدءا او الالهة الأخر تأكله النار المقدسة ارضاء له اول للالهة الأخر، فصارت بصروف الازمنة مقصودة لذاته لتأثيره مباشرة في افازة المتقرب بها متمنياته، واذعنت تأثيره ماكينيا غير مخلف نتائج المتوخاة اذا عرض بشرائطه بالصحة الكاملة في التفاصيل المنصوصة. حتى ان الغلط في اللفظ بل في التلفظ او الاوانى والاشياء المطلوبة له حتى في وضعها وترتيبها يعطله عن ثمراته بل قد يقلب الاثر. ويعتقد ان الكون كله من تأثير القرابين حتى الالهة قد رقوا درجة الالهية بها وعرضها للخير او الشر سواء في تأثيرها. اما وجوبها فتأبت بالويدات وكأنها من الطقوس المجمعمة عليها من غير نكير، وغيتا توجبها، ولكن لا نص فيها على تأثيراتها الميكانيكية السحرية.

ويشترط عند غيتا ان تكون القرابين بدون رجاء ثمرتها و خشية عواقبها بل تعرض اداء للواجب، فمن يعرضها للاستمتاع وللإضرار فليس بسوى مستقيم. نعم الخير الاجتماعى لا تنكره غيتا بل توجبه وتأمّر ان يكون مطمحا ومبتغى للمتقرب.

اما قربان غيتا فأعم شمولاً واوسع مفهوماً من القربان المألوف عندهم فمن قرابين غيتا القربان البرهمنى (Brahma Yagya) اى الالهى وهو ان يفوض العبد نفسه الى برهم. وبرهم نفسه عارض القربان وهو القربان ونار القربان وبتفويضه نفسه الى برهم تمحو نفسه ويصير هو نفسه برهم. ومنها القربان للآلهة او القربان الديوى (Dev-yagya) اى القربان الالهى وتعرض النذور فيه للآلهة. ومنها قربان ضبط الحواس فتلقى المحسوسات فى نار الحواس وتعرض الحواس نفسها لنار الحواس وجميع وظائف الحس والحياة تحرق فيها وهذه النار تشعل بشعلة الاستدلال. والقربان بالامتعة وجهاز القربان ويسمى بالقربان الدروية اى القربان المادى (Dravya-Yagya)، وقربان ضبط الحواس يسمى القربان التقوى (Tapo-Yagya)، والقربان الذى يؤدى لحصول الربط بالاله الكبير هو القربان اليوغى (Yoga-Yagya)، والقربان بوسيلة الكتب الدينية هو القربان السوادهيية (Swadhyaya-Yagya) اى قربان الفكر لنفسه وذاته، والقربان الذى يتوسل اليه بالعلم والعقل يقال له القربان الجيائى (Gyan-Yagya) اى العلمى، وكل هذه الاعمال الحسنة من انواع القربان، فان تؤدى خالية عن الطمع والمخافة لمجرد اداء الواجب توصل الى النجاة و تنجى عن تكرير الموالد و تمحى فى الكبير المتعالى وتعطى الطمانينة والسرور المؤبدين ويمحو الاعمال السبب الوحيد للتكرير، و بالجملة كل عمل يرقى الروح او آتما هو قربان عند غيتا من غير تخصيص عمل دون عمل ولا ينحصر فى المعدودة المعهودة فقط.

## الدين عند غيتا

الدين او ذرما (Dharma) عند غيتا هو الطقوس النافقة المألوفة في القوم التي يقوم بها النظام الجنسي له وبها قوامه، فدين البراهمة القرايين ودين الكشترية الحرب والقتال، ودين الويشيين التجارة والزراعة، ودين الشودرة خدمة هذه الطبقات الثلاث فيجب على الكل ان يعمل على واجبه. وهذه الواجبات ان تؤدي اداء للواجبات من غير طمع الثمرات ومن دون مخافة العواقب تكفي للنجاة، والعمل عليها طمعا و مخافة فغير مرضية عند غيتا ولها تبعاتها من تكرير الموالد.

وغيتا لا تنكر العرفان بل تحت عليها ولكنها لا تدعو الى الزهد والخلع عن المشتهايات وحبس الدواعي والعواطف والقهر عليها حتى لا تبقى منها شائبة وحين ذاك ترتفع الفرائض والواجبات وهي قائمة بها، وغيتا وان تحض على التطهر من الآمال والتوقى من العواقب لكنها تصر على العمل بالواجبات الطبقاتية والجنسية النافقة منذ قديم الزمان ولا ترتفع قط ويجب القيام عليها دائما متواليا مستمرا وهذا هو الدين والذرم والتخلي عنها انحراف عن الدين والحاد عنه.

٤

## ضبط الحواس والغلبة لهما

ضبط الحواس الذي تدعو اليه غيتا كاد ان يكون متأثرة من الابنشادات والبوذية مباشرة. تقول غيتا اذا وقع النفس في فخ المحسوسات ضل العقل ولا يستقيم على موقفه ويمور ويضطرب كما تمور السفينة وتضطرب في الريح العاصف. فالعقل الذي يسعى للاستقامة ويجهد للضبط تضله الحواس التعسة، والتعلق بالمحسوسات يولد الشهوات، والشهوات تورث الغضب، وبالغضب تعمى العواطف، وعمى العواطف يذهب بالحافظة، وذهاب الحافظة يذهب بالعقل، وذهاب العقل يهلك. الانسان طبعا ميال الى السوء ومع جهده للوقاية لا يزال

يتساقط الى السفلى. لكل حس نفرة والف وكلاهما عدوان وغيتا لا تعيى عن  
تحذيرها الشهوة والغضب والطمع وتقول انها الابواب الثلاث لجهنم، فتغشى  
العقل كما يغشى الدخان النار او كما يكدر الوسخ المرآة او كما ان الرحم تغلف  
الجنين ولا يحصل اليوغ (Yoga) الحقيقى بدون ضبط الحواس.  
وغيتا تدعو الى ضبط الحواس لانه وسيلة الى الصلاح والطمأنينة  
والقناعة والتخلى عن الشهوات، ويصير الانسان اهلا لان يفوض اعماله للاله  
المتعالى دياى واجباته الجنسية النافقة المستمرة من قديم الزمان بدون الطمع فى  
الثمرات وبغير مخافة من الخيبة والحرمان. واحاسيس الحر والبرد والتلذذ والتألم  
تلونات المدركة وتأثراتها الزائلة بسرعة فلا ينبغي ان تفرع بها. والحواس هي  
التي يفنى بها غول الطمع والشهوة، لكن التسلط على شيطان الشهوة الذى هو فيه  
اعسر، ولايزال يضل بأشكال و صور ديدية مختلفة، وهو نفسه الادنى الذى لا  
يغلب عليها الا بتسليط الاعلى عليه، فاثبات الاعلى و تحقيقه واذعانه فى نفسه  
تمحو الشهوات، وهذا النفس كما انه عدوه، انه محبه. والواجب على كل واحد ان  
يجهد حق الجهد ان يعرج ويعلو ويقى نفسه عن الرق. وضبط الحواس يعينه فى  
هذا الجهاد ويأهله لان يرتبط بالكبير المتعالى ويقلب الادنى بالاعلى. ومبتغى  
ضبط الحواس وغايته ثبات النفس وتقويم العقل واستقامته وتركيز ميلانه لئلا  
يضل سبيله الى العلوم فمن يوقى نفسه و عقله عن الضلالة وعن التشفى  
بالمحسوسات فلا يتلذذ و لا يتألم بها ويستقيم، ما له الف بشيء ولا خوف من  
شيء ولا يغضب على شيء، لا يبالى اللذة و لا الالم و لا يحس بهما، لا يطمع  
ولا يحذر ويعيش عيشة آمنة مطمئنة راضية و تصير اهلا للربط بالكبير  
المتعالى. وليس منحاه اعدام جميع الاعمال النفسية وقطع الحواس عن اعمالها  
وتعطيلها بل تطهيرها عن الشهوة والطمع وتبعيدهما عن مخافة الخيبة والتهلكة،  
وتحض على حصول الطمانينة بكل حال وعدم الفرع والاستقامة فى كل رايح  
وغاد.

## غيتا والاخلاق

غيتا ليست بمنظومة فلسفية كما ذكرنا بل هي دعوة العمل وتبتداً بحض  
ارجنا على واجبه الطبقي الحرب والقتال بالذين نهبوا ماله وملكه ظلما وحرموه  
عن مسقط راسه، وان كانوا اعز أقربائه وأبناء عمه وفي عسكر هم اساتذته  
واحبابه كما ذكر. و قد انحاز ارجنا عن الحرب بهم لمجرد الدواعي الاخلاقية.  
وغيتا كلها تذكير له بواجبه الطبقاتي و تشجيع له عليه و تنشيط و دفع لشكوكه  
وشبهاته العامة والخاصة من وجهة الاخلاق والدين، والواجبات الاخلاقية النافقة  
المعروفة متصادمة بالفرض الطبقاتي وأنى يسع هذا الموقف من كرشنا  
للمعروفات من الاخلاق؟ فغيتا لا يهم بها. اما الانحياز عن الطمع وامثالها وان  
هي من الاخلاق ولكن غيتا لا يهم بها من وجهة الاخلاق بل من وجهة تخلية  
الاعمال من ثمراتها وعواقبها فتوقئها من تبعتها؛ تكرير الاموال و جعلها موصلة  
الى الكبير المتعالى والاندماج فيه.

## الجبر والاختيار

موقف غيتا في مسألة الجبر والاختيار في الافعال لا يخلو عن التضاد

تقول :

جميع انحاء الفعل انما يصدر عن جنات فراكرتى بخصوصها.

٣٧-٣

اما الذين ضلت نفوسهم بعاطفة الانانية تزعم بانى انا هو الفاعل ولكن  
الذى يعلم الخواص الحقيقية للتمايزين (اي تمايزى النفس) والاضاع لجنات  
فراكرتى واعمالها، يا ذا الأسلحة الثقيلة! (ارجنا) متفهما بان الاوضاع هي التى  
تفعل على الاوضاع، لا يظل متعلقا.

والذين قد ضلوا باوضاع فراكرتى يتعلقون بافعال متولدة منهم، ولا يكون للذين  
يعلمون الحقيقة كلها ان يهدوا عقول الذين يعلمون قليلا.



وقالت في منظومة اخرى "ان لوقوع الفعل علل خمس؛ الجسد، الفاعل، آلات الحس، واجبات الحياة والاله. والافعال كلها باعمال كل هذه. والذي يزعم ان ذات الفاعل هو الفاعل وحده لا يدرك ادراكا صحيحا". ويمكن التوفيق بين القولين بان الفاعل الحقيقي هو فراكرتى والاسباب الخمس اسباب معدة ويترتب الفعل بترتب هذه الاسباب المعده، اما ارادتنا فغير مؤثرة في الفعل او الترك. وهذه العلل الفراكرتوية تضطرننا على الفعل او الترك ونحن مضطرون و ان لم نرده. و يقول كرشنا لارجنا انك ان قلت لا احارب فهذا مجرد خدعة انانيتك فانك تضطر على القتال، لا مخلص عنه، ولا يمكن لاحد ان ينقطع عن العمل كلية فللناس ان يعملوا بتادية واجباتهم المألوفة المعمولة بها ولا فعل الا فيه عيوب ونقائص و تطهيره منها بالانحياز عن الطمع والشهوة.

ولكن ما بال غيتا تدعو الى افعال خاصة مع انها قائلة بالجبر والاضطرار، لاختيار للعبد ان يفعل فعلا بنفسه و باختياره و حينئذ تنهدم بناء الهداية واساس الامر والنهي وتلزم المفسد العديدة.

وأجيب بان غيتا وان يعلل صدور الافعال بالاسباب والعلل الغير المقدورة للعبد لكن النفس هي الهادى للافعال والمميز بين وجهات الفعل فاذا فوض العبد افعاله الى الاله واراد خلعاها عن الشهوات وعدم الانحياز فيعين الاله في مبتغاه و يوجه اعماله الى الغاية المطلوبة ويوصله الى متوخاه ويطهرها عن جميع الادناس. و مقتضى هذا الجواب ان العبد مختار في اعماله النفسية كالنية والارادة و ينوى ما يشاء ويريد ما يختار، ويلزم ان يكون الاله مستبدا بذاته غالبا على بقية العلل يحولها الى ما يشاء و يمنعها عما لم يشأ و بعد قبول هذا الموقف، فيه ما فيه و قد فصلنا البحث في كتابنا "افكار رومى".

## غيتا والحياة والممات

تنص غيتا على ان ما هو ليس بموجود لا يمكن ان يوجد وما هو موجود لا يمكن ان يفنى، وتزعم هذا القانون من البديهيات لا يحتاج الاثبات.

ويطلق القانون خاصة على آتما او الروح وهى تهدي ارجنا الى الحرب فالذين يزعمون ان آتما يفنى والذي يزعم انه يفنى آتما لا يعلمون ان آتما لا يمكن ان يفنى، فانه لا يولد و لا يموت. هو الان كما كان لا يقطع بسلاح ولا يحرق بالنار، الماء لا يذيبه والهواء لا يجففه، الجسد هو الذى يصاب او يهلك. فلا تبتئس بانك قاتل ذوى القربى فى المجال الحربى كركشيتر، فبهلاك الجسد ينتقل آتما فى جسد آخر يتولد فيه كالمرء يخلع اخلاق ثياب و يلبس جددا، لا فرق بينهما، والجسد لا يزال يتبدل دائما ففى الشباب والكهولة والشيخوخة لا يبقى كما كان وبالموت انما يتغير الجسد فحسب، وآتما لا يتغير فلا تذر القتال. انك تقتل الاجساد لا آتما. فمن تولد يموت و من مات يتولد و عجلة الموت والحياة لا تزال تدور ولا تقف قط. من برهم الى ادنى الاحياء كلهم دائرة فى العجلة لا تبقئهم باقية.

## جزاء الاعمال

غيتا قائلة بجزاء الاعمال. يقول كرشنا انه لا يضيع عمل عامل، ان خيرا فخير و ان شرا فشر. لا بأس لمن هو فى سواء السبيل و من هو فى سبيل يوغا ومات يتولد فى اسرة غنية ذى مال او فى اسرة اليوغيين العقلاء ذوى الافهام وهو على المعارج التى كان عرج عليها قبل و منها يبتدا الرقى و يعين رقيه السابق الرقى اللاحق. والتولدات المتعاقبة على الاكثر مقصورة على انجاح المرامى والمطامح اللاتى يضمرها الناس فى آخر لمحات حياتهم سواء كانت خيرا او شرا، اما الذين قد اضمروا فى قلوبهم الاله المتعالى و يركزون جميع قواهم الحيوية بين حاجبيهم و يغلبون على حواسهم بجميع ابوابها يندمجون فيه ويصيرون هو بعينه.

الذين يختارون سبيلا مظلما بالدخان فى الشطر المظلم والشمس فى الافق الجنوبى يرجعون. والذين يختارون طريقا منورا بالنار فى الشطر المنور والشمس فى الافق الشمالى لا يرجعون. وتقول فى منظومة اخرى "الذين يؤدون القربان الويدى بواجباته هم فى جنات النعيم يتلذذون بنعمائه وحين ما تنتهى

ثمرات اعمالهم الحسنة وقد تَلذذوا بها يرجعون الى الارض، والذين يختارون سبيل الشهوات و يؤدون الواجبات الدينية لمجرد الاستمتاع بالملذات يذهبون في الجنة ويرجعون لا مخلص لهم من دائرة الذهاب والاياب ابدا". ويقول كرشنا: "انا اخلق الذين ليسفكون الدماء ولايرحمون، في صورة السباع المهيبة.

غيتا جامعة لاصناف تصوراتهم لجزاء الاعمال النافقة في عهدا ولكنها لا تلتفت الى توفيقها و انسجامها، فغيتا تدعن بقانون العمل و تنص ان خلق العالم مبني على اساس العمل وتعتقد ان العمل هو الذي يشدنا وثاقه بالعالم، والوثاق متولد من الشهوة و عواطف الحب والنفرة وهو الذي يوصلنا الى التناسخ وتكرير الموالد؛ التولد والموت ثم التولد ثم الموت ويتواتران من الازل الى الابد من دون انقطاع وانتهاء.

والاعمال علل بالذات لعواقبها اوالعواقب جزاء الاعمال من الاله، ولادخل للاعمال بنفسها في العواقب فلغيتا قولان متعارضان. ثم العذاب والثواب حقيقة واقعية ام لا حقيقة لهما منشأهما مجرد جهلنا بالحقائق، والاله ليس عنده خير ولا شر وانما نحن اختلفناهما، غيتا قائلة بكليهما بدون التطبيق بينها.

## الاله والانسان

غيتا توضح علاقة الاله بالعالم وخاصة بالعالم الانساني بتشبيهها الاله بشجرة اشوتها (Ashotha) اي فيفل؛ الشجرة الهندية) اصلها في السماء واغصانها منشورة في الأرض، ورقاتها الويدات، فمن يعلمها يعلم الويدات. وقالت ان اغصانها منشورة في الاعلى والاسفل و ورقاتها المحسوسات تنمو من الجنات واصولها المنشورة في الاسفل مشدودة بعقد العالم الانساني ولا تعلم حقيقتها في هذا العالم. ووجودها و بدايتها و نهايتها تبقى مجهولة ابدا. بعد قطع اصلها الصلب بطبر عدم الانحياز الصلب ينبغي طلب هذه الحقيقة المجهولة فان حصلت فلا رجوع عنها. والاله عند غيتا يحيط العالم، وهو الذي هو جزء للعالم

المادى، ووراء هذاالعالم جزء آخر له هو قيوم هذا العالم وهو وراء الكل، وراء  
برهما نفسه و سند كل الكون.

عند غيتا هذا الاله المتعالى يتجسد و يتولد فى الارض كالإنسان، يقول  
كرشنا لما يختل الدين و تبدأ اللادينية فى العالم فاخلق نفسى، وان كنت بنفسى  
غير مولود ازليا ابديا رب كل مخلوق، ولكن بفراكرتى و مايا اتولد. ويقول لا  
شيء اكبر منى، كل شيء فى كاللآلى فى سلك العقد، انا السيلان فى الماء،  
نور الشمس والقمر، وانسانية الانسان، رائحة التراب حرارة الشمس، فهم ذوى  
الافهام، شجاعة الشجعان، قوة ذى القوة، انا الشهوات اللاتى لا تعد والخير."  
ويقول انا سار بباطنى فى العالم كله، كل الوجود فى وما خرج منى شيء و انا  
ورائهم كأنه لا موجود فى، انا قيوم كل مخلوق ولست فيهم و انا مبدعهم ويقول  
انا ابو هذا العالم و امه و قيومه وجده، انا اللفظ المقدس و.اوم، وانا الويدات وانا  
النور وانا النار وانا المولى وانا المحتظ بلذات القرابين وانا القسمة الاخيرة  
والقيوم و انا المادة المنفعلة، ومعطى النور والطمانينة والمستند والمحب، مأخذ  
كل شىء انا الفناء وانا المكان والظرف والبذر الابدى، انا اخلق الحرارة والمطر،  
انا اخلق واميت، انا الموت، لا اموت ابدا، انا الحسن والسيئ ويقول لا ينوره  
الشمس والقمر ولا النار، هذا ماوى، من وصل فيها مرة لا يرجع ويقول هذا هو  
جزء لى؛ فى الاحياء هو الحياة و يخرج الحواس الخمس والنفس (من) المضمرة  
فى فراكرتى، من فراكرتى هو (اى من) ينال التجسد ويخرج منه بحواسه الست  
كالهواء، ويخرج الرائحة من الازهار. ويقول انا الموجود فى قلوب الكل. العلم  
والازهار والحافظة مخلوقاتى وينبغى ان اعلم من الويدات وانا الذى يعلم  
الويدات، وانا الذى صنف خواتم الويدات.

وتدعى غيتا ان كل شيء هو الاله وتقول ان الاله وراء الموجودات وهو  
فيها. وتجمع آراء شتى متضادة ومتناقضة ولاتوفق بينها كأنها متوافقة. وتقول ان  
فى الاله المتعالى ترتفع جميع التضادات والتناقضات وتجتمع فيه. وهذا هو  
الاصل الكلى لجمع المتناقضات وهى عالمة بها.

## سبيل النجاة

أذنب المذنبين اذا قعد فى سفينة العلم فسوف يعبر بحر الذنوب، كرشنا يعظ ارجنا "اقتل بسيف العلم جهل القلب وابعد عنك الشكوك والشبهات كلها واعل نفسك. وهذا العلم يدرك جميع الموجودات خيرا وشرا فى الاله وهذا العلم الصحيح يمنع الاعمال عن ثمراتها و عواقبها و هذا هو النجاة". النجاة من تكرير الموالد. لكن علم الاله علمان، علم برهما كأساس جميع الموجودات كما المحنا، وعلم الاله كالباطن الذى لا يحد و لا يتصور، الموجود بكل مكان ومنذ كل موجود، الغيب المطلق وهذا أيسر العلمين عند غيتا وهذا ينجى العبد من الموت ومن بحر تكرير الموالد.

يهدى كرشنا ارجنا الى انه يذر جميع الطقوس والسبل الدينية ويربط بالاله وحده ويعدده انه بهذا القدر ينجيه. ويقول ان بهغتي (Bhagati) هو الوسيلة لعرفان الاله وبالعرفان هو يأوى به ويعود فيه ويصير ازليا ابديا. ويقول من يعبد الاله مخلصا له يصير منى (Muni) اى و لو كان سيئ العمل، امرؤ كان او امرأة. فحاشة كانت او شودر (Shudra) اى من الطبقة السفلى ينجو، و يقول من يحب الاله لا يضيع، و من تشبت بالاله ولو لم يعرفه نصيبا او لم يتمسك به بالصراط المستقيم يقبله الاله، و اى سبيل يختار الاله فهو سبيله ويقول من يعبد آلهة باطلة ضالا بالشهوات فينجيه الاله نجاه ملايمة بآلهة عبدها و يوتيه امانيه. عند غيتا خير السبل سبيل بهغتي فالذى لا ينجاز عن الشهوات والعواطف او لا يستقيم فيه فيسحبه الاله فى حيطه فيضه و بفيضه ينال العرفان باسهل طريق.

يتضح من تعديد غيتا سبل النجاة وما تضمنتها من التصورات انها جمعت آراء متضادة من غير توفيقها، و كأنها نظمت فى عصر لما نضج الفكر بعد، ولم تر الآراء والمسالك بالنظر الدقيق وكانت مختلطة والناس يعتقدون بها ويغضون الابصار عن تدافعها و عدم انسجامها و لا يلتفتون الى تخالفها وتوافقها. و مع ان غيتا ليست بفلسفة كما قلنا وانما هى دعوة العمل باى وجهة يصدر و تستند الى آراء نافقة سائدة على جمهور الناس من دون مبالاة بالتوافق والتخالف والانسجام.

# المناظر للفلسفة الهندية

(SHATH - DARSHAN)

او

## المدارس الست

مدارس الفلسفة الهندية الستة لا يمكن توقيتها، فالافكار متداخلة بعضها في بعض، و قل ان يذكروا المدارس واصحابها، ثم تشخيص الذين اسسوها ليس باقل تعسرا من توقيتها. والاظهر ان الذين تنسب اليهم المدارس مدونوها لا مؤسسوها و مفتكروها. والافكار المتداخلة كانت في حافظة شيوخ الزوايا قد حفظها منهم تلامذتهم و نشروها مندمجة منهم حفظا، وكتبت و دونت بعد قرون و افردوها لكن مازال التدخل والاختلاط بكليتهما. والافكار اثرت وتأثرت، قبلت و ردت، ابطلت و ايدت و انتقلت من سلف الى خلف كأنها متعاصرة. واستمر التدوين والكتابة بالتدرج، زيدت و نقصت و حذفت و اضيفت و تدخلت و افردت حتى تشكلت في صورة هي عندنا.

وميزة مدارس الفلسفة الهندية انها ليست مجرد فكر بل هي حياة عملية لاصحابه و هم انفسهم اسوة فعلية لافكارهم. دينهم فلسفتهم وفلسفتهم ودينهم كما اسلفنا. والمدارس الست جميعها تدعى استنادها على الويدات و تتفق في الافكار الاساسية من غير اثباتها وانتقادها، و كذلك تنقلت من الآباء الى الابناء خلفا عن سلف وقد ذكرناها سابقا.

الميزة الثانية ان الفكر الهندي يرتئ الكون مشحونا بالبؤس والالام والزللات والاضطرابات فوجهة نظرها فى الحياة قنوطية و هذه الوجة هي التي قد بعثتهم على فكر تتجيهم عن آلام الحياة واضطراباتها و تشفى صدورهم عن ان يصرعوا و يلقوا على طريق تكرار الموالد والممات فاختاروا الزهد والتعفف واتفوا عن متع الحياة ورغد العيش ليحيوا حياة سعيدة هادئة مطمئنة. وانى هذا من قنوطية الفكر الغربى.

الميزة الثالثة ان مفكرى الهندوس عللوا بوساء الحياة او تكرير الموالد بالجهل بالواقعية و الحقيقة، والادراك الصحيح بحقيقة العالم وحقيقة النفس هو الذى يحرر عن الوثاق بعجلة الحياة والممات ويؤدى إلى احضان الطمانينة والسرور اللابديتين. وفلسفتهم هي تسوية سبيل التحرر والاطلاق و تعبير صراط الطمانينة والسرور.

## المدارس الستة

المدارس الفكرية الهندية القديمة وان هي كثيرة قد نشئت وترعرعت فى زوايا شتى منتشرة فى اقطاع الهند بالاجمات والقرى معمورة بالشيوخ وتلامذتهم واتباعهم وكادت ان تكون كل زاوية مدرسة فكرية برأسها وقد اضمحل رباطها بمرور المزمان ونشأة المدارس الاخر و ترعرعها، وكانت اوثق بناء واشد انسجاما منها واشهر شيوخا، فمحت شيئا فشيئا واخذت مكانها المدارس النافقة المعروفة وهي ستة : سانخيا، (Sankhya) يوغا (Yoga) ويشيشيكا (Vaishesika) نيايا (Nyaya) فروا ميمانسا (Purva - Mimansa) وويدانتا (Vedanta)، و تعد هذه المدارس (Astica) اى ايجابية بمعنى انها لا تنكر الويدات وان لم تستمد افكارها منها، فبعضها ينكر وجود الاله.



# ١. مدرسة سانخيا

تنسب مدرسة سانخيا إلى كفيلا (Kapila) الحكيم الهندي مدون سانخيا سوترا اوسلك سانخيا (Sankhya Sutra) و يقال انها اقدم المدارس الست والمعروف انها تنكر وجود الاله و فيه خلاف بين شارحيها. وسانخيا معناه العلم الصحيح الحقيقى والعدد فإنه فلسفة عدد المقولات الخمس والعشرين. وأصل الكون عندها فروش اى الشعور الخالص و فراكرتي اى المادة، وسائر الموجودات مستخرجة من فراكرتي و فلسفتها خصوصا فلسفة فراكرتي مبنية على نظرية التعليل عندها.

## التعليل

هل المعلول موجود فى علته المادية قبل ظهوره فى الكون ام لا، سانخيا قائل بوجوده فى علته المادية بالقوة، والفاعل انما يخرج من القوة الى الفعلية ولا يوجد من اللاشئية والعدم الصرف الى الشئية والكينونة بالفعل. وللعلة الفاعلية اى الصورة شرائط و متمات اذا تمتا وجد الشئ وظهر وصار بالفعل على الفور من غير تراخ. وللعلة علاقة خاصة بمعلولها، بها يوجد منها معلولها الخاص دون سائر المعلولات لعل اخرى، فيوجد الاناء مثلا من الطين دون السيف اذا تمت شرائط وجوده و وجدت متماته الاخيرة الواجبة لوجوده، وكذا يوجد السيف من الحديد دون الاناء. وهذه النظرية اى نظرية وجود المعلول فى عليته قبل خروجه الى الفعلية تسمى ستكاريا وادا (Satkarya Vada) اى ايجابية المعلول و موجوديته.

اما قبول العلة المادية او الهولى صورة المعلول وقلبها فيها فحقيقى وواقعى. و قد خالف اصحاب وحدة الوجود السانخيين فقالوا ان العلة لا تقبل صورة المعلول حقيقة بل تبقى كما كانت، والتقلب فى صورة المعلول إنما هو خدعة منشأها الجهل باصل الحقيقة، وبعلم اصل الحقيقة تبقى العلة كما كانت

ويبقى المعلول ولا تبقى منه باقيه، كما ترى في ظلمة الليل الحبل حية و بعد انكشاف الحقيقة وارتفاع الخدعة تندفع صورة الحية ويبقى الحبل مكانها كما كانت قبل الانخداع.

## فراكرتي والجنات

اذا كان جميع الموجودات معلولات بعضها للبعض، وكي لا يتسلسل لا الى نهاية يجب ان نفرض مادة وهيولى غير معلولة قديمة وازلية وابدية وهى الهيولى الاولى، والموجودات كلها معلولات بها من غير واسطة او بواسطة، متتالية او متوازية. و فراكرتي هى المادة الاولى "الهيولى الاولى للعالم والعلة المادية له و تشمل الجسد والذهن والحواس والتعلل، فكلها معلولة لها بتركيب بعض العناصر الاخرى. وهو مادة غير شاعرة وجميع الكون موجودة فيها بالقوة ولايشعر بها وانما تصورها. يستخرج من معلولاتها الموجودة فى الكون ولها اسماء اخر من وجهاته العديدة. منها القوة والبأس او شكتى (Shakti)، رقيه خروج العالم منه الى الفعلية، وفنائه وعوده فيه و صيرورته بالقوة كما كان قبل. وهو اللطيف المهيمن الموجود بكل مكان، يوجد و يفنى متتاليا متواليا.

وفراكرتي ليس بعلة بسيطة بل هو مركب من ثلاث جنات بسيطة وهى ستوا، رجس و طمس وهو وحدة هذه الجنات المتعادلة. والجنات عند سانخيا ليست بكيفيات و اوصاف بل هى عناصر بسيطة يتركب منها فراكرتي. و يقال لها الجنات اما لانها معينة لفروشا فى مبتغاه او لانها ملتفة بعضها ببعض كالجهل والرسن. والجنات غير مشعورة بها و تستنتج وجودها من الموجودات الكائنة المعلولة لها

والعمل نفس معلولاتها، فنستخرج ميزتها بميزة معلولاتها. و جميع المعلولات اوالموجودات من العقل الى عامة المحسوسات، اما تعطى اللذة او الالم و اما لا تعطى شيئا من اللذة والالم، و نفس هذه المحسوسات تعطى اللذة او الالم و اما لا تعطى شيئا من اللذة والالم، و نفس هذه المحسوسات تعطى اللذة

لشخص والالم لآخر والثالث لا ينحاز بكليهما ويبقى غير جانبي، و نستنتج منها ان العلة الاخيرة او فراكرتى شامل لتلك العناصر كمعلولاته.

وهذه الجنات الشاملة فى تاليفات الموجودات لاسيما فى الناس قد ذكرناها فى صحيفة "غيتا" و لا نظيل الكلام هنا بذكر معانيها و اعمالها. وكل واحد منها مقرون بآخر لا تفرق ابدا يساعد او يعارض و لا يعمل احدها بدون مساعدة الآخر و معاونته كالزيت والفتيلة والشعلة فلا يتوقد السراج بدونها وهى متعارضة و متعاونة فى عمل التتوير. وكل واحد منها يغالب الآخر وجبلة المعلولات الموجودة وطينتها تعرف بالغالب منها، وان هى شاملة فى كل كائنة لكن من غير تعادل و تساو. الحسن والسيئ او اللامنحاز " الطيب والرجس او اللاجانبي وغيرها من الاوصاف مولدة من الجنات. وتتغير دائما تغيرا متماثلا او متعارضا و تتحرك ولا تسكن لمحة. عند فناء العالم تتغير متماثلة، مثلا تتغير ستوا فى ستوا و رجس فى رجس وطمس فى طمس وطيلة هذا التغير لا تحدث شيئا ولا تخلق لانه لا بد للخلق والاحداث ان تتعارض و ان تتعاون. لا كائنة تنشر و تحدث الا ان تجتمع و يغلب احدها على الاخرين، فالجنات قبل الخلق موجودة كمجموعة متماثلة لا حركة فيها اما تحركها فى انفسها فلا يفنيها. اما الكائنات من المعلولات، ذوات كانت او صفات من الصوت واللمس واللون والذوق والشم فلا وجود لها فى هذه الحالة، وهى حالة تعادل الجنات وسانخيا يسميها بفراكرتى. والتغير الآخر يقع عند ايجاد الكائنات حين يغلب احد منها على الاخرين وهذا التغير تغير المتعارضات و طيلة هذا التغير يستمر ويتالى وجود الكون ويبقى العالم و هكذا يستمر الوجود والعدم لا بداية لها ولا نهاية. "حياة ثم موت ثم حشر".

## فروش

الحقيقة الاخرى الواقعية عند سانخيا الفروش اى الذات والنفس او انا، المطلق. و وجود الذات من البديهيات ولا يحتاج الى النظر والفكر، فكل واحد

منا، رجلا كان او امرأة يعلم ويجد في نفسه أنه موجود وهذا الشيء او ذلك ملكه او ملكها. اما حقيقتها فحكما الهند مختلفون وعند السانخيا الذات والنفس غير الجسد وغير الحواس وغير مناس (Manas) اي الذهن وغير التعقل، ليس من كائنات هذا العالم و ليس يفهم، و لا مجموع عصبى ولا مجموع الشعورات المتتالية، بل هو بنفسه الروح الشاعرة، موضوع العلم او العالم لا معروض العلم او المعلوم وليس بمادة قد اتصف بالشعور، بل هو مجرد الشعور، والشعور هو جوهره و أصل ذاته لا وصفه العارض له، وليس لنا ان نقول أنه شعور السرور، الشعور والسرور شيان متميزان لا يمكن ان يكونا جوهر حقيقة واحدة وذات ماهية واحدة، بل هو مجرد شعور، محكم قائم لا يتغير و لا يفعل وهو متعال عنهما، لا يتعلق بشيء و لا يتأثر بشيء. التغيير والفعل و السرور والالم من لواحق المادة ومعلولاتها كالجسد والفهم والتعقل وهو غير معلول ازلي ابدى.

عند السانخيا الذوات ليست بواحدة سارية في الكل بل هي كثيرة كثيرة الاشخاص والأجساد لافتراق الاشخاص و تميزها في المولد والموت والعوارض واللواحق المختصة بشخص دون شخص والاختلاف الصنفى بين الذكور والاناث والنوعى بين الطيور والزحافات والبهائم و بين الناس والآلهة وغيرها من الموجودات الارضية والسماوية.

## ظهور العالم

فراكرتى هو حركى بنفسه، والا لما وجدت الحركة في معلولاته، ولا تزول وتستمر دائما حتى حين فناء العالم والا لم تعد قط. وحينما تتحرك الجنات اى تتغير وتبدأ التغييرات المتعارضة و تهتز رجس و تهزز ستو وطمس بدأ ظهور العالم وهو خروج ما هو بالقوة الى الفعل، والخروج غائبي و غايته تحصيل مناحى فروش. فراكرتى جنات، الحواس، الفهم، الانانية والتعقل كلها خدم لفروش لتحصيل غايته من المشاهدة والتجربة او الحرية من تبعات الاعمال. و قيل ان لاهتزاز جنات وهى ساكنة ولا علاقة جذرية بين فراكرتى و فروش

فالتحرك فراكرتى و بخدمة فروش و تحصيل غاياته ومقاصده ليس لها وجه وجيه عند سانخيا.

الخروج من القوة الى الفعل ليس دفعة بل تدريجا. و اول ما يخرج من فراكرتى هو مهت اى الكبير. و بحسب وجوده فى الاشخاص يقال له التعقل ويظهر بغلبة ستوا. الدين و العلم وعدم الانحياز والعلو من مقتضياته. وغلبة الطمس تقتضى الالحاد، والجهل والانحياز و السفلى وعدم الكمال. والتعقل غير فروش او الذات وهو مسيطر على جميع الطبيعيات و اوصافها ولكنها بنيان جميع اعمال التعقل للاشخاص وهو اقرب من الذات بحيث ينعكس فيه شعور الذات و تعمل الحواس والذهن للتعقل، والذهن يعمل تلقائيا للذات فيفرق بين نفسه و بين فراكرتى.

والمعلول الثانى هو آهناكارا او انا، و يخرج مباشرة من مهت و عمله احساس الانانية. و آهناكارا هو الذى يلقى الذات فى اغلوطه ان الاعمال لها وهى التى تشتهى الغايات والمطامح و تجتهد لها و تدعن ان الاموال والاملاك لها. و آهناكارا على ثلاثة انحاء، حسب غلبة احد من الجنات على الآخر. فاذا غلب ستو على الباقيين يقال له ستويكا اى الستوية، و اذا غلب رجب يقال له رجب، و اذا غلب طمس يقال له طمس. والاول منه يتولد الحواس الخمس واعضاء العمل الخمسة والذهن و منه تصدر جميع اعمال الخير و من غلبة طمس تظهر العناصر اللطيفة الخمسة، ورجس متعلق بالاول والثالث و يعطيها القوة الواجبة لتغير ستو و طمس لتوليد معلولاتهما.

## العالم او الكون

مبنى خروج العالم من القوة الى الفعل او وجوده خمس و عشرون مقولة وهى ١- فراكرتى - (الهيولى الاولى) ٢- مهت (الكبير) ٣- آهناكار (الانانية) و من آهناكار، ٤- مناس (الذهن) ٩- الحواس الخمس - ١٤ الاعضاء المحركة الخمسة، ١٩- تن ماتراس (الاشياء فى انفسها اى جوهر الحواس الخمس

واصولها الباطنية الخمسة و من تن ماتراس ٢٤- مهابهوتاس اى العناصر  
الخمسة الكثيفة من الارض والماء والنور او النار والهواء والجو- ٢٥ فروش.  
وقد سبق ان خروج العالم غائبي ليس بعيب، بل لكل شيء يتولد غاية  
وان لم تشعر، وليست متوخاة نفسه بل لفروش اما للتذاه و اما لنجاته من تبعات  
اعماله الحسنه او السيئة. فمصير العالم وكل شيء فيه الى مناحى فروش  
ومقاصده السفلى كانت من الالتذاد و الفرح، او العليا من النجاة من تكرير الموالد.

## العلم

عند سانخيا وسائل العلم الصحيح ثلاث : الاحساس والاستنباط  
والمستندات، والمراد من العلم الصحيح العلم المحدد المصاب لشيئ بتعديلات  
الفكر المنور بنور شعور الذات فان الفكر عند سانخيا ليس بشاعر بنفسه بل  
تتجلى فيه شعور الذات، والذات لا تشعر الاشياء بنفسها بل بواسطة الحواس  
والذهن والفكر. يتصور الذهن، والفكر يعمل فى محتوياته بنور الذات وشعورها.  
ولابد للعلم الصحيح من عالم و معلوم و وسائل العلم. والعالم هو الذات وحدها.

## الاحساس

الاحساس عرفان الشيء مباشرة بالتلقى باحدى الحواس، والاحساس  
نوعان؛ مبهم غير محدد وغير متميز كالاحساس فى لمحة التلقى؛ احساس شينة  
الشيء من غير تعيينه بهذا اوداك ولا يمكن لنا ان نحكم عليه بشيء او نعبر  
احساسنا لاحد. ومحدد متميز و متعين بان المحسوس هذا او ذاك ولنا ان نحكم  
عليه بهذا او ذاك و يمكن لنا ان نقول عنه انه انسان او زيد او عمرو مثلا.

## الاستنباط

وهو العلم بالمجهول وغير المحسوس بواسطة المعلوم والمحسوس  
لعلاقة بين المعلوم والمجهول فيوصل المعلوم الى المجهول لعلاقة كلية بينهما

تستخرجها بالاستقراء. والا استنباط ينقسم الى قسمين المثبت ان كان مبنيا على قضية موجبة كلية والمنفى ان كان مبنيا على قضية سالبة كلية. والمثبت ينقسم الى فرواوت (Purvavat) اي الملازمة كاستنباط النار من رؤية الدخان وسامانيا تودرستا (Samanya todrista) اي التمثيل كاستنباط وجود آلات الحس من امثلة ضرورة الآلات لاعمال كثيرة متنوعة كالمدية للقطع والمدق للدق والقوس للرماية فنستخرج من مثل تلك الامثلة انه لا بد للحس من آلة. والقسم الآخر للاستنباط اي المنفى، وهو اثبات شيء بنفي جميع متبالاته المحتملة كاثبات ان الصوت وصف لانه ليس بمادة ولا فعل ولا علاقة بين الشينين ولا شيء غيرها، فاذا انتفى جميع المحتملات ثبت انه وصف لا غير.

اما الشكل المنطقي للاستنباط فيقولون ان القياس المؤلف من مقدمات خمس اقرب ايقانا بنتيجة الاستنباط السانخيائية.

## المستفادات

ثالث وسائل العلم الواقعي المستندات والملفوظات، وهي ذكر ممن يعتمد عليه و يوتى علم اشياء و موضوعات لا يمكن علمها بالاحساس او الاستنباط، وهي كلام مركب من الالفاظ الموضوعية بترتيب مخصوصة وهي ملفوظات شروطى والويدات، و بها نعلم ما لا يعلم بالحواس الظاهرة والباطنة كليهما ولا بالاستنباط والاستخراج. وهي مقدسة عن النقائص والشوائب اللاتى تلحق كلام الناس ولا تحتمل الغلط، و تشمل على ملهفات الرائيين المتتورين بنور القدس اي الرشيين و هذه الملهمات عالمية دائمة لاتتأى بشعور الافراد و ارادتهم وليس بقديمة ازلية فانها اخرجت للناس من افواه الاولياء والقديسين، و تناقلت محفوظة على لسان الهداة الصادقين المتتورعين بالتتالى عقبا بعد عقب.



## الوثاق والنجاة

العالم مشغول بالآلام واحزان، اولها جسمانية و ذهنية والثانية الابتلاآت من غير اعضاء الانسان نفسه، من اسباب عادية فطرية كالناس والسباع والطيور والاشجار وغيرها والثالثة الابتلاآت من اسباب غير فطرية كالسماويات والعنصریات والاعوال وغيرها. وأنى يكون عمل الجنات، تطراً الاحزان والآلام حتى الفرح يعقب الالم، و عمل الجنات لا تخلو عنها الجنة فلا تتجى عن الالم. ومنتهى الانسان نجاته عن تلك الآلام والاحزان.

فروش لكونه شعوراً بحتاً لا يشوبه شيء كما ذكرنا، لا يفعل و لا ينحاز الى شيء و لا يتصف بصفة، ليس بزمانى ولا مكاني و هو اعلى من النقص والكمال و من الوثاق، فالتحرر منه لا معنى له للفروش. اما اذا خطأ وقوع عكس نوره او شعوره على التعقل و يجد نفسه خطاء أنه عين الاعضاء الباطنة من التعقل والذهن و انا، فيقال انه موثق و مشدود. والحق ان المشدود والموثق هو انا، لا فروش. وفروش اذا عرف ماهيته الحقيقية يعدم الوثاق و يعود كما كان دائماً. فسبب ظن الوثاق له الجهل بالحقيقة. والخلص لا يحصل بالعمل قط لا بالحسن و لا بالسئ و لا بالغير الجانبى. العمل مطلقاً خاصة الجنات والعمل هو الذى يجتلب الوثاق لا الخلاص عنه، الخلاص لا يمكن الا بالعزوف كلية عن الاعمال. والاعمال الحسنة وان تدخل الجنة والسيئة تدخل جهنم و لكن الجنة وجهنم كحياة هذاالعالم لا تخلوان عن الحزن والالم، والعلم هو الذى يهدى الى الخلاص فبناء الوثاق الجهل. والجهل انما يدفع بالعلم فعلى النفس او الروح ان يجد فى نفسه فارقا بين فراكرتى و فروش و انه هو فروش البحت المجرد من غير شائبة، لافراكرتى والمادة وهو غيره.

الاعمال و ثمراتها، الكمال والنقص، الفرح والالم كلها من عوارض "لانا". والعلم ان "لست انا، و لا شيء لى، وانا او ايجو (Ego) ليس بحقيقي"، اذا افكر عليه بالاستمرار يصير مجردا و مطلقاً غير متنازع فيه وهذا الافتكار

المستمر يهدى الى سبيل التحرر. وسانخيا تعترف بالنجاة في الحياة والنجاة وبعد  
 الممات اى اللاجسدية Jevan mukti, Videti Mukti النجاة عند سانخيا  
 العزوف الكامل، التحرر من جميع الآلام وعود فروش الى ماهيته المجردة اى  
 الشعور البحت وتعدم الفرح والسرور المولدان من الجنات والتحرر تحرر من  
 الجنات.

ويعتقد سانخيا ان الوثاق والتحرر ظاهرتان، و وثاق فروش اكدوبة  
 فحسب، انا او ايجو معلول فراكرتى هو المشدود وهو الذى يطلق فروش فى  
 كمال عزوفه ليس له وثاق ولا اطلاق. فراكرتى هو المشدود والمطلق.

## الاله وسانخيا

قد اختلف شراح المدرسة السانخية فى ان سانخيا مستمل على تصور  
 الاله ام لا فبعضهم قد انكروا اشتماله عليه وابطله و بعضهم اثبت الاشتمال،  
 وسانخيا المعروف المألوف يستدل على بطلان وجوده بان الكون سلسلة العلل  
 والمعلولات و تجب له علة تعلل بها الكون ولكن الاله براهمن لا يمكن ان يكون  
 علة لكون، وهو ازلى و ابدى قديم غير متغير و من لا يتغير لا يكون علة فاعلية  
 لشيء فضلا عن جميع الكون. فالعلة الاخيرة للكون فراكرتى القديم مستمر التغير  
 على الدوام، المادة الاولى للكون كله، وعليها ردود ومعارضات قد اجاب عنها  
 مبطلو وجوده والحق ان المدرسة لا تسع فيها تصور الاله ولا يوجب تعليلها للعالم  
 بفراكرتى و عناصره الجنات الاقرار بالاله الموصوف بصفات يدعيها قائلوا  
 للاله فيه.

والمتاخرون من السانخيين جدوا و اجتهدوا لشمول تصور الاله فى  
 حيلة التعليل و جعلوه كالهادى والرقيب عليها.

## ٣. مدرسة يوغا (YOGA)

تسبب مدرسة يوغا الى فاتان جلى Patanjali الحكيم الهندي، ومدون يوغا سوترا، اللفظ يدل لغة على الاتحاد اى الاتحاد الروحي بين النفس الشخصى والنفس العالمى. ويقول فاتان جلى ان يوغا جهد الروح لحصول الكمال بالسيطرة على الجسد والحواس والذهن، وبالشعور بالمغايرة الحقيقية بين فروش وفراكرتى. وبين سانخيا ويوغا علاقة قريبة كأنهما جانبان لفكر واحد، سانخيا جانبه الروحي ويوغا جانبه العملي. سانخيا نظرية ويوغا عمل عليها، فيوغا يقرر بوسائل العلم الصحيح عند سانخيا من الاحساس والاستنباط والمستندات، ولاينكر مقولاته الخمس والعشرين. الفرق بينهما ان يوغا يقر بالاله المتعالى على سائر النفوس، ولذا قد يقال له سانخيا الالهى، كما يقال للآخر سانخيا الالحادى، فانه لا يؤمن بالاله، وان سانخيا يهتم اشد الاهتمام بشأن العلم للنجاة والاطلاق عن الوثاق. وعلى الرغم يوغا يهتم ويؤكد على العمل من التطهير والتركيز، لتحقيق الفرق والتمييز بين الذات أو النفس و بين الجسد والذهن، وبهما يحصل الاطلاق من الوثاق وتنال النجاة.

### آلات الفكر الباطنة والتعديل:

يوغا قائل بانقطاع تعديلات (سطا) Chitta اى آلات الفكر كلية بالتركيز والمراقبة، والتركيز هذه المراقبة هى يوغا حقيقة، وسطا اصطلاح يوغى، يراد به الاعضاء الثلاث الباطنة من التعقل و(انا) والذهن، ومهت Mahat او التعقل شامل لـ(انا) والذهن، وسطا اول معلول لفراكرتى بغلبة ستوا. وسطا غير شاعر بحسب ذاته ولكنه لكونه الطف مادة واقرب مكانا من فروشا ينعكس شعور

فروشا ونوره فيه فيترأى كأنه شاعر بنفسه، واذا تلاقي بموضوع يتحول في صورة الموضوع وهذه الصورة يقال لها ورتي اوالتعديل. ونور الشعور ينعكس من فروشا فينور المصورة ويقال له جنانا Janana اوالعلم. وفروش اصلا الشعور الخالص المجرد من تحديدات فراكرتي ولكن يحسب عكسه في سطا عين نفسه خطأ، ويترأى انه يقبل التغير والتعديل بنفسه. فسطا وسط طبيعي لظهور الروح فيه كالنار الغير مشكل يترأى في الحديد الحار الاحمر المستدير مستديرا ويصير الحديد البارد حارا، كذا فروشا لانعكاسه في سطا يترأى متغيرا وسطا يرى شاعرا كما ان القمر المنعكس في الامواج المتحركة يرى متحركا والامواج منورة. واذا حقق فروش انه عزوف كلية وليس الا ناظرا من غير تأثير تطورات فراكرتي يذهب الظن ان شخصية عين عكسه في سطا وينعدم التنوير وتغيب منه التعديلات اللاتي في سطا هباء منثورا. وانقطاع التعديلات عن سطا يكون بالمراقبة المستمرة وهي يوغا وهذا سبيل تطهير فروش وعوده الى هويته الاصلية اي الشعور المحض والنور المجرد.

أما تعديلات سطا فخمس: الإدراك الصحيح، الإدراك الفاسد، الإدراك اللفظي، وعدم الإدراك، والإدراك بالمحفوظات. والإدراك الصحيح ثلاثة انواع، الإحساس بالاشياء الخارجية والداخلية، والاستقطاب، والمحفوظات من المستندات. والحقيقة ان فروش خالص صاف عن الكدورات والشعور الاعلى. وسطا بانعكاس فروش فيه اوفروش المنعكس في سطا ظاهرة طبيعية وهي جيوا Jiva او انا و ايجو Ego الذي يتولد ويموت ويتناقل في الأجساد ويتألم ويلتذ ويزعم نفسه فاعلا و محتظا.

## أنحاء الاله

الام يقاسيها جيوا خمس: الاول الجهل، والثاني زعم الانانية، والثالث التعلق والانحياز والرابع النفرة والكراهة والخامس حب الحياة وخشية الممات. وسبب وثاق جيوا او النفس او انا توهمه الباطل بعينيته للتعديلات الذهنية. فالنجاة

هي إعدام هذا التوهم الباطل بعلم الفرق بين فروش وفراكرتي. والعلم هو علم بالفرق بينهما وبهذا العلم ينقطع التعديلات الذهنية. ويوغا تحقيق هذه الغاية. وللحياة الذهنية عند يوغا خمس مستويات وبحسب اختلاف المستويات غلبة الجنات المختلفة. وادنى المستويات هي الاضطراب الذهني لغلبة رجس، ثم الكسل والنعاس لغلبة طمس، ثم التحير لغلبة ستوا، ولكن رجس يتخلل حيناً فحيناً، ثم التركيز لغلبة ستوا كلية لمغلوبية رجس وطمس، ثم التقيد وهو اعلى المستويات، وفي هذا المستوى تنسد التعديلات الذهنية ولكن تبقى الارتسامات المضمرة الموجودة بالقوة، أما الثلاث الاولى فلاسبيل الى الحياة اليوغية والاخريان تهديان اليها.

## الطريق المثمن لضبط سطا

مايطمح اليه يوغا هو السيطرة على الجسد والحواس والذهن بالضبط عليها. ولضبطها والغلبة عليها عند يوغا طريق مثمن.

(١) الاجتناب ويحتوى على خمسة احلاف جينية :

(أ) الاجتناب عن الايذاء باللسان والقلب والعمل ويقال لهذا الاجتناب اهنسا Ahinsa اى عدم العنف.

(ب) الاجتناب عن الكذب اى ستيا Satya الصدق .

(ج) الاجتناب عن السرقة اى آستيا Astya.

(د) الاجتناب عن العواطف الشهوانية اى برهما جاريابراهما Charya Brahma

(هـ) الاجتناب عن الحرص اى افارغراها Aparigraha.

(٢) تهذيب النفس، ويحتوى على الطهارة الخارجية والداخلية وعلى القناعة والشدة والمطالعة والتشوق الى الاله.

(٣) القعود بالوضع المريح الثابت.

(٤) ضبط الانفاس.

(٥) ضبط الحواس و منعها عن محسوساتها الخارجية.

(٦) تركيز الذهن على موضوع المراقبة والاستغراق.

(٧) المراقبة والاستغراق والتركز على الموضوع بحيث لا يضطرب الذهن فيه ولا يضل الفكر ولا يزل.

(٨) سماذى Samadhi الاستغراق الكامل بحيث لا يبقى الفرق بين الفكر وموضوعه ويصيران واحدا، الفكر والمفكر، والمفكر كلها يصبح عينا واحدا. وهذا ارفع منازل التركيز الذهني. ولا بد للنجاة المضي عن هذا المنزل.

وسماذى Samadhi نوعان: سماذى بالشعور، وسماذى فوق الشعور. في الأول يكون شعور الموضوع المراقب والمتفكر موجودا وفي الثاني يفوق عليه. وفي الاول المراقب والموضوع وان كانا مختلطين، والذهن مرتكز على الموضوع المراقب، ولكن الشعور بالموضوع يكون موجودا. وهو على احوال اربع :

(أ) حال كون سطا مركززا على الموضوع الثقيل كقمة الأنف او وسط الحاجبين او صورة الاله.

(ب) حال كون سطا مركززا على الموضوع اللطيف كالصوت واللون.

(ج) حال كون سطا مركززا على الموضوع الالطف ويوتى الالتذاذ كالتركيز على الحواس كالبصارة والسماعة وغيرهما.

(د) حال كون سطا مركززا على المادة اى الانانية التى تزعم الذات او النفس عينها، هو حال التواجد والجذب الشعوري والشخصية قائمة ثابتة.

وسماذى الذى يفوق الشعور حال فيه سطا مركزز على الموضوع، والموضوع والمراقب عليه مدغمان بالتمام والكمال، ولا يبقى فيه من شعور الموضوع باقية ولا تحصل التعديلات الجديدة الذهنية بل تنتهى، نعم يمكن أن تستمر فيه الارتسامات اللاتى بالقوة ولكنها تلحق الموضوع لا الشعور المتعالى وتتقطع عنه. وهذا الحال اقصى احوال يوغا، وهو جذب ونوع من الجنون

المقدس، تواجد الصوفية بكماله، و هو عسير الحصول، وبيانہ اعسر من الحصول، والذين قد حصلت لهم الحال لا يقدرّون على إبقاءه الا زماناً قليلاً. ويأخذ الجسد يتكسر ويفوزون بالنجاة الكاملة ويتحررون عن الوثاق. وبيوفا ينال اليوغيون بعض مقدرات وقوات غير معتادة، ولكن ينبغي ان لا يلتفت اليها ولا يشتغل فيها، ويوقى نفسه عنها، فهذه الاعمال الغير المعتادة توقع في الفتنة والفساد ويضل عن سواء السبيل.

## الاله عند يوغا واليوغيين

عند فاتانجلي مدون (يوغاسوترا) تصور الاله ضرورة عملية يتيسر بالتشوق اليه طريق انضباط سطا، و للتأمل في الاله وجعله موضوعاً للتركيز منزلة هامة في المراقبة والاستغراق، فالانضباط وقطع التعديلات الذهنية ثم النجاة عن الوثاق. ولكن تصور الاله لا يحتاج اليه ولا يقتضيه فلسفة يوغا ولا يفيد في حل مشكلاتها. والمتأخرون من اليوغية فيثبتونه ويذهبون الا احتياجه في فلسفة يوغا.

وعند فاتانجلي الاله هو نفس فروش لكن له ميزات خاصة. انه ازلي ابدى لا يمسه وثاق ما، لا يفعل شيئاً ولا يوتر في شيء، ولا يتأثر بشيء فلا يتألم ولا يحزن، بريئ عن الارتسامات والتعديلات، وهو أعلى عن قانون العمل ومقتضياته، بصير لكل شيء، قدير، موجود في كل مكان، كامل، ذو جسد، شعور مجرد، معلم الاولياء والويدات، علامته اوم (Aum) و ليس بمبدع العالم ولا مبقية ولا مفنيه، ولا يجازى الاعمال حسنها او سيئها. ولا يُنجي احداً من الوثاق. نعم يزيل عن متشوقيه الموانع الحائلة في سبيل عروجهم، ولا يعاون تلقائياً في النجاة ولا في ازالة الوثاق. ويحدده الفروشون الغير المتناهيين وفراكرتي وسائر المستمرين وجوداً و اطلاقاً و التحديد هو كونه غيرهم وجوداً و اطلاقاً و متعالياً عليهم.

والاتحاد به والاندماج فيه ليس بمنتهى الناس يصلون اليه، بل منتهاهم مجرد ايقانهم بالفرق بينهم و بين فراكرتي، واذعانهم بانهم ليسوا بفراكرتي، وهذا الاذعان هو الذي ينجيهم عن تبعات اعمالهم من تكرير المولد والممات. و مثل هذا الإله العاطل، هو اله يوغا. وكاد ان تكون تسميته باسم الاله رسمياً، و ليس له معنى يعتد بها.



## ٣. مدرسة ويشيشيكا

### (Vaishesika)

تنسب مدرسة ويشيشيكا الى كناد Kanady مدون ويشيشيكا سوترا. ويبحث بالخصوص عن المقولات و يوضح تكثر الحواهر.

#### المقولات

المقولات الكونية او فدارثا Padartha اجناس عالية للكون يعطى بها جميع الكون. ويراد بدارثا كل شئ يتصور و يسمى ويعبر عنه. والفلسفة الويشيشيكانية هي الوحدات المتكثرة الواقعية، وفلسفة العينية والتميز اى الاجناس والفصول، و يؤكد ان اصل الواقعية مبنية على الفرق والامتياز. ومقولاته هي نوع تعديد ما يعلم وبيان الحقائق المختلفة.

والمقولات الكونية عند كناد ست، وقد اضيفت اليها بعده مقولة واحدة سلبية فصارت سبعا، والمقولات الكنادية الست ايجابية. والواقعية كلها منحصرة فيها وهي (١) المادة او الهولى والجوهر. (٢) الأعراض والاصناف او الجنات، (٣) الفعل او العمل (٤) العموم (٥) الخصوص (٦) الاضافة او النسبة الوجودية (٧) العدم. والفلسفة الويشيشيكانية كلها تعديد هذه المقولات والنظر فيها. فجميع الكون اما وجودات اعيانية كالجواهر و الأعراض واما اعدام.

## المادة

المادة او الجوهر الهولاني، ويراد بها كل ما يحل فيها وصف او فعل، بالفعل او بالقوة، ولا توجد الا محلا للأعراض والصور، وكذا الصور والأعراض لا توجد الا حالة فيها. المادة الاولى دائمة، مشخصة وغنية بذاتها، بسيطة غير منقسمة، لانهاية وذرية. والمواد الثانوية المركبة من اجزاء صغيرة متجزية، متغيرة تبديل، توجد وتتعدم. والمادة كما انها مادة للطبيعيات مادة للروحانيات أيضا وهي على تسع انحاء: (١) الأرض، (٢) الماء، (٣) النار، (٤) الهواء، (٥) الجو أو الأثير، (٦) الزمان، (٧) المكان، (٨) الروح، (٩) الذهن أو الآلات الباطنة.

العناصر الخمس هي العناصر البسيطة الغير المحسوسة الدائمة الغير المتجزية الجواهر الفردة، المشخصة. أما لأثير فليس بذرى بل عنصر لا نهائى دائم. وهذه العناصر الخمسة كلها مواد طبيعية، لها فصول تميز بها، وفصولها بالترتيب الرائحة والذوق واللون واللمس والصوت. وهذه العناصر محل هذه المحسوسات الخمس فحس الرائحة يتكون من الارض. والاشياء الأخر اللاتي لها رائحة فلا شتما لها على الاجزاء الارضية، والذائقة تتكون من الماء، واللون من النار، واللمس من الهواء، والصوت من الأثير. وذرات هذه العناصر دائمة قديمة ومركبات هذه العناصر حادثة متغيرة. اما علم وجود الذرات او الجواهر فليس بحسي بل استدلالى. والمركبات منها فمحسوسات. أما الأثير والزمان والمكان والروح أو أتما والذهن من المواد التسع فقديمة غير محسوسة بالحواس.

والأرواح او آتمات غير محدودة لا تعد ولا تحصى. والروح المتعالى واحد فيها. وكل واحد منها غير منقسمة دائمة، وهي محل الشعور، والشعور ليس جوهر الذات او النفس وليس بعرض لازم لها بل تفترق، يعرض الذات من الخارج، والا لم يفترق في النوم الثقيل ومحلها الذات فحسب، وليس من عوارض الجسم او الحواس او الذهن. وللذات عوارض آخر محلها الذهن. ومن العوارض

الهامة للذات الرغبة او الاشتهاء، والارادة وغيرها. ويستدل بوجود الآتمآت بدلائل شتى تركناها للاختصار، وكل واحدة منها منفردة بنفسها، لها آلات واذهان واعمال بالانفراد والاستقلال.

## العرض

جنا او العرض هو ما لا يوجد بنفسه بل وجوده بنفسه وجود للغير وفي الغير، ولا يوصف بوصف، ولا يفعل فعلا، ويحتاج في وجوده الى محل وموضوع، ولا يكون علة فاعلة لشيء، وانما يقال له حقيقة مستقلة واقعية لكونه متصورا ومدركا ومعبرا بنفسه من غير احتياج فيها الى المحل. ولا يلزم ان يكون قديما ويشمل الاوصاف المادية والذهنية، وهو الهيئة الساكنة لمحالها كما ان الفعل هيئتها المتحركة. وكنادا يذكر سبعة عشر وصفا، وزيد سبعة بعده، فصار اربعة وعشرين وصفا. وهي اللون والذائقة والرائحة واللمس والصوت والعدد، والجذب او المقناطيسية والامتياز او الفرق، المقارنة والمفارقة، البعد والقرب، العرفان، التلذذ والتألم، الرغبة والنفرة والجهد والكسل والرقة أو السيلان واللزوجة والسيلان والحسنة والسيئة، وتحتها أقسام كثيرة. فاللون مثلا تحته بياض وسواد وزرقة وغيرها. ولا يتعلق بهذه الاقسام واقسام اقسامها غرض علمي فأعرضنا عن ذكرها.

## الفعل والعمل

الفعل او التأثير والعمل لا يوجد بنفسه كالوصف والعرض، بل يوجد في محل جوهرى لا يفترق عنه وجودا، وقد ذكرنا في الفقرة المتقدمة انه هيئة متحركة للمادة ومحلها، وهو علة الاقتران والافتراق والوصف ليس كذلك. ويقال ان الفعل على خمس انحاء الحركة العروجية، والحركة الهبوطية، والانقباض والتمدد والتحرك المكاني او الانتقال الذهني.

## العموم

المقولة الرابعة من المقولات السبع عموم. وهو الاشتراك، نفس الاشتراك الكائن في افراد شئى يصدق على امور متعددة. والامور المتعددة بين الافراد للشئ وللإشتراك يسمى الشئ والافراد باسم واحد كالفرس والشجر والحجر والداية. ونفس هذا الإشتراك هو العموم، وبهذا الإشتراك او العموم يسمى الشئ وافرادها باسم مشترك واحد.

وليست هذه المقولة عنده ذهنيا منتزعا من الافراد، بل هو خارجي واقعي قديم، تشترك الافراد فيه، وهو منشأ انتزاع تصورنا في اذهاننا، وسار في المواد والاصاف والافعال. وهو نوعان: الأعلى والأدنى. العموم الاعلى هو عموم الوجود اوسطا، ويشمل كل شئى ولا يشمل شئى، كل عموم سواه أدنى لأن سوى عموم سطا كل عموم ينضم عددا محدودا وعموم سطا ينضم كل موجود. وكلية شئى او عمومه لايشمل كلية آخر وعموما آخر، فلا يشمل عموم الانسان وكلية عموم الشجر وكلية. والمراد نفس العموم الشامل في الكليات الطبيعية لا الكليات الطبيعية

الأثيرية ليس بعموم عندهم لانها لاتتضم فردا آخر والاضافة وان انضمت افرادا كثيرة لكنها ليست بقديمة فليست بعموم، والعدم لا يحل في شئى فليس بعموم مصطلح. ويوجد العموم في الافراد مقارنا لها لامفترقا عنها وليس بأعلى منها ولا فوقها، وهو كلية النوع لافراده واشخاصه.

## الخصوص

الخصوص خلاف العموم تصور الاشياء متميزة منفردة عن الاغيار. كل فرد من النوع الكلى له تعين وتشخص خاص به، يتعين ويتشخص به وتتكون به انفراديته. فلكل فرد له مادة قديمة متميزة، لا كما فقط بل كيفا ايضا، يحل فيها انفراديته وتعينه، ونفس التعين والانفرادية هو الخصوص. الجواهر الفرده

والذرات والارواح او النفوس والاتمات، الزمان والمكان والذهن، لكل منها انفرادية و تميز تقوم بها، وهما حقيقتان خارجتان. والذهن تنتزع من هذه الحقيقة الخارجية تصور الخصوص لا بالعكس. وهو جزئية الفرد والشخص المتميزة من نوعه الشامل و لغيره من الافراد والاشخاص.

## الإضافة

الإضافة وهي الارتباط القديم الغير المفترق وهي سير المقارنة التي هي علاقة تفرق وتبديل وعرض ووصف. والاضافة مقولة مستقلة وهي عند كنادا ارتباط بين العلة والمعلول. وعند غيره من اتباعه هي ارتباط كائن بين الاشياء الغير المفترقة وهي علاقة الظرف والمظروف ومعنى تصورنا ان هذا في ذلك. ولابدية لها ولانهاية فان المعلولات متسلسلة دائما. وثبوت هذه العلاقة استنباطنا اياها من الشئيين المرتبطين دائما. والاشياء المرتبطة دائما، الكل واجزائه، العرض ومحله، الفعل والمادة التي يحل فيها، الجزى والكلى، والخصوص والمادة القديمة.

## العدم أو الوجود

العدم أو الوجود مقولة سابعة قد اضيفت بعد كنادا، وهي مقولة سلبية اضافية، والمقولات التي تقدمت ايجابية مطلقة غير اضافية. اما العدم المطلق من غير اضافة فغير متصور بنفسه.

ومقولة العدم على انحاء: عدم شئ في شئ آخر، كالاناء يصنعه الطيان من طين، فقبل صنعه ليس في الطين. ولهذا العدم نهاية وليست له بداية، وهو العدم السابق ومنه العدم اللاحق لعدم الاناء بعد خرابه، ولهذا العدم بداية ولانهاية له، فلا يوجد هذا الاناء بعينه بعد خرابه أبدا. وعدم شئ عن شئ آخر وعدم هذا الآخر عن الشئ الاول كعدم الاناء عن الطاولة وعدم الطاولة عن الاناء، فالاناء ليس بطاولة كما ان الطاولة ليست باناء، وهو العدم المشترك فيما بين الاشياء

ولابدأية له ولانهاية. العدم المطلق عن الشيء كعدم الرقة والسيلان عن الاناء وهذا العدم لابدأية له ولانهاية بل عدم في كل زمان و مكان.

## الذرية

الذرية اوكون الاجزاء غير متجزية و جواهر فردة غير قابلة للانقسام بأى نحو من القسمة.

## العلة

وهى سابقة عندهم و مقدمة على معلولها لكنه ليس بموجود فى علقته، بل هو مستحدث فى وجوده و طريف. والموجودات المادية جميعها مركب من حصص و قطعات مادية تنتهى قسمتها الى اجزاء صغيرة جدا بحيث لا يلمس ولا يرى وتقف القسمة عليها. وهذه الاجزاء الغير المتجزئة دائمة ابدية لا يوجد ولا يفنى. الابدان والافناء مختصان بالمركبات منها. وهذه الاجزاء او القطعات من المعلول ليست بموجودة فى العلل بل مختصة بالمعلول ومستحدث فيه. وهى على اربع انحاء: هوائية\_ونارية ومائية وأرضية. والاثير بسيط لتركيب فيه وهو واحد و واسطة لاتصال الذرات وشاغل بالكل. والذرات مختلفة كيفا وكما ومتميزة بانفسها وتختلف بحسب العرض والوصف أيضا، وأوصافها وأعراضها دائمة. وذرات الهواء الطف وملموسة. وذرات النار ملموسة ذوات لون. وذرات الماء ملموسة ذوات لون وذائقة، وذرات الارض لها رائحة ايضا. وسوى هذه الاعراض للذرات كلها حركة وعدد وتميز وغيرها من الاوصاف، ومبنى خصوصيات مركباتها خصوصيات ذراتها المشتملة عليها. واوصافها الثواني كما يقولون اشكالها المستديرة، وهى متساوقة وجودا بالارواح والنفوس، وعلل مادية للكون وغير فعال، وليست لها حركة بانفسها، وتستمر غير فعالة عند التحليل، وحركتها انما يتولد بقوة غير مرئية من الصواب والخطأ الموجود من فى اشخاص الارواح وتقتضى التلذذ والتألم وهما فوق الحس.

## الاله

المدرسة الويشيشكائية تعترف بالويدات و تؤمن بانها كلام الاله وهى قائلة بتاثير الاعمال. لكن كنادا نفسه لا يصرح بوجود الاله ولا يكون الويدات كلامه، اما شارحوه فيقولون انه يريد "بكون الويدات كلامه" كلام الاله وهذا اعتراف منه بالاله كما انه اعتراف بكون الويدات مستندا عنده. ويحتمل ان يكون مراده ان الويدات كلام الرشيين او الملهمين. وايا ما كان فانه ليس من منكرى الاله. على ان كنادا يعترف بالروحانية وبكون العالم الطبيعى تابعا للنظام الاخلاقى وهذا الاعتراف دليل على كونه معترفا بالاله. والويدات وان كانت مستندة عنده لكنها ليست بقديمة، وانى استنادها اذا لم تكن كلام الاله؟

والاله قديم بصير مليك، كامل وقانون العمل ويمثل القوة الغير المرئية للحسنات والهيئات. وهذه القوة غير شاعرة بنفسها وتحتاج الى الاله يهديها ويرقب عليها بانضباطها وانتظامها، وهو العلة الفاعلية للعالم كما ان الجواهر الفردة علة مادية لها. وهى كالارواح قديمة غير مخلوقة له وهو الذى يحرك الذرات؛ مادة الطبيعيات فتتحرك وتلتئم وبالتئامها المختلفة توجد العالم الطبيعى والمادى.

ء

## الوثاق والنجاة

الجهل هو السبب للوثاق، والعلم هو الذى ينجى عن الوثاق. بالجهل تصدر الاعمال. الاعمال حسنات او سيئات تصدر عن الرغبة او النفرة المقتضيتان حصول التلذذ او الاجتناب عن التألم. فان كانت طبق هداية الويدات تهدي الى الحسنات والا تفضى الى السيئات. حسنات الارواح وسيئاتها توجب القوة الغير المرئية الاخلاقية وتكسب الارواح ما عملت. فهذه القوة مهديّة من الاله تحرك الذرات المادية وتفضى الى المولد الآخر لتكسب ما عملت من الخير او الشر. ومادامت الارواح تكسب العمل تستمر فى سلسلة المولد والممات. وهذا



هو الوثاق وللإطلاق منه لابد أن ينقطع العمل. والعلم يهدى الى انقطاع العمل،  
بالانقطاع تنهى الحسنات والسيئات الجديدة، و بالتدرج تنعدم القديمة فتفترق قيود  
الجسد والذهن و تعود الذات الى اصلها الخالص غير شاعرة، غير حية، غير  
ملتدة، و غير متألمة غير معروضة بعرض و وصف، لاتعلم شيئا ولا تحس  
بشيئ، باقية بأشخاصها، عارية عن صفاتها كما كانت فى اصلها. وهذه نجاة  
واطلاق عن الوثاق وكأنها عدم محض.

## ٤. مدرسة نيايا (NYAYA)

مدرسة نيايا منتمية الى الفيلسوف الهندي جوتما Gotama مدون نيايا سوترا. ويعنى بنيانا البحث و الاستدلال، وهما المبحثان الرئيسيان فى الفلسفة. وهى فلسفة الكثرة الذرية والواقعية المنطقية، واقرب المدارس بويشيشكا. ويشيشكا تهتم بما بعد الطبيعات وحقيقة الوجود بخلاف نيايا فإنه يهتم بالمنطق وحقيقة العلم، وكلاهما يريان الحياة الارضية مملوثة بالآلام واحزان ووثاقا بالروح. والاطلاق من هذا الوثاق هو الفدام الآلام كلية. وهذه التحرر هو المنحى الأسنى. وعند كليهما الجهل هو المفضي الى الوثاق، والعلم الصحيح يوصل الى التحرر، فويشيشكا يؤكد على الحقيقة الواقعية ونيايا على العلم بالحقيقة. نيايا وان يقبل كثيرا من العقائد الويشيشكانية لكن يخالف فى بعض النقاط الهامة. فعند نيايا المقولات الكونية ستة عشر والمقولات السبع الويشيشكانية شاملة فيها. و وسائل العلم الواقعى عند ويشيشكا اثنان: الاحساس والاستنباط وعند نيايا اربعة : هذان والمقابلة ونصوص المستندات.

### العلم و وسائله الرابع

العلم او الشعور تصور المعروض وحضوره عالما كان او امرا خارجيا وهما مختلفان فى نفسها، متميز أحدهما عن الآخر. والتصور يكون مطابقا للواقع وغير مطابق. والعلم الواقعى يتوسل اليه بالحس والاستنباط والمقابلة والنصوص المستندة.

اذا عارض الروح بالمعروض يحصل له العلم. وعلته المعروض، وصحة الشرائط توجب صحة العلم و فسادها يوجب فساد العلم وعدم الصحة.

مطابقة العلم بالمعلوم دليل صدق العلم وعدم المطابقة دليل الكذب، والعلم الصحيح يفضى الى العمل الصحيح القويم والفاقد يسبب الخيبة والخسران. أما وسائل العلم الصحيح فاربعة كما ذكرنا.

## الإحساس

وعرف جوتما الاحساس بالادراك الواقعي لمعروضات آلات الحس وله درجتان، بغير اسم وبغير تحديدات وباسم وتحديدات كاملة. والاحساس قسم من العلم و وصف للذات والنفوس. والاحساس المعتاد يقتضى تقدم آلات الحس والمعروضات والآلات الباطنة والذات والاشتراك فى التعامل. والذات تتعرض مباشرة بمنآت Manas اى الآلات الباطنة وهى بآلات الحس وهى بالمعروضات. يستحيل احساس المعروضات بغير هذه التعرضات المرتبة. ومعروضات الحس بواسطة الآلات الباطنة والحس ترتسم فى الذات ويوجد الاحساس.

اما الاحساس الغير المعتاد فعلى ثلاثة انحاء : احساس الكليات المنتزعة من الجزئيات واحساسنا المعتاد هو احساس الجزئيات والاشخاص وعند احساسنا الجزئيات نحس الكليات الحالة فيها أولا، فعند رؤيتنا البقرة مثلا نحس بقريتها الحالة فيها أولا ثم شخصها الجزئى اى البقرة الجزئية. والثانى احساس الشئى بمصاحباته المخزونة فى الحافظة بالاحساسات السابقة مثلا نرى حجرا ومن غير ان نلمسه نحسه صلبا لمصاحبة الصلابة بالحجر فى احساساتنا السابقة قد أحسناها بالآلة اللسمية ولحق احساسنا السابق باحساسنا الحاضر فاحسناها حجرا صلبا وهكذا احساسنا بطوله وعرضه وعمقه اى ابعاده الثلاث وان لم نر جميع جوانبه واقطاره، والكل بلحوق المصاحبات واللوازم المخزونة فى حافظتنا لاحساسنا اياها سابقا وقد لحقت بالمحسوس الحاضر. الثالث من الاحساس الغير المعتاد الاحساس الوجدانى وهو حضور جميع المعروضات الكونية الحاضرة والماضية والمستقبلية عند الحس فى جميع الاحيان بالمشية والارادة او حين

التركيز على الحضور. والاحساس الوجداني الغير المعتاد ليس عاما بل مختص باليوغيين المزاولين تمرينات يوغا المنقطعين عن التألم والتلذذ ويعد من فضائلهم.

## الاستنباط

الثانى من وسائل العلم الاستنباط وهو علم شئى بواسطة شئى آخر اى الأوسط ثابت له ومحمول عليه بالدوام مثلا زيد انسان والانسان حيوان فزيد حيوان. فموضوع النتيجة أصغر ومجمولها أكبر والواسطة أوسط.

الاستنباط النيايائى او القياس النيايائى يشتمل على خمس مقدمات، هذا

صورته:

- (١) زيد فان الدعوى المطلوب اثباته
- (٢) لأنه انسان صغرى الاستنباط او القياس
- (٣) كل انسان فان كبراه
- (٤) زيد انسان ايضا نص شمول الاصغر فى الاوسط
- (٥) فزيد فان النتيجة الثابتة بالاستنباط او القياس

وهذا استنباط الجزئى من جزئى آخر بواسطة الكلى، فانسانية زيد حكم جزئى و قضية شخصية يوصل الى كونه فانيا وهو حكم جزئى بواسطة كون كل انسان فانيا وهو حكم كلى وقضية كلية حاصلة من استقراء الجزيات، والكلية الاستقرائية توصل الى الحكم بكون زيد فانيا بطريق القياس المنطقى. فالاستنباط جامع للاستقراء والقياس المنطقى لايفترق احدهما عن الآخر.

والاستنباط على ثلاثة انحاء من العلة الى المعلول، من المعلول الى العلة، وبمجرد تصاحب احدهما بالآخر دائما للتلازم بينهما كأنهما معلولان لعلة واحدة بلا واسطة او بواسطة. وبينهما تقسيمات أخر قد صفحنا عن ذكرها اختصارا وليست فيها كثير جدوى.

## المقابلة

المقابلة هي العلم بالشيئي المجهول بوسيلة اسمه الخاص المعلوم لوجود خصوصيات المعلوم في المجهول اي العلم بمراد اسم معلوم موضوع لشيئي مجهول عند طالب له لوجود ما يختص بالمعلوم معلومة فاذا احس المجهول يدرك بانه هو المراد باللفظ المجهول مراده لادراك المختصات للمعلوم فيه. فالمقابلة هي ادراك معنى اللفظ هو هذا دون غيره. فعلم ان بقرة وحشية هي بقرة تسكن في الاجمات والغابات فعند رؤيتها في اجمة وادراكها بقرة تتوحش من الناس وتهرب منهم ولا تستأنس بهم يحصل التيقن بأنها بقرة الوحش. فعند النياتية مثل هذا العلم مستقل بنفسه و وسيلة مستقلة لادراك وعند السانخية والويشيشكائية شامل في الاستنباط، و عند الميماسيسين وان هو وسيلة العلم بنفسها لكنها غير ماتريد به النياتية وسنوضحها عند الكلام على مدرسة ميمانس .

## نصوص المستندات

المراد بالمستندات الالفاظ والمتون المخزونة في حافظة الثقافات من رواة الشهادات اللفظية الملهمة من الاله نفسه او من الروايات القديمة المقبولة من سلف الى خلف كالطقوس الدينية. فالشهادات اما ويديّة وهي اعلى من ان يتطرق اليها شك وشبهة والشهادات الغير الويديّة الماخوذة من كلام الناس فتحتمل الغلط والباطل الا ان يكونوا ثقافت صادقين فيقبل قولهم في الطقوس الدينية. ويشترط في تأدية معنى يصح السكوت على متفاهمه ان تكون الجملة متناسقة الاجزاء او الالفاظ، يحتاج احدها الى الآخر، فانسان، جبل، فيل، نهر تؤدي معنى تاما يصح السكوت عليه. فالتركيب من غير علاقة بين مفرداته لا يؤدي مفهوما يفيد المخاطب بخبر او طلب. والشرط الثاني ان لايشتمل التركيب على التضاد والتناقض نحو اسق الاشجار بالنار، فالسقي والنار متضادان.

والشرط الثالث ان تكون الفاظ الجملة متتالية لاتكون بينها وقفات طويلة غير معتادة نحو آت - فى - الكتاب. والشرط الرابع لفهم المعنى المراد، العلم بمراد المتكلم اذا كان اللفظ مبهما او مشتركا او غريبا. وقد يتضح المراد بالقرائن الحالية او المقالية وقد يحتاج التعيين الى وسائل اخر كالبيان من المتكلم نفسه. القرينة الحالية كذكر وثاق الاعمال وسبل النجاة عنه والاطلاق منه "راما مطلق" اى ناج و محرر عن وثاق الاعمال. والقرينة المقالية نحو عينى رمداء اى باصرتى. والبيان من المتكلم نفسه نحو الجو اى الاثير جسمانى عندهم. وبعض هذه التراكيب و ان كانت جملة مفيدة للمعنى ولكنها ليست بجملة منطقية.

## الروح والنفس

يعتقد نيايا ان العالم ذو غاية وعلته المادية ذرات من الارض والماء والهواء والنار. وعلته الفاعلية الاله وهو قديم غير فان كالذرات المادية والارواح الغير المادية ومعنى حدوث العالم حدوث تركيبه. والارواح منكثرة تكثر الاشخاص غير متناهية مثل عدم تنامى الاشخاص والاله خارج عن الارواح والذرات كليهما ومعنى كون الاله علة فاعلية للعالم انه يهدى قوة غير مرئية وهى علة فاعلية حقيقة، الروح الشخصى محل وصف الشعور. والشعور ليس بجوهري للنفس او الروح بل هو من عوارضه الاتفاقية. والروح هو العالم، هو المتلذذ وهو الذى يمثل الفعل وهو قديم ازلى ابدى وليس بالشعور الاعلى وهو مختلف عن الاله، فان الاله هو الروح المتعالى. الادراك والتاثر والميلان عوارض الروح وهو وحدة غير متجزية تغشى الكل. وكل واحد من الارواح الشخصية له فى حياته العملية قواه الباطنية وتفترق منها عند التحرر والنجاة، وهو غير الجسد والحواس والذهن او منات. والوثاق سببه الجهل والاعمال. والتحرر والنجاة يحصلان بالعلم وانقطاع الاعمال.

## الاله

مذهب نيايا فى باب الاله هو مذهب ويشيشكا فلا نعيدها هنا.

# ٥. فرّوا ميمانسّا

## Purva Mimansa

فرّوا ميمانسّا Purva Mimansa اى الفكر المكرم المتقدم، وينتمى الى جيمنى Jaimini مدون جيمنى سوترا وهو اقدم مصنفات المدرسة، ولذا يقال لمحتوياته الفكر المتقدم، ويبحث عن الطقوس الويدية والعمل عليها ويرتب لها اصولا وضوابط لتعبير الاوامر الويدية وتشريحها عقليا ويمهد لها فلسفة تؤيد طقوس الويدات. وكما ان سانخيا ويوغا، وويشيشكا ونيايا مرتبطان بحسب الفكر كذا فرّوا ميمانسّا و ويدانتا مرتبط احدهما بالآخر فى الفكر. فميمانسّا يبحث عن اوائل الويدات اى الآيات (المنترات) وبرهمنات، و ويدانتا عن اواخرها او الابنى شدات. وفلسفة ميمانسّا فى افكارها متأثرة بنيايا و ويشيشكا. فمحتوياتها، إما مأخوذة منه وإما مبطة لآرائه

## العلم و وسائله

فرّوا ميمانسّا لاثبات استناد الويدات يبحث عن العلم ومدار صحته وغلطه و وسائله ومتعلقاته الأخرى. والعلم عنده تلقائى وغير تلقائى. والعلم الصحيح القيم ما يحصل به احضار شينى غير حاصل قبل ومن غير تضاد وتناقض بالمعلومات السابقة واللاحقة ولا تكون وسائل الحصول ناقصة ولا معيبة ويكون الاحضار واقعيا.

وعند الميمانسيين الاحضار او الادراك بنفس كونه احضارا او ادراكا واقعيا بنفسه، لا تتوقف واقعيته على ادراك آخر جديد. واقعيته بنفس واقعية علله التى يحصل بها العلم او الادراك. و جميع ادراكاتنا واقعية معتقدة الصدق بانفسها



ولنفس هذا الاعتقاد تمضي حياتنا هادئة مطمئنة. وانما تحتاج الى التشریح والتوجيه حين نجد ان علمنا غير مطابق للواقع. وعدم المطابقة للواقع اما لكون الآلات المدركة ناقصة معيبة واما لكون العلم السابق متناقضا بالعلم اللاحق. الصدق أصل والكذب خلاف الاصل وحصول الادراك هو ادراك واقعيته واعتقاد واقعية كلاهما. فالواقعية واعتقاد الواقعية لا تحتاجان الى علل اخرى سوى الادراك.

اما وسائل العلم عند مدون ميمانسا، جيمنى، فثلاث : الاحساس والاستنباط وشهادة المستندات. وقد زاد البعض المقابلة والاعتقاد والبعض الآخر زاد فيها نفى الادراك او عدم الوجود.

## الإحساس

الإحساس ادراك تلقائي بلا واسطة ويحصل اذا عارضت آلات الحس الغير الناقصة والغير المعيبة بمعرض معارضة بخصوص شرائطها الواجبة. فالنفس يعارض الحواس الباطنة والحواس الباطنة تعارض آلات الحس وآلات الحس تعارض المعارض فيحصل الادراك تلقائيا. والاحساس النياتي والميمانسي متحدان الا في بعض التفاصيل الغير الهامة، فميمانسا يظن ان السمع بواسطة المكان و نيايا يحسب انه بواسطة الاثير، وعند نيايا الاحساس الغير المشخص يستتبط من المشخص بعد التعيين باعتبار كونه اول مرحلة من المشخص لتوقف التعيين عليه وغير مفيد بنفسه، وعند ميمانسا الاحساس الغير المشخص جزء الاحساس المشخص و مرحلته الابتدائية و مفيد بنفسه فان عامة افعال الاطفال والبهائم بل البله من الناس موجهة بهذا الاحساس الغير الواضح. و كثيرا ما تصدر اعمال العقلاء ايضا اذا كانوا في عجلة او فزع بناء على هذا الاحساس المبهم.

## الاستنباط

الاستنباط عند ميمانسا لا يختلف عن الاستنباط النيايى الا فى ان مقدمات الاستنباط الميمانسائى ثلاث مع الثلاث الاول او الثلاث الاخيرة وبعض اختلافات اخرى غير معتدة بها.

## المقابلة

المقابلة الميمانسية تختلف كل الاختلاف عن المقابلة النيايية. فالمقابلة النيايية هى ادراك العلاقة بين اللفظ وبين الشئ الذى يصدق عليه اللفظ وهى ادراك المشابهة بين المجهول كالبقرة الوحشية وبين المعلوم كالبقرة الاهلية، نحو البقرة الوحشية المحسوسة مشابهة بالبقرة الاهلية المخزونة فى الحافظة. ويقول الميمانسيون ان علم العلاقة بين اللفظ وما يصدق عليه اللفظ مبنية على شهادة من اخبر ان البقرة الوحشية مشابهة بالبقرة الاهلية. ويذكر حصيلة الشهادة عند رؤية البقرة الوحشية بعلة انها بقرة وحشية ولا دخل فى هذا الادراك للمقابلة. فالمقابلة عندهم هى ادراك المشابهة بين ما هو مخزون فى الحافظة وبين ما رآه فى الغابة. نحو ان هذه الصورة التى يراها فى الغابة مشابهة بالصورة التى مخزونة فى الحافظة من صورة البقرة الاهلية، فهى البقرة الوحشية. ولا حاجة لادراك المشابهة الى اى مستند.

## نصوص المستندات

نصوص المستندات من اهم وسائل العلم عند الميمانسيين وهى ادراك اشياء هى فوق الحس ويتولد من ادراك معانى الالفاظ الدالة. وهى على نوعين شخصية و غير شخصية. الاولى نصوص الثقات والاخرى نصوص الويدات. ويحصل بها العلم القطعى بنفس كونها نصوص الويدات، والاولى فصحتها موقوفة على صدق المستنديين ويحتمل الغلط والتناقض والشك. والويدات ازلية

قديمة غير مصنفة لأحد من الناس أو الإله. والقديسون إنما وجدوها لا صنعوها، حتى إنها ليست بمنطوق الإله المتعالي ولا ترتيبه وتدوينه وهي مثله في الازلية والابدية.

والوידات تبحث عن الدين أو ذرما Dharma و موضوعاته لاتعلم من الاحساس والاستنباط والمقابلة أو بشيئ آخر من وسائل العلم الواقعي القيم وهي قطعية بنفسها والعلم الحاصل بها لا يحتمل الكذب لا والشك. وهي اما احكام او تشريحات وتوضيحات للاحكام.

النصوص ادراكات لفظية ماخذها معاني الالفاظ، والالفاظ ما يتركب منها الكلام. ويقولون ان الالفاظ والمعاني والعلاقة بينها ذاتية دائمة، واللفظ يتركب من حرفين او صاعدا وهو مجموع حروف وليس بكل وان يجب ان تكون بترتيب خاص. و وارنا Varna يراد به الصوت المتصل وهو قديم دائم، موجود بكل مكان، كامن من غير كسر و تقطيع و تلفظه ليس اصواته، وان يكتب فليست الكتابة خطه. الاصوات والخطوط عوارضه الغريبة المفارقة اللاتي يظهر فيها. وارنا غير متغير و قديم والاصوات والاشكال الخطية حادثان، متفرقتان. الاصوات المتغلظة والاشكال المخطوطة هما الدالان عليه، فان تلفظ ورننا او كتب باصوات او اشكال عديدة فالتعدد في الدوال لا في وارتا مدلولها. واللفظ الذي هو جزء ورننا القديم الغير المتغير، قديم غير متغير مثل كله اي وارنا. واللفظ (اي جزء وارنا) لا يدل على الجزئيات المتغيرة بل على الكليات الدائمة الغير المتغيرة المستمرة الموجودة في الجزئيات. والمعاني او الاشياء المدلولة عليها بالالفاظ لكونها كليات غير متغيرة قديمة والعلاقة بين اللفظ والمعنى وهي فطرية لا تفرق عنهما، كلها قديمة مستمرة. واللسان ليس بخلق الانسان ولا بخلق الآلهة بل فطري. وميمانسا لا يتبع نيايا في ان الوايدات من تصنيف الاله وحادثة. وميمانسا تحسب ان الاصوات والاشكال من عمل بشري حادثان، اما ماخذهما الالفاظ الحقيقية الويدية فقديم. وكأنهم يريدون بالوידات القديمة والفاظها ومعانيها والعلاقة بينهما القديمة كلها ما تريد الاشاعرة بالكلام

النفسي. والويدات المتلوة باصوات كثيرة والمكتوبة باشكال خطية عديدة فحادثة ولكن القديمة لفظ من غير لافظ وكلام من غير متكلم، قائم بنفسه.

## الاقتضاء

الاقتضاء وسيلة مستقلة بنفسه كالوسائل الاربع السابقة ويراد به علم شئ بواسطة معلومين سابقين غير مرتبطين لاقتضائهما علما ثالثا يزول به انفصالهما نحو زيد حي، و زيد ليس في داره، والمعلومان حسيان لنا مستقلان بنفسهما، لا ربط لاحدهما بالآخر لكن يقتضيان انه موجود في مكان آخر غير داره. وهذه القضية الثالثة صادقة متيقنة يزول بها انفصال المعلومين السابقين، وما حصلت بالاستتباط لعدم الاوسط بينهما تتوسل بها الى علم قضية ثالثة. وعند عامة الميمانسيين الاقتضاء داخلة في الاستتباط، والشكل الاستتباطي نحو هذا. جميع الاحياء الذين ليسوا في دورهم فهم في مكان آخر غير دورهم. وزيد حي وليس في داره، فزيد الحي موجود في غير داره.

## اللاوجود او عدم الإدراك

اللاوجود وجود او عدم الادراك بوجود شئ وسيلة مستقلة للعلم كالوسائل الاخرى المعدودة. ويقول قائلوها ان ادراك أن الشئ ليس بموجود وسيلة لعلم عدم الشئ. فاذا نرى ان الكتاب مثلا ليس بموجود او لم ندرك وجود الكتاب حصل لنا علم يقيني بان الكتاب ليس بموجود. اما وجود المكان الغير شاغل بالكتاب فلا يتأتى به علم عدم الكتاب بل يحصل به علم المكان الغير شاغل بالكتاب ولايستتبط علم عدم الكتاب به. اما عند غيرهم فوسيلة مثل هذا الادراك اما احساس او استتباط، او لاحاجة لهذا العلم الى وسيلة جديدة اخرى

## العالم او الكائنات

العالم حقيقة واقعية، منكثرة ويشتمل على مواد قديمة غير محدودة، وارواح او نفوس شخصية غير متناهية عدد الأحجار مع زيادة الارواح المفارقة الناحية المطلقة عن وثاقها، وعلى الجواهر الفردة او الذرات الغير المتناهية ويعتقدون بقانون الاعمال والتحرر منها وبان الجنة و جهنم متضمنتان على طاقة غير محسوسة، والويدات قديمة لا مصنف لها وحاملة بعلم صحيح قيم لا ريب فيه. والقدامى من الميمانسيين لا يعتقدون بالاله ويجعلونه مما لا يقتضيه الفكر ولكن المتأخرين منهم اثبتوه. والعالم دائم قديم لا يوجد ولايفنى متواتر متوال اما الافراد والاشخاص فتأتى وتذهب، اما الكليات دائمة فى ضمن الافراد الآتية المتوالية من غير خلو. فالعالم لا ياتى ولايذهب فهو باق كما كان ولن يلق زوالا.

## المقولات

اما المقولات فالميمانسيون مختلفون فى عددها وتعينها. عند البعض المقولات سبع : المادة والوصف والفعل والعموم والتمكن والقوة والمثابفة. الخمس الاول هى مقولات الويشيشكائية والاخيران زيادة عليهما. ومقولة الخصوص قد اشمل بعد التعديل فى مقولة التميز. وردت مقولة السلب. وعند البعض المقولات خمس: المادة، والوصف، والعمل، والعموم، والسلب بأقسامه الاربع اى المتقدم، المتأخر، المشارك والمطلق.

## الروح او النفس

الارواح او النفوس منكثرة لا الى نهاية كما ذكرنا، قديمة، حاضرة فى كل مكان، شاملة فى كل شئ، الشعور يحل فيها وهى العالمة حقيقة ومستلذة وعاملة وهى غير الأجسام، وغير الحواس وغير الفهم وغير الذهن. الاجسام مراكبها للاستلذاد و وسائلها والحواس آلات الاستلذاد. والعواطف الباطنة

والاشياء الخارجية هي ما يستلذ بها، والشعور ليس بجوهري لها بل من عوارضها التي تجتمع بها وتفارق عنها. الادراكات والعواطف والارادة من خواصها التي تتولد من الكمال والنقص. التحرر متسبب من زوال الكمال والنقص، وبزوالهما تصير الروح مادة محضة مجردا عن جميع اوصافها حتى عن الشعور والمسرة. والروح لا يدرك به تلقائيا بل ادراكه يستتبط من المدركات الأخر حين ادراكها وشعورها ومتلبس بادراكها وشامل فيه.

## ذرما

ذرما او الدين أوامر ونواهي او هدايات تحض الناس على العمل وهو فريضة فوق جميع الفرائض. وعامة الاخلاق تتعلمها الناس من الاجتماع الانساني اما الدين وسبل النجاة فتكشفان بالويدات فقط. ونهاية اهتمام الويدات هي العمل فتأمر وتنهى. الدين يجتلب السرور في الحياة الآخرة والتولى عن الدين يورث الالم في تلك الحياة. والاعمال في هذه الحياة تؤتي الروح قوة غير مرئية هي واسطة بين الاعمال وثمراتها وعلة في نفس العمل تسبب الاثمار. والعمل اما واجب واما منهي عنه واما مباح مستحب. والواجب اما يومي يجب عليه العمل كل يوم او موقت يجب في اوقات وازمان معينة. وبعض الاعمال كفارات ارتكاب المناهي للتوقى عن عقباتها. والمتقدمون يعتقدون بالدين لا بالنجاة واختار المتأخرون معه النجاة والتحرر عن وثاق الاعمال.

# ٦. مدرسة ويدانتا

## (VEDANTA)

ويدانتا او خاتمة ويدا، يراد بها الابني شدات لكونها خواتمه من وجوه متعددة. وقد نشئت في اوقات مختلفة وامكنة متفرقة وشرحت بشروح حسب معتقدات شارحيها. فرتب بدريانا Badarayana برهمناسوترا Brahma Sutra ووفق بين اشتاتها وجمع الآراء مهما امكن جمعها وتوفيقها ودفع المعارضات الواقعية والمحتملة. وبرهما سوترا نفسه كان في غاية الاختصار، غامضا مبهما محتملا لمعان عديدة محتاجا الى الشرح والتفسير فشرحه الناس بتفسيرات شتى حسب آرائهم واولوا ما خالف مذعناتهم ومسالكمهم في خواتم الويدات اي الابني شدات او ويدانتا.

وأهم شارحيه هم الذين لهم مدرسة فلسفية خاصة تتعلق بتشريح ويدانتا كمدرسة شنكرا ساريه Shankaracharya رامانوجا Rama nuja مادووا Madhva وولبها Vallabha ونم باركا Nimbarka وغيرها من المدارس. ومبنى الاختلاف في آراء مدارس هو العلاقة بين النفس (جيو) و بين الاله (براهمن) فبعضهم كما ذوا، قائلون بثنويتهم وبعضهم قائلون بوحدتهم كشنكراساريا وعند البعض كرامانوجا، هما واحد لكن باعتبار خاص. وفي الوحدة والثوية مذاهب آخر باعتبارات مختلفة تركنا تفصيلها اختصارا. واشهر مذاهب الوحدة مذهب رامانوجا ومذهب شنكراساريا. ومذهب شنكرا اعرفهما حتى ان لفظ ويدانتا صار اسما لمذهب الوحدة الشنكرية. ونكتفي بذكر مذهبه فانه اهم مذاهب الوحدة وادقها واعمقها. وكأنه هو المتبادر من ويدانتا.



## الحقيقة الواقعية عند شنكرا

الحقيقة الواقعية عند شنكرا ساريا هي آتمن Atman او براهمن Brahman فقط، والعالم الظاهر مايا او خدعة لا حقيقة له. وبراهمن الشعور المجرد او مجرد شعور الذات او النفس، والانانية المجردة الخالي عن الاوصاف والمقولات الفكرية . ولعروض ما هو بالقوة في مايا يعتقد انها متعاليا موصوفا باوصاف ومليكا مقتدرا، خالقا، حافظا مفنيا للعالم المرئي وهو ظاهره فقط.

جيوا او النفوس الشخصية تركيب الموضوع والمعروض. الموضوع هو الشعور الخالص والمعروض عضو باطن يتركب من العناصر الخمسة بغلبة يتجس وهو الذي يبقاه فعالا على الدوام عند النوم الثقيل او الغشية الثقيلة وغيرهما مما يمنع الحواس عن العمل. وسبب هذا العضو الباطن الجهل وهو علة الشخصيات المتكثرة والافراد الغير المتناهية، وهذا العضو الباطن يحس ويستببط. عند اليقظة يعينه الحواس وفي الرؤيا يفعل بنفسه وفي النوم الثقيل يغيب في علة اي الجهل. اما الشخصية فتستمر موجودة. اما عند التحرر من وثاق الشخصية والفردية فيفنى الجهل ويتور ويعود العلم بانه نفس براهمن وعين الروح أي الشعور الخالص الموجود المستمر دائما.

## الجهل او مايا

مايا او الجهل ليس بمجرد خدعة لا وجود لها كالقرن للارنب، ولا محض عدم العلم كما يدل عليه لفظ الجهل، بل هو عند شنكرا نوع علم وهو العلم الغير الصحيح خلاف الواقع، الغلط المحض، ومع هذا جامع لنوع من الواقعية ايضا كانه ذو جهتين ، جهة واقعية وجهة غير واقعية فانه ليس بمعدوم، والا فكيف يكون مدارا لظهور برهمن كالعالم المرئي، وليس بموجود لأن الموجود هو براهمن فقط لاغيره، وليس موجودا ومعدوما كليهما، وهذا تناقض مستحيل بنفسه. ولا يطلق عليه الواقعي ولا الغير الواقعي وكأنه قطعة صدف

مزعومة بكونه قطعة فضة، الصدف هو المحل لصورة فضية مادام العلم الغلط بكونه فضة وجودا فلما زال هذا العلم الغلط زال علم كونه فضة. والعلاقة بين الصدف والفضة ليست علاقة العينية ولا الغيرية ولا العينية والغيرية كليهما. ومثل هذه العلاقة علاقة برهمن بالعالم المرئي، والشخص او الفرد شامل فيه وبزوال الجهل، الشخص هو برهمن بعينه.

وشنكرا يؤكد ان من جهة المظاهر، العالم واقعي وحقيقي وليس بخدعة واغلوطة بل حقيقة فعلية. كالحقائق الرويائية حقائق واقعية مادامت الرويا، وباليقظة تزول وتفتى وإنما الرويا خلق شخصي والعالم خلق الهي. الاعمال وتبعاتها من الآلام واللذات والجمود والعزوف والاطلاق والتحرر، الفرائض والمنهيات كلها واقعية واذا زال الجهل انتهى الجميع. لاعمال ولا تبعاتها ولا الاطلاق والتحرر، الموجود المستمر هو برهمن فقط المجرد من الاوصاف والمقولات، الشعور الخالص عن آتمن، لا شخص ولا فرد، لامادة ولا صورة، لاجواهر ولا اعراض، لخالق ولا خلق، لا عظام ولا ايداع. وهذا هو التحرر الحياتي الذي قد حصل هنا الآن. اما التحرر الكامل فبعد الموت وهلاك الجسد.

هذا تلخيص وحدة الوجود الابني شديدة كما افاده شنكرا ساريا وله انتقادات على افكار سانخيا و نيايا ويشيشكا ويونها والجنينية والبوذية، كتصور فراكرتي، والجواهر الفردة، والمقولات، وكون الاله علة فاعلية، والاضافية، وغيرها من التصورات الاساسية للمدارس الفلسفية الايجابية والسلبية قد صفحنا عن ذكرها للاختصار وعدم افادتها في فهم وحدة الوجود الشنكرية وخروجها عن موضوعنا الجذري.

## مايا والجهل

مايا او الخدعة واوديا Avidya او الجهل عند شنكرا مرادفان، لافرق بينهما في المراد او المعنى ولا يخفى ان ههنا وجهتان : وجهة ايجابية ووجهة سلبية. الوجة الايجابية هي الكون في غير الصورة الحقيقية والوجهة السلبية هي

اختفاء الصورة الحقيقية. واختلف المتأخرون فقال بعضهم انه لافرق بينهما في المراد فان الاختفاء لا يكون الا بالظهور في صورة غير حقيقية فالاختفاء عين الظهور، وقال بعضهم ان الوجهتين مختلفان فمايا ظهور في صورة غير حقيقية واوديا اختفاء الصورة الحقيقية، ومايا وان كانت موقوفة على براهيمن غير مفترقة عنه وهو واسطة انعكاس براهيمن وظهور هذا العالم لكونه قوته الغير المتميزة عنه كقوة الاحراق للنار وهي وان كانت ضرورية للنار لكن لتمييزها عن النار، اوديا او الجهل هي سلبية كلية وهي عدم علم الواقعية، ومايا وهي القوة الكونية لظهور العالم، تقيد ايشورا او الاله ولايتاثر بالجهل او اوديا. واوديا جهل شخصي، تقيد جيوا اي الحياة الشخصية وبراهيمن المنعكس في مايا ايشورا والمنعكس في اوديا جيوا والجهل الشخصي او اوديا تزال بالعلم ومايا لكونه في براهيمن لاتزال بالعلم الشخصي. مايا معلول لكثير من ستوا واوديا معلول لجميع من ستوا ورجس وتمس. والحق ان الاختلاف لفظي والحصيلة واحدة.

## الاله وبراهيمن

براهيمن عند شنكرا هو الواقعية وحده، غير محدود مطلقا، لا اثنية فيه وهو فوق ان يقال عنه او يتصور، وتعبيراتنا عنه قاصرة وناقصة واحسن التعبيرات عنه هو النفي والسلب اي نيتي، نيتي اي لا هذا، ولا هذا. ورغم هذا ليس بعدم، فان الروح المتعالي والانانية الكبرى، المنكشف بنفسه من حيث انه عقب كل لا و نعم، واذا اردنا الفكر عليه فقد جعلنا الموضوع البحت الأعلى معروضا واغفلنا عن الحقيقة وحينئذ لايبقى شعورا مجردا غير مشروط وغير مقيد بل يصير مقيدا ومشروطا.

براهيمن الغير المشروط الغير المقيد، الغير المشخص، الغير المحدود، الغير المتصور، الغير المسمى الغير المعبر في رتبة مُحوضَة الاطلاق، لاشروط شئ، براهيمن الحقيقي، براهيمن الأعلى وهو فوق العالم وبراهيمن المشروط المقيد بمايا او الخدعة بانعكاسه في مايا او المقيد بقيد مايا في رتبة بشرط شئ

اي بشرط مايا، براهيمن المخدوع، براهيمن الادنى وهو براهيمن العالمي والكانتاتي. وهو اعلى الظواهر العالمية وارفعتها فوق كل ظاهرة.

وهذا براهيمن الادنى هو ايشور اي الاله العالى. ووجوده واقعي الا لمن عرف واستيقن بالوحدة وانه هو الواحد وهو هو بلا اثينية وليس ههنا غيره. والذين لم يؤمنوا بهذه الحقيقة فهذا الاله اله لهم، فالفكر المحدود لا يحيط ببراهيمن الاعلى ولا يتصوره وكل ما يقال عن براهيمن الاعلى ويدور في الازهان والالسنه فهو عن هذا الادنى اي الاله حتى ان الفاظ غير المشروط او المطلق، انما تعبير عن المشروط والمقيد. فان التلفظ بهذه الالفاظ يجعل الملفوظ مقيدا ومشروطا وهو السرور والطمأنينة والشعور وهو المليك الحاكم على الكائنات وعلى مايا ايضا، وهو روح الارواح وروح العالم وهو الخالق الحافظ المبقي والمفني. ووصف شتورا الاله بهذه الاوصاف اتباع للابنى شدات. وهو مشخص متعين كامل التعين والتشخص. وعند تحقق برهمن الاعلى تزول مايا وبزوال مايا يزول الكل ويبقى الواحد بلا ثان وتنتهي جميع التعبيرات كما عند اليقظة تنتهي جميع مارأى في الرؤيا من الاعمال والاشخاص والامكنة والازمان والخوف والرجاء والسرور والالم والاحاسيس والعواطف وغيرها.

## الحياة الشخصية وبراهيمن

قد سبق ان براهيمن المشروط هو الاله. وكما انه موصوف بصفات عالمية موصوف بالحياة والالوهية الشخصية. وبين حياته الشخصية وبين جيوا اي الحياة الشخصية لاشخاص اخر فرق. فجيوا فاعل وعامل، مستلذ، يلتذ ويتألم والاله لايتلبس بها بل هو علة التذاذ جيوا وقاهر، ورغم هذا ليس بينها فرق جذري وحقيقي، فانه مادام لم يعرف حقيقته ولم يتحققها يبقى شخصا وفردا متميزا وانانية او نفسا متفردا، واذا عرف بالملهمات المستتدة انه ليس بجسد ولاحواس ولاذهن بل هو نفس عال غير منقسم في هذا وذاك وتنتهي عنه تصورات الانانية يتحرر عن الوثاق وان كان هذا التحرر والوثاق عالميين طبيعيين وهو في سنج حقيقته عين براهيمن.

# المصادر والمراجع

١. ابو الفضل العلامي : التلخيص الفارسي لمهابهارتا
٢. ٥. ادمس بك : حكاية الفلسفة الشرقية
٣. اولدين برغ : سابتيك أو سلة حكايات و أناشيد بوذا (سلسلة الكتب المقدسة للشرق - ١٠)
٤. بربها وانندا وكرشتوفر ايشرود : شرح غيتا
٥. تكارام تاتيا : شرح غيتا
٦. الأمير دارا شكوه : السر الأكبر (ترجمة الابنشادات)
٧. س. ان. داس غوبتا : تاريخ الفلسفة الهندية، الأجزاء ١-٣
٨. السير رادها كرشنان : الفلسفة الهندية ج-١
٩. : شرح غيتا
١٠. الأنسة سنكليزا استونسون : قلب الجينية
١١. ف. ت. سري نواس اينغر : مبادئ الفلسفة الهندية
١٢. الدكتور شندرذار شارما : النظر الناقد على الفلسفة الهندية
١٣. س. صترجي ود. م. دتا : مقدمة الفلسفة الهندية
١٤. صيمن لال جيشا : الجينية في الهند الشمالية
١٥. فرتاب ضدرا راتي : ترجمة مهابهارتا
١٦. منو بهائي سي فانديا : دليل الرجل الذكي الى الفلسفة الهندية
١٧. ميكس مولر : الفلسفة الهندية
١٨. ناث مل طايطيا : مطالعة الفلسفة الجينية

# فهرس الكتاب

الدكتور نثار احمد الفاروقى  
المؤلف

تقديم  
بين يدي الكتاب

١٢-٧

## فلسفة الهند القديمة

٧

فلسفة الهندوس وديانتهم

٧

الأدب الويدي

٨

سمهتا

٩

البراهمن

١٠

الأرنيك

١١

الأبنشد

١٢

الدين الهندوسي وميزته

٢٠-١٣

## الفكر الهندوسي فى العصر الويدي

١٣

ريغ ويد ومايضمه من الأفكار

١٤

تصور الإله

١٦

تصور الكائنات وكيف وجدت؟

١٨

اثرو ويد وما يشتمل عليه من الأفكار

١٩

يجرويد و سام ويد وما فيهما من الفكر

٣٦-٢١

## الفكر الهندوسي فى العصر الأبنشدي

٢١

الأبنشادات ومايضمه من الأفكار

٢٢

الانعطاف إلى الداخلية

٢٤

البحث الأبنشدي

٢٥

أساس البحث الأبنشدي

٢٦

البرهما

٢٧

الآتما

٢٩	وجرت الأسئلة والأجوبة حتى....
٢٩	الذات البحتة المطلقة
٣٠	الخير الأعظم
٣٢	الأعمال الحسنة والسعادة
٣٣	النجاة والتناسخ
٣٤	العالم المحسوس المرئى

## ٥٤-٣٧ الأفكار المعاصرة لأبنشادات القديمة

٣٧	الحلقات الفكرية الهندوسية
٣٩	الأفكار الفردية
٤٠	نشوء الفلسفة فى الهند
٤٠	النظم الفلسفية الهندوسية
٤١	الأدب الفلسفى فى الهند
٤٢	المدارس المشهورة للفلسفة القديمة
٤٣	الكارواكية
٤٥	الأدب الكارواكى
٤٦	نظرية العلم
٤٨	الروح والمادة
٥٠	العالم غير المرئى
٥١	العالم و تكونه
٥١	الخير الأعظم والحسنات والسيئات

## ١٠١-٥٥ البوذية

٥٥	النظرة العامه
٥٦	غوتم بوذا
٦٢	الحكمة البوذية
٦٣	اختلاف البوذية بعد بوذا
٦٤	البوذية القديمة
٦٥	الأدب البوذى المقدس القديم



٦٦	الحقائق الأربع المقدسة
٦٨	الحقيقة المقدسة عن الألم
٦٩	حقيقة الألم
٧١	أزلية الألم و استمراره
٧٢	الحقيقة المقدسة عن أصل الألم
٧٣	قانون الاتصال العلى للتكون
٧٣	الشهوة والجهل
٧٤	المنظمات
٧٥	الشعور
٧٧	الاسم والصورة
٧٧	الساحات الست واتصالها والحس
٧٨	الظما والتعلق
٧٨	التكون والمولد والهرم والموت
٧٩	إحاطة القانون
٨١	إيهام القانون وإعضاله
٨٢	الحقيقة المقدسة عن إعدام الألم
٨٣	إعدام الألم ونظرية العلية
٨٥	إعدام الألم ونظرية الأعمال
٨٧	الحقيقة المقدسة عن سبيل إعدام الألم
٨٧	الأخلاق البوذية
٨٩	السبيل المثمن
٩٠	الاعتقاد الصحيح
٩١	العزم الصحيح
٩١	القول الصحيح
٩٢	العمل الصحيح
٩٣	العيش الصحيح
٩٣	الجهد الصحيح
٩٤	الفكر الصحيح
٩٤	التأمل الصحيح

٩٤	المنازل الأربعة
٩٥	السعادة القصوى أو الخير المطلق
٩٥	الكون أو التكون
٩٦	الذات
٩٧	النروان أو النجاة
١٠٠	التلخيص
١٣٢-١٠٢	<b>الجينية</b>
١٠٣	الطريق الجيني
١٠٤	بارشواناث
١٠٥	مهاويرا وردهمانا
١٠٨	الافتراق فى الجينية
١٠٩	الأدب الجينى المقدس
١١٠	العلم
١١١	أنواع العلم وحدودها
١١٥	القضايا الممكنة الصدق
١١٧	اليواقيت الثلاثة
١١٧	الغواية
١١٨	الياقوتة الأولى
١١٨	الياقوتة الثانية
١١٩	الياقوتة الثالثة
١٢٠	الكون
١٢١	الأعمال
١٢٣	الاله المكون
١٢٥	الحقائق الأساسية
١٢٦	الحي
١٢٧	اللاحي
١٢٩	الحسنة
١٢٩	السيئة

١٢٩	المجرى
١٢٩	السد
١٢٩	الوثاق
١٣٠	الاستئصال
١٣٠	النجاة
١٣١	التلخيص

## ١٩٥ - ١٣٣ فلسفة مهابهارتا أو البرهمنية المستحدثة

١٣٥	مها بهارتا
١٤٣	المذاهب الرئيسية فى مها بهارتا
١٤٧	الأفكار الأساسية
١٤٧	بروز الكون وكمونه
١٤٩	أصل الكون
١٥٤	المقولات العالية
١٦٠	الإله المها بهارتى
١٦٦	الانسان
١٦٧	الأعمال
١٦٩	القسمه
١٧١	الجهد والسعى
١٧٤	الصالحات والسيئات
١٨٨	النجاة
١٩٣	التلخيص

## ٢١٩ - ١٩٦ صحيفة بهاخود غيتا

١٩٦	غيتا ومادتها
١٩٧	منزلة غيتا
١٩٧	مصادر غيتا
١٩٨	دعوة غيتا الرئيسية
١٩٩	صلة غيتا بمهابهارتا
١٩٩	شخصيات غيتا

٢٠٠	تلخيص المحاربة
٢٠٥	التصورات الأساسية
٢٠٦	يوغا
٢٠٧	سانخيا
٢٠٩	برهم
٢١٠	يجيه
٢١٢	الدين عند غيتا
٢١٢	ضبط الحواس والغلبة عليها
٢١٤	غيتا و الأخلاق
٢١٤	الجبر والاختيار
٢١٥	غيتا والحياة والممات
٢١٦	جزاء الأعمال
٢١٧	الإله و الإنسان
٢١٩	سبيل النجاة
٢٢١-٢٢٠	<b>المناظر للفلسفة المنحدية أو المدارس الست</b>
٢٢١	المدارس الست
٢٢٢-٢٣٠	<b>١. مدرسة سانخيا</b>
٢٢٢	التعليل
٢٢٣	فراكرتي والجنات
٢٢٤	فروش
٢٢٥	ظهور العالم
٢٢٦	العالم أو الكون
٢٢٧	العلم
٢٢٧	الإحساس
٢٢٧	الاستنباط
٢٢٨	المستندات
٢٢٩	الوثاق والنجاة
٢٣٠	الإله وسانخيا

٢٣٥-٢٣١

## ٢. مدرسة يونغا

٢٣١

آلات الفكر الباطنة والتعديل

٢٣٢

أنحاء العالم

٢٣٣

الطريق المثمن لضبط سطا

٢٣٥

الإله عند يوغا واليوغيين

٢٤٣-٢٣٦

## ٣. مدرسة ويشيشيكا

٢٣٦

المقولات

٢٣٧

المادة

٢٣٨

العرض

٢٣٨

الفعل والعمل

٢٣٩

العموم

٢٣٩

الخصوص

٢٤٠

الإضافة

٢٤٠

العدم أو اللاوجود

٢٤١

الذرية

٢٤١

العلة

٢٤٢

الإله

٢٤٢

الوثاق والنجاة

٢٤٨-٢٤٤

## ٤. مدرسة نيايا

٢٤٤

العلم و وسائله الأربع

٢٤٥

الإحساس

٢٤٦

الاستنباط

٢٤٧

المقابلة

٢٤٧

نصوص المستندات

٢٤٨

الروح والنفس

٢٤٨

الإله

٢٥٥-٢٤٩

## ٥. فروا ميمانسا

٢٤٩

العلم و وسائله

٢٥٠

الإحساس

٢٥١

الاستنباط

٢٥١

المقابلة

٢٥١

نصوص المستندات

٢٥٢

الاقتضاء

٢٥٣

اللاوجود أو عدم الإدراك

٢٥٤

العالم أو الكائنات

٢٥٤

المقولات

٢٥٤

الروح أو النفس

٢٥٥

ذرما

٢٦٠-٢٥٦

## ٦. مدرسة و يدانسا

٢٥٧

الحقيقة الواقعية عند شنكرا

٢٥٧

الجهل أو مايا

٢٥٨

مايا والجهل

٢٥٩

الإله وبرهمن

٢٦٠

الحياة الشخصية وبراهمن

٢٦١

## المصادر والمراجع

٢٦٢

## فهرس الكتاب

**ANCIENT  
INDIAN PHILOSOPHY  
(ARABIC)**

**ABDUS SALAM KHAN**



**RAMPUR RAZA LIBRARY  
RAMPUR (U.P.)**